بؤساء المعبد

أحمد حاتم

obeikandl.com

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : بؤساء المعبد
المؤلف : أحمد حاتم
تصنيف الكتاب : رواية
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٧١٥٢ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 263 - 2

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikandl.com

بؤساء المعبد هي رواية تاريخية تدور أحدثها في اواخر القرين ١٨ قبيل دخول الفرنسيين مصر . الرواية مستوحاه من قصص حقيقية و كل أسماء الشخصيات في الرواية حقيقية. و المرجع الرئيسي لهذة القصص و المعلومات هو كتاب "عجائب الأثار في التراجم و الأخبار" لعبد الرحمن الجبرتي .

الغرض الأساسي من كتابة هذة الرواية هو استعراض تحليلي لبعض المشاكل المتجذرة في مجتمعنا . والهدف من ذلك ليس احباط الأمل في التغيير للأفضل, ولكن الهدف هو البدء في معالجة هذة المشاكل بطرحها بشكل واضح أمام أعين أفراد المجتمع لتكون دافعا حقيقيا للتغيير للأفضل .

عنوان الرواية : بؤساء المعبد.

المؤلف : د.أحمد حاتم .

الايميل : ahmedhatem88@live.com

او المراسلة علي whatsapp رقم ٢٠١٠٠٧٠٥٧٥٦٨+

obeikandl.com

٢٢ يونيو ١٧٩٨:

البحر الابيض المتوسط و الشمس تغطس في البحر من وراء مجموعة بوارج و ٤٠٠ سفينة تنقل ٣٢ الف من العساكر تتوسطهم سفينة اوريان العملاقة ذات التسعة اشرعة و ثلاثة ادوار من نوافذ المدافع و علي سطحها من الخلف غرفة عمليات القيادة علي جانبيها ممران ينتهيان بعدة سلالم مؤدية لغرفة الربان و قائد الاسطول يتلوها السطح الذي يتوسطه أعمدة الاشرعة و نقاط التجمع و في الوسط بين الاعمدة سلالم للطوابق السفلية . باب غرفة العمليات مفتوح واقف عليه من الداخل رجل قصير القامة ذو عيون زرقاء و انف طويل و شفاه تكاد تختفي من صغرها و صلع خفيف يقول لرجل طويل يقف امامه و العساكر تركض ذهابا و ايابا خلفه

صاحب العيون الزرقاء : اسمع يا دومرتين , في ظرف ٥ دقائق تكون قد قرأت هذا المنشور علي قواد الفرق بحث قبل ان تغيب هذه الشمس يكون هؤلاء القاده قد انتشروا علي سفنهم و قرأوا هذا المنشور علي عساكرهم .. مفهوم ؟

دومرتين(رئيس الطبجية : المدفعية) يعطي التحية العسكرية و بصوت عالي : نعم سيدي .

صاحب العيون الزرقاء يضرب علي ذراع دومرتين : اذهب .

ويدخل الغرفة و يغلق الباب , و يلتفت لضباطه الجالسين علي دكك خشبية ملتصقة بجدران الغرفة تتوسطهم طاولة عملاقه مثبته في الارض تتكاثر الخرائط و الاوراق المليئة بالتقارير فوقها

و يقول لأحدهم : اميرال برويس , كم بقي لنصل ؟

برويس (قائد الاسطول): ٨ ايام سيدي.

صاحب العيون الزرقاء ينظر لاخر : و ما اخبار الانكليز يا بريته ؟

obeikandl.com

بريته (رئيس اركان الجيش البري) : لقد ذهبوا الي محمد كريم و عرضوا مساعدتهم عليه لصدنا , و لكنه رفض , ثم طلبوا منه الاستزاده بالمؤن , فرفض ايضا , فذهبوا ليبحثوا عن غيره ليستزيدوا بالمؤن .

صاحب العيون الزرقاء و هو ضامم ذراعاه علي صدره : و اين ذهبوا ؟

بريته : لا نعلم , و لكن ربما ذهبوا للشام او للعثمانيين.

صاحب العيون الزرقاء لبرويس : و ما رأيك ؟

برويس : شيئان مؤكدان , الاول : انهم سيحاولوا التحالف مع الجزار (حاكم الشام) او مع سليم الثالث (سلطان الخلافة العثمانية) ضدنا . الثاني : انهم بعد نجاح او فشل تحالفهم سيرجعون الينا في الاسكندرية ليحاربونا .

صاحب العيون الزرقاء يفك ذراعاه من علي صدره و هو يتنهد و يستدير لينظر للنافذه المطله علي سطح السفينه المملوء بالجنود الذين يتحركون كخلية النحل و في وسطهم دومرتين واقف امام اربعة طوابير قصيرة من قادة الفرق في الجيش البري

يقول لهم : اسمعوا جيدا لما سأتلوه عليكم . و حتي انتهي من تلاوتي سيكون قد وصلت نسخ المنشور الذي سأتلوه و كل منكم سيأخذ نسخه و سينطلق لمركبه ليوزعها علي جنوده ثم يتلوه عليهم . و بعد كل هذا ستشرفون بأنفسكم علي تطبيق الجنود لما في المنشور . ولو خالف جندي واحد ما في المنشور سأقتله هو و قائده بدون ادني تردد .

ثم يرفع دومرتين الورقة التي بين يده :

منشور الي الجيش البري .

من نابليون بونابرت قائد عام جيش مصر , ايها الجنود : انكم ستخوضون غمار حرب سيكون لها تأثير عظيم علي المدنية و تجارة العالم أجمع . و ستضربون انكلترا ضربة حساسة في صميم فؤادها علي امل ان تتمكنوا من ايصال هذة الضربة للقضاء علي حياتها . و بعد وضع اقدامنا في مصر ببضعة

ايام سنمحي من الوجود اولئك البكوات المماليك الذين يساعدوا التجارة الانكليزية و يهنون تجارتنا و يعاملون سكان وادي النيل بالظلم و الاستبداد .

اعلموا ان الشعب الذي سنعيش معه يدين بدين الاسلام و أول قواعدهم "لا إله الا الله محمد رسول الله " فلا تعارضوهم في معتقدهم و عاملوهم كما عاملنا اليهود و الايطاليين و احترموا مشايخهم و علمائهم كما احترمنا الرهبان و القساوسة .

و ليكن في نفوسكم التسامح مع تقاليد الشرع و المساجد مثملا كان لكم من التسامح مع الكنائس و الصوامع و البيع و مع المتدينين بدين عيسي و موسي . و لقد كانت الجيوش الرومانية قبلكم تحمي الاديان و ترعاها . و ستجدون في هذه الديار عادات تخالف عادات اوروبا , فألفوها و تعودوا عليها . و أعلموا ان هؤلاء الناس يعاملون النساء علي غير مألوفنا . و قد اجمعت الامم علي ان من يعتدي علي حرمة المرأة انما هو حيوان وبهيم . اما النهب و السلب فلا يغني الا فئة قليلة من الافراد و لكنه يحط من قدرنا و ينقص شرفنا و يبغض فينا قلوب الناس الذين من مصلحتنا ان نكون معهم علي صفاء وود .

obeikandl.com

١يوليو ١٧٩٨ :

جندي علي ظهر سفينة ينادي زملائه بصوت عالي : قوموا ايها البائسون , ها هي الاسكندرية .

فقام الجنود يتسابقون للسطح و يتجمعون علي جانب السفينة لينظروا الي اشعة الشمس تنزل تدريجيا علي مأذن الاسكندرية ثم اسطح المباني و البيوت والحوانيت ثم رملة الشاطئ ثم البحر و امواجه.

بعد ساعة من الشروق , خرج رجل من وجهاء مصر ضخم الجثة و طويل و وجهه عريض و لحيته كثيفه من بيته الكبير المطل علي الشاطئ علي استعجال و هو يرتدي جلباب النوم الابيض الواسع و رأسه عريانه بدون عمامه بعد ان سمع جلبة الناس في الخارج ليجد جمهور غفير من الناس مجتمع علي الشاطئ بالقرب من منزله يشاهدون المراكب و السفن التي تلوح بالأفق واذ برجل من كبار تجار مصر متوسط الطول عادي الجسم يلبس افخم الملابس يقف جانبه يجهز حصانه يقول : نعم . انهم هم .

الوجيه : هم من ؟

التاجر ينظر للوجيه و بصوت غاضب : سليمان , انك تعرف من هم .

سليمان الجوسقي (شيخ العميان) يضرب علي رأسه من الحسرة و يلقي بجسده علي المصطبه بجانب باب المنزل و يلقي برأسه علي الحائط و يقول : يا بنت الصرمة . ثم ينظر للتاجر و يقول : و ماذا سنفعل يا حاج محمد ؟

حاج محمد المغربي (تاجر كبير) : سنرجع حالا للقاهرة .

فقام سليمان من المصطبة و قال : و ماذا سنفعل ان ذهبنا للقاهرة ؟

حاج محمد : لا اعرف .

فسمعا صوتا غاضبا قادما من وسط الجماهير : افسحوا الطريق , الا تسمعون , افسحوا , مالكم تحدقون كالاصنام .

ففتح الجماهير طريقا خرج منه ٧ جنود و ٣ ضباط فرنساوين بلبسهم الازرق و بناطيلهم البيضاء و معهم ٣ مغاربة وجوههم تخبر بتاريخ طويل من الاجرام لهجتهم غير مصرية يتكلمون العربية والفرنسية و مروا بجانب حصان الحاج محمد المغربي وهو و سليمان الجوسقي ينظران لهم . وبعد ان مروا نظر الحاج محمد لسليمان و قال له : ماذا تنتظر , اريدك فوق حصانك بعد دقائق و ان لم تفعل سأذهب و اتركك .

و في ساحه واسعه خاليه يقف مجموعه من وجهاء البلد خلفهم خيولهم و خلفهم بمسافه المسرح الروماني و يتقدمهم كبيرهم ذو جسد و وجهه نحيل و لحية بيضاء و شنب غليظ و لباس فخم . يدخل عليهم الضباط و الجنود الفرنساويين و معهم المترجمين المغاربة بعد ان تجولوا بعدة شوارع في الاسكندرية ويقولون : ايكم السيد محمد كريم ؟

قال كبيرهم : انا .

قال الضابط الفرنسي : و انا دمورتين .

قال محمد كريم في غضب مكتوم : ماذا تريد ؟

قال دومرتين : ارسل معي القنصل ماجلون الفرنسي .

قال محمد كريم : لا .

و استدار و ذهب .

فجري نحوه احدي المغاربة المترجمين و بأسلوب مؤدب : سيدي , ان هؤلاء القوم لم يأتوا في شر , و كل ما يطلبونه الان هو مقابلة قنصلهم , و لربما اخبرهم قنصلهم بتجمعكم و اعتراضكم علي مجيئهم فيعودوا من حيث أتوا .

قال محمد كريم : ما الذي اتي بهم اصلا ؟

قال المغربي : سيدي , ان هؤلاء القوم قامت عندهم ثورة منذ ٩ سنوات , و قد قامت تطالب بالعدل و الحرية و المساواه بين الخلق , و نجحت ثورتهم و شكلوا حكومة اسموها حكومة الادارة , و قد حملت هذه الحكومة علي اعناقها

مسؤلية نشر تلك القيم و المبادئ في كل ارجاء العالم , و قد رأوا ان اهل النيل اكثر الناس الذين طحنهم الاستبداد و الظلم علي يد البكوات و قرروا تحريرهم . هذا ما جاؤا من اجله . و كما قلت لك ربما ابلغهم قنصلهم انكم غاضبون فيصالحونكم او حتي يعودوا لديارهم , فارجوك ارسل القنصل ماجلون معهم .

فنظر محمد كريم لاحد الوجهاء : ارسل للقنصل .

بعد نصف ساعة ... محمد كريم واقف يتكلم مع الوجهاء و المترجم المغربي معهم و الفرنسيين واقفين علي بعد اقدام منهم يتكلمون مع المغاربة و فجأة يسكت الجميع و ينظرون لاحدهم قادم مع القنصل ماجلون الفرنسي و هو شخص في الاربعينيات ذو ملامح اوروبية و يلبس ازياء النبلاء الفرنسيين ..

و يتقدم محمد كريم نحوه : اسمع انا لم اكن مرتاحا ابدا لك وما اريدك فعله الان ان تقنع اقاربك القادمين الينا ان يعودوا من حيث جاءوا و الا لن يصير خيرا ابدا .. اتفقنا ؟

قال القنصل ماجلون : نعم .

في سفينة اوريان نابليون واقف في الممر بجانب باب غرفة العمليات المفتوح في حر الشمس قبل غروبها بعدة ساعات ينادي بصوت عالي و متوتر : يا برويس لماذا تأخرت تعالي الي حالا . ثم يدخل و يغلق الباب بعنف .

فيخرج برويس من غرفة الربان مسرعا و يقفز علي السلاسم قفزا و يطرق الباب ..

نابليون بتوتر واضح : ادخل ... ها ما الاخبار ؟

برويس : اقترب نيلسون و اسطوله من الاسكندرية .

نابليون يضحك متحديا : ها ها ايها الانجليز .. لن تسبقوني للاسكندرية ابدا ايها المعاقون .

برويس و علي وجهه كل علامات الدهشة : ماذا يعني هذا ؟

نابليون و هو في اقصي حالات الاثارة و الجنون ينظر لبرويس : يعني بالتاكيد الاسراع في الانزال .

بدأ ت الدهشة و الغضب يمتزجان علي وجه بوريس : و لكن بعد ايام من الانزال و توغلكم في هذه البلاد سيلتهمنا الاسطول الانجليزي في ساعات .

فلكمه نابليون علي وجهه ثم شد شعره و صرخ في وجهه : ايها المخنث الضعيف . بالتأكيد سيلتهمونك طالما انك تصدق هذا . و جزاءا لكلمتك هذه سأتركك لهم, فإن صمدت امامهم و هزمتهم ستستحق ان تبقي معي وان التهموك فسأكون سعيدا بأني تخلصت منك .

ثم دفعه الي الخلف فاصطدم بالطاولة وسقط علي الارض , ثم استدار و نظر من النافذه فوجد دومرتين يصعد للسفينه و معه القنصل ماجلون و الجنود و المغاربة , فقال لبوريس بصوت هادئ دون ان يدير له وجهه : لقد اعطاني الحظ ٣ ايام فإن لم انتهزها خسرنا كل شئ . اتجه الان للعجمي و بحلول الليل نكون قد وصلنا , حينها أمر بالانزال .

حينها نظر دومرتين لنابليون فور نزوله علي سطح السفينه فأشار نابليون له من غرفة العمليات بأن يصعد اليه . فإنطلق دومرتين و معه القنصل ماجلون و قفزا علي السلالم فوجدا بوريس ينزل مسرعا و هو يواري وجهه عنهما فنظر دومرتين و القنصل ماجلون له مستغربين ثم نظرا لبعضهما من الدهشة و التوتر فوصلا امام الباب و طرقاه فسمعا الصوت : ادخل يا دومرتين .

فدخلا فوجدا نابليون ينظر للنافذه و يضع يديه علي خصره و الشرر يتطاير من عينيه فنظر اليهما و قال لهما : اجلسا .

فجلس القنصل ماجلون ثم دومرتين علي جانب الطاولة و جلس نابليون امام الطاولة و القي ظهره علي الكرسي و قال للقنصل : حسنا , اخبرني ما اهم النقاط التي يجب ان يشملها المنشور الذي سنبعث به للسكان ليطمأنوا و لا يهبوا للمقاومة ؟

القنصل ماجلون : ثلاثة نقاط سيدي , الاولي : الامان علي ارواحهم , الثانية : الامان علي احتياجاتهم الاساسية مثل مأكلهم و مشربهم و مساكنهم و تجارتهم , و ثالثا : استمالة عواطفهم , و اكثر ما يستميل عواطفهم هو " المظاهر الدينية " المتمثله في مشايخهم و مساجدهم و مقامات اوليائهم و طقوسهم الدينية مثل الموالد و الاعياد و شهر رمضان و الحج و هكذا .

فرفع نابليون ظهره من علي الكرسي و القي بصدره و ذراعيه علي الطاوله و نظر للقنصل بخبث و قال : و ما رأيك ان اخبرناهم اني مسلم و ان الفرنسيين مسلمين ؟

فإبتسم القنصل ماجلون و نظر لدومرتين و نظر دومرتين له ثم رجع فنظر لنابليون و قال : بالتأكيد سيفرحون , صحيح لن يصدق الجميع , و لكن علي الاقل ستدخل هذه الإشاعة في القيل و القال و لن يحاربك معظمهم الي ان يثبت لهم العكس . بالاضافة الي الخوف من جيشك و فرصة الامان التي ستوفرها لهم و كرهم من المماليك ..

نابليون ينهض من علي الطاولة و يرجع ظهره للكرسي و هو مثار بشده و يصفق بيده صفقة ثم يشير للقنصل : هذه هي .. هذه هي العوامل التي أريد الإستفادة منها .. صحيح صحيح .. أكمل أكمل..

القنصل ماجلون : ستؤول هذه العوامل كلها بهم الي عدم مقاتلك اثناء توغلك في البلاد حتي و ان كان لفترة زمنية قصيرة و لكن ستكون كافية للسيطرة علي الامور .

فقفز نابليون من علي كرسيه سعيدا يصرخ : هذا ما اردته ... هذا ما اردته بالضبط . ثم ذهب لزاوية الغرفة و سحب ورقه من عمود طويل من الورق المرصوص فوق بعضه و اعطاها للقنصل و قال له : اقرأ هذا المنشور و اسمعني .

فبدأ القنصل ماجلون يقرأ وأستدار نابليون و نظر للنافذه ليلقي نظرة علي السفن و هي تقترب من الرسو عند العجمي و الشمس تغيب من ورائهم و الجنود كخلية النحل علي اسطح السفن .

في احد شوارع الاسكندرية بعد صلاة العشاء في احدي المنازل الكبيره الخارج منها ضوء القناديل الاصفر يقف محمد كريم في مجلس كبير في داره امام وجهاء المدينة جالسين علي كنب يشبه المصاطب و في ظهورهم جدران فيها نوافذ من الارابيسك معلق عليها عدد من القناديل للانارة ,

يقول لهم و هو في منتهي الدهشة و الغضب : أأنتم صادقون فعلا فيما تقولون ؟ أجننتم ؟ ستذهبون لبيوتكم و الصباح رباح ؟ أيوجد خلق في العالم يغزوهم عدو و يذهبون للنوم ؟

احد الوجهاء : من قال اننا سنذهب للنوم , نحن سنستعد بالتأكيد , و لكن كل يستعد في بيته , و في الصباح نتجمع لنحاربهم .

اخر : نعم هذا ما قصدته من كلمة "سنذهب لبيوتنا و الصباح رباح" . ثم لماذا انت منزعج ؟ كلنا نعلم انه لم يحصل امر كهذا من قبل الا و نزلوا في ابي قير و استغرقوا عدة ايام لافراغ حمولاتهم و تنظيم انفسهم للهجوم , فلم العجلة؟

الحاج مصطفي (احد الوجهاء) : خسئت انت و هو ..

ثم نظر لمحمد كريم المندهش : انت تعلم ان هذان لا رجاء فيهما .

محمد كريم و هو يضحك مستهزءا : هاا و ماذا عنك انت ؟ انت اذا السبع الذي سيخرج لقهر الفرنسيس .

الحاج مصطفي ينظر مغاضبا مترددا : بالتأكيد , قل لي ماذا افعل .

محمد كريم : سأرسل معك ولدي و تعطيه من مالك و سلاحك لنجهز به جيشا .

الحاج مصطفي ينظر للارض و يهرب بنظره يمينا و شمالا : المال , ليس معي مال الان , و السلاح , لا استطيع اعطاءه لكم الا اذا اعطيتموني ايجاره , فأني استرزق من هذا السلاح ..

محمد كريم يرجع للخلف محبطا و يلقي بجسده علي الكرسي : انتم لستم الا ثله من المتخاذلين لا فائده منكم . و بالفعل لا يمكن ان نستنهض همة امة ليلة غزو عدوها لها . فالامم التي تقهر اي غازٍ لها لابد ان تعمل علي الاستعداد للقائه

ليل نهار قبل ان تسمع خبر وصوله لها بسنين , هذا اذا افترضنا انها ستنتظر الي ان تسمع هذا الخبر اصلا . اذهبوا من بيتي اكرمكم الله , مع السلامة .

فقام الوجهاء من المجلس و عند اقترابهم من الباب سمعوا جلبه في الخارج ففتحوا الباب فوجدوا مجموعه من الشباب يحملون بنادق يدوية الصنع و نبابيت و سيوف و سواطير فكان قائدهم هو ابن الحاج مصطفي فإقترب الاب من ابنه و امسك بذراعه غاضبا و قال له بصوت منخفض : ماذا تفعل هنا ايها الابله ؟

فصرخ الابن بصوت عالي : نحن سنحارب معك يا شيخ كريم , دعك من هؤلاء المستميتين علي الدنيا , نحن هنا ننتظرك .

فأمسك الاب بذراع ابنه و دفع الوجهاء و دخل لمحمد كريم الواقف يشاهد الموقف : ارأيت هذا ابني اقدمه للجهاد في سبيل الله , ارأيت اني لست متخاذلا مثل هؤلاء العجائز؟

محمد كريم يهز رأسه من العجب : لم اري إنتهازيا مثلك في حياتي .

و اقترب من الولد و وضع يده علي كتف الولد و قال له : بارك الله فيك يا ولدي , و لكن انت و زملائك لا تتجاوزون ال ٢٠ شاب لم يعلموكم ابائكم حمل السلاح و القتال و لو دخلتم اي معركة لن تزيدونا الا حسرة علي فراقكم . ارجع يا بني لاهلك . و استدار و رجع لكرسيه.

الشاب لمحمد كريم و هو في قمة الدهشة : ما هذا , هل ارحت ضميرك بهذا ؟ هل ستظل تنتظر هؤلاء الاصنام ليتحركوا ؟ ثم ترجع و تبكي بعد ان نجد الفرنسيس فوق رؤوسنا . والله انك لست الا صورة اخري منهم . انت لا تريد القتال اصلا و تعلم مسبقا انهم سيخذلونك . و لذلك تجمعهم و تطلب منهم القتال فيتهربون ثم تلقي بنفسك علي كرسيك و تقول ها انا حاولت , ها ها ها كم انا سعيد بشيخنا.

ثم استدار و دفع اباه و دفع الوجهاء و خرج و ذهب وراءه باقي الشباب , و محمد كريم جالس علي كرسيه ينظر للارض كالمصاب بالنوبة القلبية من هول ما سمعه و الحاج مصطفي و الوجهاء ينظرون له بدهشة شديدة .

obeikandl.com

٢ يوليو ١٧٩٨

<u>الساعة ٢ صباحا</u> البحر هائج و المياه تضرب السفن و تغرق اسطحها و نابليون مجتمع بالقادة اجمعهم و التوتر علي اشده ونابيلون يقول بكل حده لقائدين يقفان بجانبه : كليبر , بون , اصدرا اوامر الانزال الان و انا سأنزل بعد نزول العساكر .

فأشار كليبر (قائد القلب) بيده وقال : لكن سيدي ...

فامسك نابليون بوجه كليبر من ذقنه بكل عنف و قال بصوت شديد الغضب شديد الاختناق : سأغرقك بيدي ان قلت انك خائف علي جنودك من الغرق .

فقال كليبر : حاضر سيدي .

فصرخ نابليون في رجاله : في ظرف ساعه اريد ان اكون انا اخر من ينزل من علي السفن . هيا اذهبوا .

وبعد ان خرجوا صرخ نابليون وحيدا في الغرفة و قال : ما هذا , هل بدأ حظي يخونني ام ماذا؟

<u>الساعة الثالثة صباحا</u> نزل بونابرت علي البر , و كان هو ورجاله علي اقدامهم و بدأ البحر يهدأ شيئا فشيئا و شعر الجميع بالراحه و قال نابليون في سعاده : اااه ايتها البلد اللعين , كل من علي كرة الارض يريد امتلاك شلالات كنوزك . و لكن هيهات لاحد غيري ان يسبقني اليك فانا احق اهل الارض بكنوزك .

فقال احد القادة : فلنشكر الرب علي ذلك .

فنظر باقي القاده للقائل و هم يضحكون عليه استهزاءا فرد نابليون مبتسما متفاخرا : ها , كفي الله فخرا ان يعبده احدا مثلي .

كليبر ينظر خلفه و ينادي علي احد الضباط : هل انتهيتم من طباعة المنشورات ؟

obeikandl.com

احد الضباط : انهم في طباعة العدد الثالث سيدي

نابليون لكليبر : و كم يحتوي العدد ؟

كليبر : ١٠ الاف

نابليون : حسنا اطبع ليل نهار , لا تتوقف , اريد ان اغرق بيوت هذه الديار بالمنشورات

كليبر : حاضر سيدي .

ينظر نابليون لبون (قائد الجناح الايمن) و بجانبه منو (قائد الجناح الايسر) و يقول لهما : بون , منو , اسمعا , اريد بمجرد نزول الخيول علي البر تشكلا من الجناحين الايمن و الايسر قوة استطلاع تسبقنا الي قلب الاسكندرية , مهمتها الاولي الاستكشاف , مهمتها الثانية هي قراءة هذا المنشور علي الشيخ محمد كريم و وجهاء المدينة و يوزعوه عليهم و علي الناس ثم يعودوا .

مينو لنابليون : سيدي ليس لدينا معلومات كافيه عن قواتهم , و لربما كانوا كثرة ..

يقاطع نابليون و يصرخ مناديا لماجلون و هو ينظر لمنيو : ايها القنصل , يسأل هذا عن مدي قوة اهل هذه البلاد فهو خائف علي رجاله ؟

فيبتسم القنصل ويهز رأسه استخفافا فيتدخل كليبر بخبث : اسمع الكلام يا مينو .

فينصرف نابليون و ينظر مينو بغضب و كراهيه لكليبر و ينظر كليبر بابتسامة الشماته و الشر .

في رشيد بعد صلاة الفجر يخرج الناس من احد المساجد الكبيرة بقرب اكبر اسواق المدينة و اذا بإثنين علي فرسيهما يهرعان ناحية المسجد و يصرخان : يا أهل رشيد , يا أهل رشيد , هلموا الينا هلموا الينا .

obeikandl.com

فإقتربا الاثنين من ابواب المسجد و بدأت انارات القناديل تظهر ملامحهما و الغبار يغطيهما هما و خيولهما و امتعتهما و توقفا امام الناس الذين تجمعوا امام باب المسجد و اذا بهما الحاج محمد و سليمان الجوسقي , وقال الحاج محمد : يا أهل دمنهور , ان الفرنسيس وصلوا ثغر الاسكندرية يريدون غزو مصر . فهبوا يا اهل مصر ايها المسلمون الي نجدة بلادكم و اعراضكم و دينكم .

فقال احد الواقفين علي باب المسجد : من انتما ؟

قال الحاج محمد : انا الحاج محمد المغربي نسيب الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الازهر .

و قال سليمان : و انا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ العميان .

قال احد تجار المدينة الكبار الواقفين بالقرب من المسجد يدعي الحاج محمد البواب : ألست صديق الشيخه أمونة ؟

فشهر سليمان الجوسقي سيفه و ضرب حصانه ليذهب و يقتل الحاج محمد البواب فظهر من وسط الظلام ١٠ و اشهروا سيوفهم استعداداً لقتاله , فأمسك الحاج محمد المغربي يد سليمان و قال له : هذا ليس وقته . **و نادي في الناس :** هذا ليس وقت الشماته او المعايرات , هذا وقت الاصطفاف لقتال الكفار .

فصرخ مجموعة من الناس معظمهم شباب و كبار في السن من متوسطي الحال : الله اكبر الله اكبر .

فشهر الحاج محمد المغربي سيفه و رفعه و رفع سليمان الجوسقي سيفه ايضا و قال : الله اكبر الله اكبر هيا هبوا لقتال اعداء الله . ثم ضربا خيولهما و تحركا .

فنادهم الحاج محمد البواب : الي اين انتم ذاهبان , الن تقاتلا الكفار ؟

فقال سليمان للحاج محمد المغربي : دعني اقتله ارجوك .

فقال الحاج محمد المغربي بصوت عال ردا علي الحاج محمد البواب : سنذهب الي القاهرة لنبلغ اهلها و الحكام .

في الاسكندرية الشيخ محمد كريم و بعض الوجهاء خارجون من صلاة الفجر و يفاجئون ببدوي يأتي مسرعا علي بغله من بعيد يصرخ : يا شيخ كريم , يا شيخ كريم.

و بمجرد ان وصل امام باب المسجد و قفز من فوق البغلة و وقف امام الشيخ محمد كريم و قال بصوت يملئه الرعب : نزل الفرنسيس علي شاطئ العجمي منذ ساعة و بعد عدة ساعات سيصلون الي هنا .

الشيخ محمد كريم : اسمع , اذهب الي مماليك الانكشارية (قوات المشاه) و استدعهم للشاطئ و انا سألحق بهم و اذهب لكاشف (مأمور) البحيرة و بلغه اني اطلب منه ان يجمع الاهالي ويذهب ايضا للشاطئ ليلحق بنا , فهمت؟

البدوي : نعم يا شيخ .

بعد ساعة الشيخ محمد كريم يقف بالقرب من المدخل الشمالي الغربي للمدينة , البحر من امامه و المدينة خلفه و معه حوالي ٢٠ مملوك من الانكشارية معهم بنادق قديمة و كاشف البحيرة و وجهاء المدينة والاهالي معهم بنادق يدوية الصنع و سيوف و سواطير و نبابيت و تتقدم نحوهم قوات المقدمة لجيش نابليون و باقي الجيش لم يكن قد تحرك بعد . فرفعوا ايدهم و بنادقهم امام الشيخ كريم الي ان وصلوا بالقرب منه و توقفوا و تقدم قائدهم و معه المترجم المغربي و قال للشيخ : سيدنا الشيخ , لم أتي لاحاربك , انما جئت فقط لأقرأ عليك هذا , **و رفع المنشور وقال والمترجم المغربي يترجم :**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا اله الا الله لا ولد له و لا شريك له في ملكه

من طرف الجمهورية الفرنساوية المبنية علي اساس الحرية والتسوية و من السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته

يعرف اهل مصر جميعهم أن من زمان مديد يتسلط المماليك في البلاد المصرية و يتعاملون بالذل و الاحتقار في حق الفرنساويين و يظلمون تجارهم بأنواع الايذاء و التعدي , فحضر الان ساعة عقوبتهم . و كنا نعرف من مدة عصور طويلة هذة الزمرة من المماليك المجلوبين من بلاد الابازة و الجراكسة يفسدون في الاقليم الحسن الاحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها مثله فأن رب العالمين القادر علي كل شئ قد حكم علي انقضاء دولتهم .

فتحرك مماليك الانكشارية لينقضوا عليه فسكت الضابط و نظر لهم ثم للشيخ محمد كريم فأشار الشيخ كريم لهم بالتوقف و قال للضابط : اكمل .

يا ايها المصريون قد قيل لكم انني ما نزلت بهذا البلد الا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه , و قولوا للمفترين انني ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين و إنني أكثر من المماليك ايمانا بالله سبحانه و تعالي و احترم نبيه و القران العظيم .

فإبتسم بعض الاهالي و هزوا ادمغتهم و نظروا لبعضهم البعض بإرتياح , بينما التجار يسترقون النظر للأهالي خلفهم و أمامهم المماليك الانكشارية و كاشف البحيرة يغلون من الغضب و الشيخ محمد كريم يبتسم و يغمض عينيه و وجه وجهه للارض و يهز رأسه يمينا و يسارا .

و قولوا ايضا لهم إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشئ الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل و الفضايل و العلوم فقط . و بين المماليك و الفضايل و العقل تضارب . فماذا يميزهم عن غيرهم حتي يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم و يختصوا بكل شئ حسن فيها من الجواري الحسان و الخيل العتاق و المساكن المفرحه . فإن كانت الارض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم . ولكن رب العالمين رؤوف عادل و حليم . ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدًا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها

أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم: إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون؛ وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في روما الكبرى وخربوا فيها كرسي الباب الذي كان دائمًا يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين.

فزاد ابتسامات الاهالي و ابتسم الوجهاء ايضا و نظروا لبعضهم البعض في نظرات سريعة , و المماليك الانكشارية و الكاشف علي حالهم .

و فجأة قفز الشيخ محمد كريم من علي فرسه و اشار للمترجم وقال له : اخرس .

ثم ذهب للضابط وضرب الورقه بيده اليمين و امسك رقبة الضابط بيده اليسار فسُمعت اصوات تعمير بنادق الفرنسيس و قابلها اصوات تعمير بنادق الانكشارية و الكاشف و اشهار سيوف الوجهاء و تعمير بنادقهم ,

وصرخ الشيخ محمد كريم في وجهه الضابط و قال : علي من تضحك ايها الكافر , ايظن زعيم عصابتكم اني سأصدق انه مسلم و ان الفرنسيين مسلمين و انكم آتون الي مصر لتحيوا امجاد عمرو بن العاص ؟

فجأة سُمع صوت خيول كثيرة قادمة و صوت صراخ وراء غبار كثيف قادم من الخلاء بأتجاه البحر و مع اقترابهم خرج من بين الغبار مجموعه من الشباب يتقدمهم ابن الحاج مصطفي بجانبه شيخ قبيلة عرب الهنادي وخلفه عربان قبيلته رافعين البنادق و التفوا حول الجنود الفرنسيين و ضابطهم ,

فأبتسم الشيخ محمد كريم و قال للضابط : بما انك مسلم سأرسلك الان للاخرة و هناك سيستقبلونك الملائكة بأحر ترحاب .

فألقي به و ركض الي حصانه فتقدمت القوة الانكشارية و الكاشف و الاهالي لينقضوا علي جنود الفرنسيس من امامهم و الشباب و عرب الهنادي من خلفهم ففزع الجنود الفرنسيس و القوا اسلحتهم ليظهروا الاستسلام لكن انهال عليهم بارود البنادق ثم توقف ثم انهالت عليهم السيوف الي ان تمزقت اجسادهم و فصل الشباب رأس الضابط

obeikandl.com

و بعد ان انتهوا ذهب ابن الحاج مصطفي مترجلا للشيخ محمد كريم الراكب علي فرسه و كان يكلم الانكشارية و يقول لهم : خذو رأس ذلك الكافر و طوفوا بها شوارع الاسكندرية ليحتفل الناس بالنصر علي الفرنسيس,

فقال الشاب له : شيخ كريم ..

فنظر الشيخ كريم للشاب و قال : نعم

الشاب : انا اسف .

فابتسم الشيخ و قال : ابليت حسنا علي كل الاحوال .

و ذهب .

فانقض الحاج مصطفي علي ولده مداعبا له و نادي في الناس : انظروا الي ولدي يا خلق , اني ربيته علي الجهاد و النضال . لعكم تربون اولادكم مثل ما ربيته لنقهر الاعادي .

ثم مسك رأس ولده من الخلف و وضع وجهه في وجه ابنه و قال له بصوت منخفض و بغيظ : من تظن نفسك يا ابن الكلب , ها , ما الذي جمعك بؤلاء العربان الجرابيع ؟ اصلا كيف اقنعت هؤلاء قطاع الطرق الذين لا مله لهم و لا دين يدافعون عنه بقتال الفرنسيس ؟

فتصنم وجه الشاب و قال و هو فاتحا فاه : ها ؟

فجاء احد صبيان الحاج مصطفي مهرولا مفزوعا يصرخ : يا حاج مصطفي يا حاج مصطفي الحقني يا حاج .

فترك الحاج مصطفي رأس ابنه وقال لصبيه : ماذا حدث يا وجه الفقر ؟

الصبي : لقد فُتحت حوانيتك و مخازنك و فُرغ منها كل السلاح و المال .

فصُدم الحاج مصطفي و استوعب الوضع فالتفت لابنه و اذ به يركض بأسرع ما لديه نحو الصحراء .

obeikandl.com

قبل غروب الشمس في العجمي الجنود يُنزلون الخيول التي تجر المدافع من علي المراكب و علي بعد ٥٠ مترا من الشاطئ نصبت خيمة لانتظار القادة حتي يتم الانزال و التنظيم تمهيدا للتحرك و القادة متجمعون في وسط الخيمة علي طاولة عليها خرائط يتناقشون حولها و نابليون في الداخل يجلس علي كنبة في زاوية الخيمة و امامه ثلاثة من علماء الاقتصاد السياسي القادمين مع الحملة جالسين علي كراسي يقول لأيمنهم : شولكوسكي , لماذا تظن ان نُظم رسوم تسجيل العقارات هذه ستكون عائقا لنا اكثر من كونها معينا لنا ؟

شولكوسكي (رئيس لجنة الاقتصاد السياسي في مجلس علماء الحملة) : لعدة اسباب سيدي , اولها ان هذه صورة من صور الضرائب , واكثر ما أغضب اهل النيل علي المماليك هي تلك الضرائب بصورها الشتي . ثانيا : هذه الرسوم ستطلب اجراء احصاء للعقارات و تسجيل اثباتات ملكية , و هذا ما لم يعهده اهل تلك البلاد قبلا , و بالتالي هذا سيثيرهم . ثالثا : عندما رفع قنصلنا في الاسكندرية تقاريره عن المصرين اوضح لنا ان من اهم ما يستميت عليه المصري و لا يطيق اقتراب احد منه هو داره او عقاره , فلو طلبنا منه المجئ لتسجيله ثم اخذ رسوم عليه سيعتبر اننا اخذنا عقاره منه و اجبرناه علي دفع ايجاره , وهذا اشد ما سيثيرهم

نابليون يغمض عينيه و يهز رأسه بابتسامة استخفاف : شولكوسكي , انا اكرهك من كل قلبي , ما من مرة سألتك فيها عن شئ الا و تفلسفت و توقعت الاسوء .

شولكوسكي مستغربا : ما علاقة الحب و الكره بالحقائق و الوقائع علي الارض ؟ الم نأتي الي هنا لنرفع الظلم من علي الناس ؟ فإذا جئناهم فرضنا عليهم زياده عما كان يفرضه عليهم المماليك ؟ هذا الظلم بعينه .

فقام نابليون غاضبا و اقترب منه و قال له : صدقني لن تمر عجرفتك امامي هذه علي خير يا شولكوسكي.

فجأة دخل ضابط الخيمه مفزوع يصرخ : سيدي سيدي , المصريون ذبحوا كل من كانوا في قوة الاستطلاع .

فصُدم نابليون و نظر لمينو، فنظر كل القاده و العلماء لنابليون الذي ضرب علي جبينه و القي بجسمه علي الكنبه قال : آآآآه , ما هذا الحظ .

وبعد دقائق من الحسرة تمالك نفسه و قام ووضع يداه خلف ظهره و تحرك خطوتان الي ان وقف امام مينو وكليبر ثم لكم مينو اسقطه علي كرسي بجانب الطاوله ثم نظر للقادة و قال بصوت هادئ : هذه لمن يفكر الشماتة بي ان اصاب رأيه واخطأ رأي .

ثم سكت قليلا و تنهد و قال : آآه حسنا , لا بأس , ابدأوا الان بتنظيم قواتكم كليبر في القلب و بون في الجناح الايمن و مينو في الايسر الي ان ينتهي انزال المدافع ثم نتحرك .

obeikandl.com

٣ يوليو ١٧٩٨

الشمس تشرق من جهة البحر اتجاه الشرق و نورها ينزل تدريجا علي عمود السواري الذي ينحت عليه بعض الاشخاص بالزي العسكري الفرنسي و يقف خلفهم شخص يلبس زي النبلاء الفرنسيين و يقول للنحاتين : يجب ان تنحتوا الاسماء كما في الورقة امامكم , لا تقدموا اسم علي اسم , ولا تنسوا اي اسم و اريد الاسماء واضحة يقرأها اي احد بسهوله ..

ثم تركهم و ذهب لكبار القادة الذي يقف امامهم نابيلون فاقترب من ظهر نابليون و قال بصوت منخفض بعد ان اصدر صوت كحه خفيفة : سيدي ..

فاستدار له نابليون و قال له : ها يا ينون ..

ينون (عضو لجنة الادآب و الفنون في الحملة) : باقي ساعة علي الاكثر .

فاقترب منه نابليون خطوة وقال : اسمع يا ينون , اريد ان تنقش اسماء جنود قوة الاستطلاع بخط واضح فوق بعض , ثم يكتب اسم قائد القوة بخط اكبر بجانب اسماء الجنود و ليس معهم , ثم تكتب كلمة رثائهم بجانب اسم الضابط . اريد للناظر للاسماء ان يشعر بمقدار الفخر و الشرف الذي يناله المضحي بنفسه معنا .. واضح ؟

ينون : حاضر سيدي .

نابليون يضرب بخفه علي ذراع ينون مشجعا له : احسنت.

ثم ينظر نابليون ليجد عساكره قادمون نحوه و هم شاهرين بنادقهم في ظهر الشيخ محمد كريم و كاشف البحيرة و المماليك الانكشارية و بعض الاهالي ثم اشار لبعض الجنود ان يأتوا بكراسي و طاوله فجائوا بها ، ثم وصل الشيخ محمد كريم و الباقون فاستهل وجه نابليون و رفع يده مرحبا و تقدم نحو الشيخ وبصوت عالي قال و يترجم له احد المغاربة : اهلا اهلا بالشيخ كريم .

ثم ضرب بيده فوهة البندقية التي كانت في ظهر الشيخ لينزلها ارضاً و قال بصوت مسموع : اخفض هذه .

open-kanagh.com

ثم وضع ذراعه فوق كتف الشيخ كريم و قال له و هما يتقدمان خطوات للكراسي و الطاولة : اهلا بالشيخ البطل اني سعيد جدا بلقائك سيد كريم , تفضل اجلس تفضل .

و سحب الكرسي للشيخ و اجلسه ثم دار حول الطاوله و جلس علي الكرسي المقابل . ثم قال: اهلا بك شيخنا الفاضل .

الشيخ كريم ينظر له و هو ساكت .

نابليون استوعب نظرة الشيخ ثم اظهر للشيخ علامات تفهم الموقف علي وجهه ثم قال : لو وضعت نفسي مكانك يا شيخنا و فكرت بنفس عقلك كنت سأصبح اكثر الناس بؤسا في هذه اللحظة . بالتأكيد , بلدي يدخل عليه اغراب لا اعرف لهم اصل و لا فصل و معهم بعض البنادق و مدافع , سأكون حزينا طبعا . لكني لو مكانك كنت سأفكر بطريقة اخري , سأري كيف هو شعبي , هل فعلا يريد مقاومة هذا الغريب ؟ ولو اراد مقاومته , هل يملك القدرة علي ذلك ؟ فإذا نظرت لاجابة السؤال الاول سأجدها : لا . الم تري كيف ذهبوا لينام في بيوتهم بالامس بعد قضائكم علي قوة الاستطلاع و لم يشعروا بدخولنا و نشر قواتنا في انحاء المدينة الا بعد فجر اليوم التالي , بالله عليك هذا تصرف شعب يعلم ان هناك اغراب علي ابواب بلاده ؟ هذا لو افترضت اني لن اصدق المعلومات التي اخبرتنا عن تخاذل وجهاء المدينة معك في مواجهتنا.

ثم اشار لرجاله بإشارة فظهر من بينهم شاب طويل خمري البشرة مفتول العضلات زعيم لعصابة من العربان هجّامين بالاجرة و قطاعين طرق فقام له نابليون وسلم عليه وقال له بالفرنسية دون مترجم : اهلا بك يا شيخ عمر , هل سلمك رجالي حقك ؟

قال عمر القلقجي و المترجم يترجم للشيخ كريم : نعم .

نابيلون : حسنا . اشكرك علي تعاونك . تفضل مع السلامه .

ثم رجع نابليون للشيخ و جلس علي الكرسي : اتعلم ما حقه يا شيخ ؟ ١٠ الاف فضة و ١٠٠ بندقية و بالتأكيد تعلم ان امثاله المتلهفين لا حصر لهم . ولا اريدك ان تقول هؤلاء عربان لا ذمة لهم و لا دين , فلو ذهبت لاصحاب الطرق الصوفية سيرضون بشئ كهذا او غيره و لكن في النهاية سيرضون . و اذا ذهبت للتجار و فعلت نفس الشئ سيرضون , يكفي التجار ان اكف عنهم المماليك , و العامة اغلبهم يلعنون الحكم و الحكام و لا يعنيهم لا امور الاماره و لا غيرها , كل ما يهمهم ان يأكلون و يشربون و يلبسون و يسكنون , و فقط. و ستجد في النهاية ان من يغير علي بلاده و دينه و عنده حس المقاومة و النضال ليس الا قله لا حول لهم و لا قوه لن يقفوا امامنا اكثر من بضع ساعات.

ثم إسترخي في كرسيه و قال : أما السؤال الثاني , لا داعي للكلام عن قدرة شعبك علي مقاومتنا , فحتي لو عندهم حس المقاومة و النضال , لا يمكن استنهاضه في يوم و ليلة , فحس المقاومة و النضال لابد ان يكون مشتعل في قلوب و عقول الناس في السلم قبل الحرب ليجمعوا قواهم و يبنوا دفاعاتهم و يجهزوا عدتهم و عتادهم .

ثم يقوم من علي الكرسي قائلا : و لذلك بعد أن احسبها بتلك الطريقة سينتهي بي الامر الي ان الزم بيتي و اختفي عن الانظار .

فقال الشيخ كريم : ما المطلوب الان ؟

نابليون اشار بيده فأحضر له احد الجنود شارة الجمهورية الفرنسية هي ٣ دوائر من الحرير مربوطين ببعضهم بالخيط, الدائرة الخارجية بالازرق و داخلها دائرة ابيض و داخلها دائرة احمر تعلق بدبوس علي الملابس , ثم قدمها نابليون للشيخ و قال: ان تعمل لصالح الجمهورية الفرنسية و تعلق هذة علي صدرك مثل هؤلاء .

فنظر الشيخ خلفه فوجد وجهاء المدينة داخلون عليهم بخطوات هادئه منهم من يهندم عبائته و منهم من يضبط عمته و منهم من يفتح زجاجه عطر صغيرة يرش منها و كلهم علي صدورهم شارة الجمهورية الفرنسية و علي يمينهم و يسارهم و خلفهم عساكر فرنسيين فرجع و نظر لنابليون فقال له

نابليون وهو ينظر اليهم : صحيح اني انا من امرت بان يضعوا الشارة علي صدورهم , لكن لم اكن اتوقع انهم سيتقبلون هذا بهذة السرعة .

قام الشيخ و مشي خطوات في طريقه للذهاب ثم نظر لنابليون و قال : أتعرف عمر ابن الخطاب ؟

قال نابليون : نعم .

قال الشيخ : بكي عندما بشره احدهم بالنصر بعد تأخير في احدي الغزوات , فعندما سأله احدهم : أتبكي بعد النصر ؟ قال : انا لا ابكي علي النصر و لكن ابكي علي تأخير النصر فوالله إن الباطل لا يصمد أمام الحق طوال هذا الوقت إلا بذنب أذنبتموه أنتم أو أذنبته أنا , ثم قال نحن أمة لا تنتصر بالعدة والعتاد ولكن ننتصر بقلة ذنوبنا وكثرة ذنوب الأعداء فلو تساوت الذنوب انتصروا علينا بالعدة والعتاد . فأنت لم تنتصر بذكائك , انت انتصرت بذنوبنا التي اضعفتنا , هذا اولا . ثانيا : بالتأكيد جال في خاطري طريقة التفكير التي ذكرتها و سألت نفسي هذان السؤالان و عرفت تلك الاجابات . و اي شخص عادي ليس ذكيا كان سيصل الي نفس النتيجه التي وصلت اليها انت بأن اختفي في بيتي . لكن هناك سؤال ثالث لا تعلمه انت , و هو سؤال الله لي , سيسألني الله يقول لي : ماذا فعلت انت عندما جاء عدوي ليحارب ديني و يقتل عبادي , فمقاومتي لكم سواء أيدني هؤلاء الخائبين ام خذلوني فقط لأرد علي سؤال الله لي ليس اكثر.

فأظهر نابليون علامات الاستغراب الشديد المخلوط بالغضب و الحيرة فإبتسم له الشيخ ابتسامة الحزين ثم مشي ليغادر المكان و مر بجانب مجموعة الوجهاء فامسك بيد احدهم و وضع في يده الشارة و ذهب .

<u>القاهرة ليلا</u> القمر مضيئ و الشوارع الهادئة في منطقة باب الشعرية و اذا بالحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي داخلان بسرعة يقفان امام احدي الحوانيت و يقفز الحاج من علي فرسه ليفتح الحانوت فقال سليمان للحاج محمد : ماذا تفعل يا حاج محمد ؟

الحاج محمد : سأخفي كل ما املك .

سليمان الجوسقي : لماذا ؟

الحاج محمد بعد فتح باب الحانوت يلتف و يقول بكل غضب بصوت مكتوم : الي متي ستظل معتوهاً ؟ ها؟ اذهب بعيد عني , اذهب لامونة و بشرها بقدوم اصحابها ايها العاشق.

فقفز سليمان من علي فرسه و جري و امسك بيد الحاج محمد يقبلها و هو مفزوع : ارجوك يا حاج محمد قلي ماذا افعل انت احكم و اعلم مني .

الحاج محمد : الا تعلم ان المماليك سيصلهم الخبر خلال ساعات ؟ و ماذا سيفعلون بعد ذلك ؟ الن ينقضوا علي الحوانيت و البيوت ليجمعوا كل ما يحتاجونه لحرب الفرنسيس؟ فاذهب ايها المغفل و اجمع الغالي عندك و اخفيه قبل ان لا تجده غدا .

فقبل سليمان يد الحاج محمد مره اخري و قال له و الرعب يدب فيه : شكرا .

ثم جري و قفز علي حصانه و انطلق .

<u>الموسكي بعد ساعة</u> يدخل سليمان الجوسقي في ساحة دار كبير فذهب إلي غرفة خارجية جانبيه و ايقظ ٣ غلمان و قال لهم : استيقظوا ايها البقر .

و ضرب كل واحد فيهم برجله ليستقظوا ثم صرخ فيهم : قوموا ايها الكسالي .

فقام الغلمان مفزوعين و قالوا : سيدي .. ماذا هناك , ماذا يجري ؟

فأشار لإثنين منهما و قال : انتما , في ظرف ساعه تجمعان لي كل العميان في ساحة بيتي هنا , هيا , اذهبا بسرعه .

و نظر للاخر و قال له : تعالي معي .

فخرجوا كلهم من الغرفة , غلامان منهما جريا وسليمان و الغلام ركضا الي الباب الرئيسي للدار فدخلاه ثم ذهبا الي باب مجلس الضيوف علي يمين صالة الاستقبال الصادر من ورائه ضحكات و قهقهات فركله سليمان برجله ففزع الجالسين في مجلس طويل يملئه السجاجيد الفخمه و الكنب و

obeikandl.com

المفروشات المختلفه والشيشه في كل ركن من الاركان و صواني الفواكه و المأكولات المختلفة مصفوفة بجانب بعضها في وسط المجلس فقال احدهم : ابي , ماذا هناك يا ابي ؟

فنظر سليمان للاخرين وصرخ فيهم : اخرجوا من داري .

فخرجوا راكضين ثم نظر سليمان لغلامه و قال له : انتظري بالخارج و اغلق الباب .

فإنفرد الاب بإبنه فقال الابن لأبيه مفزوعا : ماذا هناك يا ابي ؟

الاب : الفرنسيس قادمون .

الابن : ماذا؟ متي ؟ و اين ؟ و كيف ..؟؟

الاب : ليس هذا المهم , المهم انهم بالتاكيد لم يتحركوا من الاسكندرية , و بالتأكيد ان مراد بك و ابراهيم بك هما و عصابتهما لم يصلهم الخبر حتي الان و اول ما سيفعلونه بعد وصول الخبر هو نهب كل ما يحتاجونه لحرب الفرنسيس من متاجرنا و منازلنا . و لذلك لابد من جمع كل قشه لدينا في حوانيتنا و دورنا و اخفائه في مكان لا يعلمه لا انس و لا جن .

الابن : و انا عندي ذلك المكان .

الاب : حسنا , هيا الان نجمع كل ما في هذا البيت .

<u>بعد ساعة</u> سليمان الجوسقي يقف عند باب الدار فوق بضع سلالم و أمامه اكثر من مائة شخص يخطب فيهم : ايها العميان , ان مراد بك و ابراهيم بك سيعلنون الحرب غدا , و انتم اكثر الناس علما بمعني ذلك من خلال التجارب السابقة , فهم سيدخلون كل بيت و حانوت لنا و سينهبون كل شئ ليجهزوا لحربهم . ولذلك اذهبوا الان و في ظرف ساعات اجمعوا كل شئ تملكونه و انا مثلكم لنعطيه لابني ليخفيه في مكان لا يصل اليه جن و لا انس . هل فهمتموني؟

ردوا بصوت واحد : نعم شيخنا و سيدنا سليمان .

obeikandl.com

سليمان : احسنتم . هيا انطلقوا .

ثم نظر لابنه و قال : انهي انت مهمتك انت و حريم الدار، و انا سأذهب و أتي بسرعة .

و تركه و ذهب .

فقال ابنه بصوت عالي مستاء : بالله عليك هذا وقته ؟؟

فترك ابنه و ذهب و لم يكترث.

بعد نصف ساعة يقف سليمان عند دار كبيرة و يطرق الباب فقالت فتاه من خلف الباب : من ؟

فقال : انا سليمان .

فقالت الفتاه : سيدتي , انه سليمان .

ففتح الباب و دخل سليمان في صالة إستقبال كبيرة فيها كنب محيط بالصالة من كل الجوانب و في الوسط مبخرة ضخمة عليها فحم و سيدة المنزل ترش من اجود انواع البخور علي الفحم و الدخان يتصاعد و يملئ السقف و سيدة المنزل ذات الاصول التركية بيضاء البشره ذات وجهه طويل و انف صغير مدبب تلبس بنطال احمر واسع و فوقه لباس اسود لا بالضيق و لا بالواسع عليه قماش ابيض عريض ملفوف علي البطن قريب من اللباس العثماني و شعر طويل فوقه قماشه شفافه لا تخفي الشعر و لا تظهر تفاصيه

سيدة المنزل : اهلا سليمان .

فنظرت كبيرة الخدم للخادمات و اشارت لهن بالتجمع عندها للانصراف و اقترب سليمان و هو ينظر بإضطراب شديد يمينا و يسارا و ابتسامة السيدة بدأت ترتسم علي وجهها . ثم التف الي ان وقف خلفها بعد ان كانت اكتملت ابتسامتها و هي ترش البخور و يرد هو بصوت منهك مختنق و يرد : اهلا أمونة .

obeikandl.com

و فجأة ضربها بكل عزمه بكفه علي اذنها و رقبتها و خدها الايمن فسقطت علي الارض و اندفعت الي ان اصتدمت بكنبه و نزل الدم من فمها و رأسها و غابت عن الوعي ثم انصرف وهو يريد ان يخفي وجهه المنفطر من البكاء و خرجت الخادمات فاطلقن اقوي الصرخات .

في جانب اخر منطقة المشهد الحسيني (الحسين و خان الخليلي) في نهاية احد الشوارع الجانبية الضيقة المضيئ بنور القمر يقع بيت من طابقين يظهر في احد النوافذ المصنوعة من خشب الارابيسك في الطابق الارضي انارة القناديل من الداخل . و فجأة يظهر شخص علي فرس يسرع نحو البيت و يقف امام بابه و ينزل من فرسه و يطرق الباب بقوه و بسرعه ، فقال بصوت ضعيف من الداخل : من يطرق بهذا الشكل في هذا الوقت ؟

الطارق : انا الحاج محمد المغربي يا شيخ عبد الله .

الشيخ عبدالله و هو يمشي للباب : ماذا حدث يا ولدي لتطرق الباب هكذا ؟

ثم فتح الباب شيخ عجوز بعمه ضخمه و وجهه مستدير و عينين ضيقتين و انف طويل و لحية بيضاء ضخمة خشنة الشعر مفلوقة نصفين من نهايتها .

الحاج محمد : كارثة يا شيخ .

الشيخ عبدالله : لا اله الا الله , ادخل يا ولدي ادخل .

و دخل الحاج محمد ليجد ممر صغير في نهايته سلم علي اليمين يسبقه باب غرفه مفتوح و انارة القنديل خارجه منه فدخل فيه الحاج محمد و الشيخ عبدالله بعده ثم اغلق الباب , وكان هناك شخص في الخمسينات من عمره جالس بجانب النافذه يدعي الشيخ محمد العشوبي (شيخ الغورية)

فقال الشيخ عبدالله للحاج محمد : اجلس يا ولدي , ماذا حدث كفانا الله الشر ؟

الحاج محمد : الفرنسيس احتلوا ثغر الاسكندرية.

ففزع الرجلان وضرب الشيخ العشوبي علي عمامته و رفع الشيخ عبدالله يده من الفزع قائلا : سلم يا رب سلم . متي كان هذا ؟

obeikandl.com

الحاج محمد : قبل يومين .

الشيخ العشوبي : و كيف عرفت الخبر ؟

الحاج محمد : كنت هناك و رأيتهم بعيني يا شيخ محمد العشوبي .

الشيخ محمد العشوبي ينظر للشيخ عبدالله : ما الحل يا شيخ عبدالله ؟

الحاج محمد : انت يا شيخ عبدالله شيخ الازهر و انت يا شيخ محمد شيخ الغورية فلو بعثتم للمشايخ و التجار و الوجهاء و دعوتهم للاصطفاف لجهاد اعداء الله سيستجيبون لكم ونوحد قوانا مع مراد بك و ابراهيم بك لنواجه الفرنسيس .

الشيخ عبدالله و الشيخ محمد العشوبي ينظران لبعضهما ثم يضرب الشيخ محمد العشوبي يده فوق عمامته و يرجع الشيخ عبدالله و ينظر للحاج محمد قائلا له : والله يا ولدي ليت الامر بيدينا لنجمع الناس بتلك السرعة كما تقول . نحن في النهاية لسنا الا مستشارين ولاة الامر و لا يصح ان نتصرف بدون الرجوع لهما .

الحاج محمد يقوم من مكانه و علي وجهه علامات الغضب و الاستغراب : حقا ما تقول ؟ ولاة الامر !! اتعلم ما سيفعله هؤلاء ولاة الامر الساقطين اولاد الساقطات ؟ في خلال ساعتين او ثلاثة بعد وصول الخبر لهم سيطلقون كلابهم البشرية لتنهب كل ما يمتلكه الناس ليهبوا هم و الحشاشون الذين معهم لقتال الفرنسيس . و لن يجد الاهالي ما يحملونه ليدافعون به عن انفسهم بعد ان يغتصب الفرنسيس هؤلاء المخنثون . اما لو قمتم انت و المشايخ و الوجهاء للدفاع , سيقوم الناس للدفاع عن شرفهم و عرضهم و سيستميتون في صد الفرنسيس .

الشيخ عبدالله ينظر للارض و يهز دماغه يمينا و يسارا و يقول : لا طاقة لي بهذا . لابد من الرجوع لولاة الامر .

و فجأة ظهر صوت خيول و تكسير و صراخ , فنظر الجميع للنافذه فرأوا خيول رجال المماليك يكسروا الابواب و يقتحموا البيوت , فنظر الحاج محمد للشيخ عبدالله بنظرة الحسرة و خرج من الغرفة ثم فتح باب الدار ليجد جندي مملوكي يهم بكسر الباب و اخر يمنعه و يقول له : ايها الابله هذا بيت شيخ الازهر ابتعد عنه .

ثم نظر للحاج محمد و قال له : هل هذا حصانك .

الحاج محمد : ها , لا ليس حصاني , هذا للشيخ .

فذهب العسكريان من امام الدار

فخرج الحاج محمد وهو يتواري جانبا ليهرب بعيدا عن جنود المماليك و فجأة ظهر في وجهه ثلاثة خيول لثلاثة اشخاص ممن يشرفون علي عمليات النهب فحاول كبيرهم و هو شاب طويل مفتول العضلات المدعو عمر القلقيجي محاصرة الحاج محمد فجعل ظهر الحاج محمد لحائط بيت و وجهه لعمر القلقيجي الذي قال وهو يبتسم بخبث : الي اين يا حاج محمد ؟

الحاج محمد : لا شئ كنت عند نسيبي الشيخ عبدالله الشرقاوي .

عمر القلقيجي : و من كان معكم ؟

الحاج محمد : الشيخ محمد العشوبي شيخ الغورية .

عمر القلقيجي : و فيما الجمع ؟

الحاج محمد : لا شئ فقط زيارة .

عمر القلقيجي : حسنا يا حاج محمد , سأرسل معك هذان الرجلان لتعطيهما ما عندك من سلاح و اموال .

الحاج محمد : الان ليس عندي سلاح و لا مال , كل ما لدي راح بعد ان سطي العربان علي قافلة لي .

obeikandl.com

فنزل عمر من علي فرسه و شهر خنجره و امسك بملابس الحاج محمد و دفعه الصقه بالحائط و وضع الخنجر علي كتف الحاج محمد بحيث أن رأس الخنجر في رقبة الحاج محمد و مقبض الخنجر علي بداية ذراعه و قال عمر له بصوت هادئ : كيف لشريك عبدالله المغربي ذراع مراد بك الايمن في ادارة امواله , ان يقول ليس معي , اتظنني ابله لاصدق هذا ؟

الحاج محمد : عيب عليك يا عمر ما تفعله معي . اولا انت تعرفني جيدا منذ ان كنت صاحب المقهي التي بجانب حانوتي , فمنذ متي عهدت عليّ الكذب ؟ ثانيا هل هذا رد الجميل , الا تذكر عندما دفعتُ عنك رجال مراد بك و ابراهيم بك سابقا و قد كان اسم عمر القلقجي المطلوب الاول ؟

عمر القلقجي مبتسما و متراجعا : صدقت يا حاج .

ثم انزل خنجره و ابتعد خطوه للخلف و هندم لباس الحاج محمد و قال : اذهب و اختبئ في اي مكان حتي لا يأتيك رجالي و يحطمونك .

الحاج محمد : و مالك انت و رجالك بجمع ما في جيوب الناس لصالح المماليك ؟

عمر القلقجي و هو يمشي ليرجع لحصانه : طلبوا مني ذلك و دفعوا لي وانت تعلم منذ ان تركت المقهي وانا اصبحت هجاما بالاجرة .

الحاج محمد : حسنا .

عمر القلقجي بعد ركوبه الفرس : كما قلت لك , اختفي من امام رجالي .

ثم اكمل الحاج محمد السير بجانب حوائط البيوت يتواري فيها و ظل يدخل في الشوارع يمينا و يسارا الي ان وصل لدار كبير و وجد علي بابه اربعة شباب ضخام الاجسام اولهم جالس علي كرسي و الثاني جالس علي حجر و الثالث واقف متكئ علي الباب و الرابع ظهره للحائط فقال لهم الحاج محمد : اريد الشيخ السادات .

الجالس علي الكرسي : الشيخ لن يستطيع مقابلة احد .

الحاج محمد : لماذا ؟

قال المتكئ علي الباب : لديه امور مشغول بتدبيرها .

الحاج محمد : يا ولدي اريده في امر شديد الخطورة .

قال الجالس علي الكرسي : اعرف , تريده من اجل امر الفرنسيس , ولكنه سيذهب غدا لاجتماع المشايخ مع المماليك و مراد بك و ابراهيم بك .

الحاج محمد : و لكني اريده هو وليس المماليك و لا المشايخ .

فتحرك المتكئ علي الباب و المتكئ علي الحائط خطوة للامام اظهارا للغضب و قال احدهم : الم تسمع ما قاله لك , إذهب يا حاج من هنا الله يسهلك طريقك .

فقال الجالس علي حجر : اذهب للشيخ خليل .

فضحك و معه الاثنين الواقفين وابتسم الجالس علي الكرسي ثم تركهم الحاج محمد و ذهب عائدا لشارع الشيخ عبدالله فوقف علي بداية الشارع و نظر فوجد ان عمر القلقجي و رجاله ذهبوا تاركون حصانه مكانه فركض نحوه و فكه و ركبه و ذهب مسرعا .

<u>بعد ساعة</u> وصل الحاج محمد بداية الطريق الصاعد للقلعة فإذا به يجد بشر كثيرون مجتمعون عند القلعة . ثم نظر يساره فوجد سليمان الجوسقي قادم نحوه علي فرس ثم وقف بجانبه و قال للحاج محمد : أذاهب إلي هناك؟

فهز الحاج محمد دماغه اشارةً بنعم و انطلق بحصانه و تبعه سليمان و صعدا الي الجمهور المتجمع عند القلعة فوجدوهم اكثرهم الشباب و كبار السن متوسطي الحال و بعض التجار و الوجهاء الممسكين بقناديل و شعلات و ملتفين حول شخص ذو عمة كبيرة فوقها شال كبير ينزل علي ظهره و اطراف الشال ملفوف حول رقبته و ذو لحيه مختلطه من الشعر الابيض و الاسود و شنب رفيع و عينين صغيرتان راكب فوق حصانه و يمسك علما كبير اسود في منتهي الفخامة من الحرير مخيط علي حوافه خيوط ذهبية و مكتوب عليه بنفس الخياطة الذهبية "لا اله الا الله محمد عبده و رسوله " يطلق عليه الناس " البيرق النبوي " ويخطب فيهم هذا الرجل و خلفه مجموعه من ثلاثة اشخاص اولهم

obeikandl.com

شيخ ازهري عجوز و ثانيهم عمدة حارة في الاربعينيات من العمر و ثالثهم شاب ازهري متحمس .

و يقول للناس : انا عمر مكرم , نقيب الاشراف احفاد خير الخلق و اشرفهم محمد (ص) , اقول لكم , لا , بل أمركم ان تخرجوا بأنفسكم و اموالكم و اولادكم للجهاد في سبيل الله عز و جل . الستم من قال عنكم جدكم (ص) انكم في رباط الي يوم الدين ؟ الم يقل عنكم انكم خير اجناد الارض ؟ هيا هبوا يا خير اجناد الله لنصرة دينكم و صدوا عدو الله و عدوكم . إن مراد بك و ابراهيم بك و المماليك و هم ابغض الناس لقلبي يحشدون الان كل شئ لقتال الكفار . و كلنا نعلم اننا لن نغلب العدو بفرقتنا بل نغلبه بوحدتنا و اصطفافنا علي قلب رجل واحد . وللأسف لابد من ان نقف مع مدمني الخمر و النساء من المماليك في صف واحد لنصبح كثره و قوة لنصد الفرنسيس الكفار غزاة بلادنا . فالان الاولي ان نحارب اعداء الله و اعدائنا ثم اذا دحرناهم نلتفت بعد ذلك لتصفية حساباتنا . فأنا سأبدأ من الغد التجهيز للجهاد و سأنضم لجيش المماليك الذي سيخرج للقتال فتجهزوا و الحقوا بي يرحمكم الله .

فسكت جمهور الناس ثم شق عمر مكرم طريقا بينهم و مشي و خلفه الثلاثة الذين معه و الناس تنظر اليهم بحيرة و خوف و مروا بجانب الحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي و عمر مكرم ينادي : حي علي الجهاااااااد , حي علي الجهاااااااد.

سليمان الجوسقي : من هؤلاء الذين خلفه ؟

الحاج محمد : العجوز هو الشيخ الازهري عبد الوهاب الشبراوي الشافعي .

سليمان : اه هذا اسمع عنه لكني لم اره قبلا.

الحاج محمد : الثاني اسماعيل البراوي الشافعي ابن عمه , والشاب ابن عمهما يوسف المصيلحي الشافعي , و هو شاب ازهري .

سليمان : ولماذا اختصهم الشيخ عمر ؟

الحاج محمد : لانهم عندهم روح العلم و الجهاد و كانوا سنده منذ ايام ثورة القاهرة ١٧٩٥ ضد مراد بك و ابراهيم بك.

بعد اسبوع في رشيد قبل غروب الشمس بساعة في احد الشوارع في وسط المدينة الجنود الفرنسيون واقفون صفين علي جانبي الشارع و امام احد البيوت الكبيرة في الشارع مجموعة خيول عليها كبار قادة الفرنسيس ماعدا فرسين يمسك بهما احد الجنود و صاحبهما يدخلان الدار في المقدمة أثنان من العساكر ثم الجنرال جاك مينو بوجهه الأحمر وسنوات عمره الثماني والأربعين ثم خلفه نابليون ليجدا امامهما سلم من حوالي ٢٥ درجة علي رأس السلم يقف شيخ تجار رشيد يسمي السيد محمد البواب أحد كبار تجار الأرز في رشيد.

ويصيح محمد البواب مرحبا : شرفتم الدار ايها السادة الجنرالات

ويدخل الضيوف بلباسهم الغريب وقبعاتهم الحمراء ذات الريشة البيضاء إلي صالة استقبال يطلقون عليها اسم المندرة ويجلس الجنرالات فوق كنب فخم ، ثم جلس الشيخ محمد البواب بجوارهما , ومن حولهم وأمامهم تناثر العسكر مع نفر من أهل الدار.

قال المترجم : هذا هو الجنرال عبدالله مينو, وقد دخل الإسلام في قلبه.. وينوي أن يصبح مسلما ويشهر إسلامه علي الجميع. ومن تقاليدكم في رشيد ألا يظل الرجل المسلم بلا زوجة, ولقد اختار سراي عسكر رشيد الجنرال جاك مينو بعد أن يصبح مسلما أن يتزوج من بنات رشيد.

ويسكت المترجم لحظة ثم نظر للجنرالات لينقل لهم بالفرنسية ما قاله للحاضرين بالعربية, والشيخ محمد البواب فاتحا فاه مبتسم ابتسامه بلهاء وينظر للمترجم و الجنرالات ثم ينظر له المترجم : نعم , إنها زبيدة ابنتك .

أسقط في يد الشيخ محمد البواب و علامات الاستغراب و الفرحه و الحيره و المفاجأة علي وجهه فقام نابليون وقال له : أعلم انه في دينكم لابد ان تأخذوا موافقة بناتكم اولا قبل الزواج , و لذلك سنعطيكم بعض الوقت لتتشاوروا .

ثم نظر لمينو و قال : هيا .

وينصرف الجنرالات و خلفهم عساكرهم ..ثم ينزل الشيخ خلفهم و هو يقول : نورتم دارانا , لا تغيبوا علينا .

ثم صعد الشيخ بسرعة الحصان إلي الدور العلوي و فتح باب غرفه نوم إبنته الذي خلفه كرسي عليه فتاه فاتنة الجمال , بيضاء , واسعة العيون التي يملئها البكاء , يمكن للناظر ان يري حمرة الدم من تحت بشرة خديها , رقبه طويلة , متوسطة القامه , لا بالسمينة و لا بالنحيلة , تلبس فستان ريفي بني اللون . و تضع فوق رأسها شال مربوط علي شعر بني لامع طويل يهرب منه بعض الخصل من تحت الشال

و يقول لها الشيخ البواب وهو يقفز من السعادة : اتفتحتلك طاقة القدر يا زبيدة , طلب الجنرال مينو يدك , لقد أحبك هذا المجنون .

فجاءت الام مسرعه و قالت : ما هذا الذي سمعته يا ابو زبيدة ؟

فنظر لها الشيخ محمد : كما سمعتي يا ام زبيدة , لقد اسلم هذا المجنون من اجل ان يتزوج إبنتك , لقد وقع مساعد كبير الفرنسيس في حبها .

فقفزت زبيدة من علي الكرسي و هي تبكي و تقول لابويها : هل صدقتما انه اسلم فعلا , هذا اسلم فقط من اجل ان يتزوج بنت عين اعيان رشيد , وانا اقطع ذراعي ان كان يحبني , مؤكد ان قائده هو من امره بذلك.

قال الوالد ساخرا : لماذا لم يقل لكليبر او بون أيتها الذكية؟ لماذا اختار مينو تحديدا ؟ اكيد ان مينو وقع في حبك فطلب من قائده الزواج منك فوافق .

فصرخت زبيده : اقسم لكم هذا ظلم ما بعده ظلم , كيف تزوجني من رجل من اخر بلاد الدنيا لا اعرف له لغه ولا دين ولا عادات و لا تقاليد . وقد فعلتم هذا بي في الزواج الاول من سليم اغا ذلك الملعون السكير المغرور . و قد سجدت لله شكرا بعد ان مات . الان تعيدون الكره , الا تملون ؟

فهجم عليها ابوها و قال : ان لم تتزوجيه , سأجعلك تتمنين الموت ولا تجدينه.

ثم تركها و ذهب .

الجمعة ١٣يوليو ١٧٩٨:

مجموعة من الفرسان المماليك في البر الغربي لنهر النيل رافعين بنادقهم و بعضهم شاهرين سيوفهم يهجمون بخيولهم باقصي سرعه بإتجاه الفرنسيس و هم يكبرون و يهللون , يتقدمهم قائدين اولهم رجل سمين ووجه غليظ و لحية كثيفة من الشعر الملتوي يمينا و يسارا و يلبس عمامة ملتفه حول طاقية مثل طواقي الصوفيين الاتراك و الثاني رجل بجسم عادي ذو لحية صغيرة و يلبس عمامة مثل عمامة زميله , وخلفهم مجموعة ضخمة من قوات المشاه أغلبهم من الشوام و المغاربة و مماليك البلقان في اوروبا رافعين بنادقهم و سيوفهم يركضون خلف الفرسان بأقصي سرعة هجوما علي العدو . و في نهر النيل بجانبهم الايمن مراكب حربية تابعة للمماليك تهجم بكل قوتها علي مراكب الفرنسيس .

و عندما إقترب قائدان المماليك و فرسانهما من طلائع الفرنسيس , توقف قائد هذه الطلائع الفرنساوية و أمر عساكر البنادق الذين علي الخيول و المشاه بالتقدم امامه و انتظار الامر منه للإطلاق , و بالفعل نفذ الجنود الامر وقال القائد : لا تضربوا الا بعد امري , اصبروا .

ثم انتظر بضع دقائق ثم صرخ و قال : اضرب .

ففوجئ قائدان المماليك و فرسانهما بوابل من الطلقات من بنادق آلية و متتابعة الرمي فتوقفوا جميعا و بدأوا يطلقوا من بنادقهم الغير آلية و غير متتابعة الرمي و التي لابد حشوها طلقة بطلقة . فوجدوا انه بعد اول طلقة اطلقوها كان قد نزل عليهم مطر من الطلقات و مات منهم الكثير , فصرخ القائدان لفرسانهم و هم يلتفو للهروب : اهربواااا .

فقال قائد طلائع الفرنسيس لجنوده : توقفواا!.

اثناء رجوع القائدان و فرسانهما وجدوا ان قوات المشاة قد سبقوهم الهروب بمسافة كبيرة وعلي الجانب الايسر نظروا وجدوا ان مراكبهم الكبري تحترق و عدد قليل من المراكب الصغري تهرب فقال القائد السمين للاخر : ماذا يحدث يا ابراهيم ؟

فنظر ابراهيم بك له بإستخفاف و احتقار فإستغرب السمين ثم غضب و صرخ فيه و قال : كيف تنظر لي هذة النظرة ايها الخسيس .

فشد ابراهيم بك لجام فرسه و ابتعد عنه .

في الجامع الازهر يجلس الشيخ عبدالله الشرقاوي علي كرسي مرتفع خلفه من يساره محراب الجامع ثم المنبر بعد المحراب و أمامه الشيخ محمد العشوبي و بجواره شيخ يلبس عمامة خضراء ملفوفه علي طربوش احمر ذو وجه صغير و عيون صغيرة و فم صغير و لحية بيضاء صغيرة و يلبس افخر انواع العباءات مخيط فيها الفرو من ناحية الرقبة و الصدر و بجوارهما شيخ ذو عمامه بيضاء كبيره وجهه طويل و عيناه خضراء و لحيته طويله من شعر متعرج يلبس عباءه تساوي درجة فخامة الشيخ الذي قبله و بجوارهم الحاج محمد المغربي و الشيخ سليمان الجوسقي و خلفهم جمع لا يعد و لا يحصي من الناس يجلسون علي هيئة مجموعات بعضها ترفع لافتات , احد اللافتات مكتوب عليها " مشايخ الاحمدية " و اخري مكتوب عليها " مشايخ الرفاعية " و اخري " مشايخ الابراهمية " و أخري " مشايخ السعدية " و هكذا, و اصحاب اللافتات هؤلاء يهزون رؤسهم و اجسادهم اكثرهم جالسون علي الارض وبعضهم واقف و يهمهمون ويقولون : يا رب يا رب , يا لطيف يا لطيف .

سليمان الجوسقي ينظر بإستغراب شديد للحاج محمد المغربي وهمس في اذنه : ما هذا الكتاب الذي اعطيتني اياه ؟ ولماذا نحن هنا اصلا و الفرنسيس علي ابواب مصر؟

الحاج محمد : هذا كتاب البخاري . هذا ما قاله مشايخنا و علمائنا فأفعل كما يفعلون و انت ساكت .

الشيخ عبدالله الشرقاوي يقلب في صفحات الكتاب و المشايخ و العلماء و الوجهاء الذين أمامه و المجموعات التي لا ترفع لافتات , كل منهم ممسك بكتاب في يده و يقول لهم الشيخ عبدالله : افتحوا باب الجهاد و السير حديث فضل من جهز غازيا او خلفه بخير .

ثم نظر لهم و قال : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين قال حدثني يحيى - قال حدثني أبو سلمة قال حدثني بسر بن سعيد قال حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ) قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا

ثم نظر الشيخ عبدالله لشيخ محمد العشوبي : هيا يا محمد اعد علي المسامع هذا الحديث .

فكرر الشيخ محمد العشوبي الحديث.

ثم نظر الشيخ عبدالله للشيخ صاحب الوجه الصغير و قال : شيخنا السادات , تفضل .

فكرر الشيخ السادات الحديث .

الشيخ عبدالله : كرروا في سركم الحديث مع المشايخ , هيا افتحوا باب المظالم , حديث "ألا لعنة الله علي الظالمين" . ثم نظر لهم وقال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا همام قال أخبرني قتادة عن صفوان بن محرز المازني قال بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما " آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)

ثم نظرالشيخ عبدالله للشيخ ذو الوجه الطويل : الشيخ خليل البكري , تفضل .

فكرر الشيخ خليل البكري الحديث و صوته متقطع و متوتر , يكاد يغمي عليه من الرعب .

ثم نظر للحاج محمد المغربي و قال : تفضل يا حاج ..

obeikandl.com

فقاطعه سليمان الجوسقي و قال للشيخ عبدالله : هلا شرحتم لي ما الذي نفعله هنا , اليس واجبا علينا ان نهب لقتال الفرنسيس ؟

فقال له الشيخ عبدالله : سنذهب فعلا , و لكنا نقرأ البخاري لينصر الله جنودنا المرابطون لهم هناك .

سليمان : حقا , و متي ستذهبون ؟ بعد ان نجد الفرنسيس علي باب الجامع , ها؟

فإستنفر الشيخ عبدالله و الجالسون من كلام سليمان فوغزه الحاج محمد المغربي و قال له بغضب مكتوم : اسكت يا سليمان اسكت .

فغضب سليمان و قام و تركهم فتبعه الحاج محمد ولحقه خارج ابواب الجامع عند مربط الخيول فقال له : سليمان انتظر .

فرد عليه سليمان بغضب و استخفاف : إعتبرتك قدوتي في كل شئ , و الان تجرني كخروف لانضم لقطيع من الخراف بعد ان كنا بالأمس خلف عمر مكرم القائد البطل حامل بيرق النبوه ...

فضحك الحاج محمد ساخرا و مقاطعا له : ها ها ها , من الذي يتكلم عن البطولة وبيرق النبوه , صاحب الشيخة أمونه ؟ من الذي كان ينقل لماجلون كل دبة نملة في البلاد , اليست هي ؟ كنت تعلم انها تنقل الاخبار لهم , لا بالعكس كنت تغريها بالاخبار التي عندك حتي تأتيك و تسهر معها الليالي , و عندما كنت احذرك , كنت تقول لي و ماذا سيستفيد الفرنسيس من تلك الاخبار اكثر من ان يقتنصوا تجارة من هذا التاجر او ذاك ...

فقاطعه سليمان بلكمه علي وجهه أردته أرضا و بثق عليه و قال : ماذا أنتظر من متقرب و منتفع من مشايخ النفاق و مماليك الفساد الا المعايرة و الشماته .

و ذهب و تركه.

oberkampf.com

<u>علي بعد بضع كيلومترات</u> من موقع هزيمة المماليك امام طلائع الفرنسيس يقف ابراهيم بك بحصانه علي شاطئ النيل و تقترب منه المراكب الاتية لانقاذ الهاربين ,الي ان رست امامه اول مركب و قال احدهم لابراهيم بك وهو يهم بركوب المركب : اين مراد بك يا سيدي ؟

ابراهيم بك و علي وجهه الاستياء : انقلع من هذة الجهة.

الجندي : واين انت ذاهب سيدي؟

فدفعه ابراهيم بك من وجهه و قال له : أتستجوبني ايها النكرة ؟

وطلع للمركب و قال للمراكبي : اذهب بنا للبر الشرقي .

فإلتف المركب و بدأ التجديف ، ثم رست باقي المراكب التي ركبوها جنود ابراهيم بك ، و نادوا علي جنود المشاه في مؤخرة جيش مراد بك : الي اين انتم ذاهبون ؟

فرد احدهم : الي انبابة . فإتبعونا .

<u>علي البر الشرقي</u> ينزل ابراهيم بك قرب زاوية علي بك ببولاق و هي جزء من بيت كبير ملك علي بك احد كبار المماليك مطل علي النيل عبارة عن اربع اعمدة علي الطراز العربي و سقف من الاخشاب بها اربعة اسوار قصيرة بين الاعمدة و الارضية بها افخر انواع السجاد و بها ثلاث كنبات من الكنب الملكي جالس علي احدها ابو بكر باشا حاكم مصر من قبل السلطان العثماني في الاستانة , فدخل عليه ابراهيم بك و قال متلهفا : اين العلماء و الوجهاء ؟

قال ابو بكر باشا و هو يرتجف من الخوف : لم يأتوا بعد ؟

ابراهيم بك و هو غاضب : لماذا لم ترسل لهم .

ابو بكر : قالوا انهم سيجتمعون في الازهر يقرأون البخاري لعل الله يفرج عنا.

ابراهيم بك يضرب علي رأسه متحسرا : اااااه , اهذا وقته , وهل انقذنا هذا ؟ من قال لهم يفعلوا ذلك ؟

oberkampf.com

ابو بكر : مراد بك .

ابراهيم بك : لعن الله هذا الخنزير .

فظهر من بعيد الشيخ عبدالله الشرقاوي و السادات و خليل البكري و محمد العشوبي و الحاج محمد المغربي و عدد من المشايخ و وجهاء المدينه فقال ابراهيم بك : هاهم مشايخ الغفلة .

ورمي بجسمه علي الكنبه منهكا .

بعد دقائق دخل الشيخ عبدالله الشرقاوي و السادات و خليل البكري و محمد العشوبي و هموا بالجلوس و الباقون واقفون فقالوا بعد تنهيدة العجائز : السلام عليكم .

ابراهيم بك : اين عمر مكرم ؟

فنظر المشايخ لبعضهم و قال الشيخ خليل البكري غاضبا : و لماذا تريد ..

فقاطعه ابراهيم بك و قام غضبانا و قال : لا تفتح فمك يا شيخ الغناء و و ليالي السهر .

فقام الشيخ خليل البكري من المجلس و ذهب غاضبا ,

ثم نظرابراهيم بك للشيخ عبدالله الشرقاوي و اقترب من وجهه و قال له بصوت غاضب مكتوم : قل لي ان عمر مكرم لن يأتي .

فقال الشيخ عبدالله : لا اعلم .

فالتف بجسده غاضبا و ضرب برجله رجل الكنبه و رفع يده متحسرا و قال صارخا : انتم لا قيمة لكم في قلوب الناس التي تريد الجهاد , انتم شيوخ كنا نخمد الناس بكم , و قد جاء اليوم الذي نحتاج فيه الشيوخ القادرون علي استنهاض روح البطولة في الناس , ولكن هيهات , فقد اشترينا عداوتهم سنوات بعد سنوات .

obeikandl.com

ثم التفت للمشايخ و للباشا وقال : قولوا لي ايها الخارقون ماذا نفعل ؟

فقال الحاج محمد المغربي: ليس عندنا الا التترس , فكل ما نملكه هو بناء المتاريس من بولاق الي شبرا .

فنظر اليه ابراهيم بك صامتا عدة ثواني ثم نظر لهم و قال : هل عند احدكم فكره من اين سيأتون ؟ هل سيكملون في البر الغربي ؟ ام سيعبرون الي الشرقي ؟

فقاطعه الحاج محمد قائلا : الاثنين , اعمل حسابك انهم قادمون من البرين , و جهز قوات علي البرين , فإذا جائوا من البر الشرقي او الغربي يجدونا مستعدين .

فقال ابو بكر باشا و هو مرعوب : و هل لدينا ما يكفي لتأمين البرين ؟

فنظر له ابراهيم بك غاضبا : اااه , لا ينقصني الا هرطقة هذا المدلل .

فنظر ابو بكر باشا له مجروحا و نظر المشايخ و الوجهاء لبعضهم و للارض احرجا من هذه الكلمه , ثم نظر ابراهيم بك للحاج محمد و قال له : اكمل

الحاج محمد : نسق مع مراد بك بأن يأمن هو البر الغربي و انت تؤمن الشرقي و تقسمون المدافع علي كل بر لقسمين الاول موجه للنيل و الاخر موجه للشمال جهه قدوم العدو .

قال ابراهيم بك : احسنت , و ستكون انت رسولي لمراد , فاذهب الان .

ثم خرج ابراهيم بك و نادي احد مساعديه , و ابتعد قليلا عن الزاوية و وضع ذراعيه فوق كتف مساعده و قال له و هم يمشيان بعيدا : اسمع ، ليس لك دخل بكل هذا الهراء , لك مهمه واحدة لو نفذتها سأعطيك ما لا تحلم به من المال , مهمتك ان تنزل علي قصري الذي تعرفه و تأخذ كل قطعة فيه كبيرة كانت او صغيرة و انقله الي بيوت صغيرة لي في اماكن مختلفه من البلد ستبلغك زوجتي زخيلة بأماكنهم , واذا لم تستوعب هذه البيوت كل مقتنياتنا فستذهب بالباقي الي اقاربنا و من نثق فيهم و زخيلة ايضا تعلم اماكن هؤلاء .

obeikandl.com

انهي هذه المهمه ثم عد و بلغني . ها ، سمعتني ، لابد ان تأتي و تبلغني حتي و إن رأيت نابليون واقف بسيفه فوق رأسي . اتفقنا ؟

هز المساعد رأسه و قال : امرك سيدي .

<u>في مكان هزيمة المماليك مع طلائع الفرنسيس</u> في ارض صحراوية خالية علي بعد ربع كيلومتر عن شاطئ النيل تحت مظله كبيرة تشبه رأس خيمة مثبتة في بأربعة اعمدة حديديه مغروسة في الارض و عمود في الوسط ، يقف نابليون وقادته تحتها متلفين حول طاولة عليها خرائط ,

يقول نابليون : كليبر و مينو و بون , انتبهوا لما سأقوله بالحرف الواحد , الخطة كالاتي : سيتكون الهجوم من هجوم بري و هجوم بحري . فقواتنا البرية ستسير علي البر الغربي بمحاذاة شاطئ النيل علي تشكلة " الجناح الايمن – القلب – الجناح الايسر " . و عند مقابلة العدو سننفذ خطة التطويق التي وضعنا ملامحها سابقا و هي مكونة من ١٢ نقطة :

١. قوات القلب ستنقسم الي اربعة اجزاء متساوية , الجزء الاول سيلتحم مع قوات الجناح الايمن و سيلتحم معهم قوات الجناح الايسر .
٢. سيبدأ الجزء الثالث من قوات القلب بتجميع مدافعه و البدء بالقصف .
٣. ستنزل مدافع "جريبوفال" المتحركه من المراكب علي الشاطئ في نقطة تكون مقابلة للعدو و بمجرد نزولها يبدأ القصف بإتجاه المماليك .
٤. ستنشغل قوات المماليك بالقصف من الشمال من قوات الجزء الثالث من القلب و من الشرق جهة النيل من مدافع المراكب حينها تتحرك القوات الملتحمه (الجناح الايمن و الجناح الايسر و الجزء الاول من القلب) جنوبا من الجهة الغربية للعدو .
٥. بمجرد الوصول الي الجانب الغربي للعدو تنقسم قوات الجناح الايمن الي نصفين و يتوقف النصف الاول و يبدأوا بالهجوم علي المماليك من جهة الغرب بينما باقي القوات تكمل مسيرها جنوبا ثم تبدأ بالالتفاف شرقا من خلف المماليك .
٦. في هذه اللحظة يتحرك الجزء الثاني من قوات القلب لتحل محل الجناح الايمن و تبدأ بشن هجوم علي المماليك من الشمال الغربي .
٧. بينما يتحرك الجزء الرابع من قوات القلب لتحل محل الجناح الايسر و تبدأ شن هجوم علي المماليك من الشمال الشرقي .

obeikandl.com

٨. مع بداية التفاف القوات المتحدة شرقا يتوقف النصف الثاني من قوات الجناح الايمن و يبدأون الهجوم علي المماليك من الجنوب الغربي .
٩. بعد التوغل شرقا يقف الربع الاول من قوات القلب في الجنوب و يشنوا هجوما علي المماليك من الجنوب بينما تكمل باقي القوات مسيرها ثم تبدأ بالإلتفاف لتتجه شمالا من الناحية الشرقية .
١٠. حينها تنقسم قوات الجناح الايسر نصفيين و يقف النصف الاول في الجنوب الشرقي للمماليك ويشنوا عليهم هجوما و تكمل باقي القوات مسيرها متجهه شمالا.
١١. تعطي باقي القوات المتحركة انذارا للمدفعية القادمة من السفن بالتوقف عن القصف.
١٢. يقف النصف الثاني من قوات الجناح الايسر شرق المماليك و يشنوا هجوما عليهم , من امامهم المماليك و ظهرهم للنيل تحميهم المراكب الفرنسية.

هل من سؤال ؟

القادة : لا

نابليون : اهم شئ بالنسبة لي , اريد مجزرة في البداية لا ينسوها , لكن إن انهزموا , افتحوا لهم طرق متفرقة للهروب , ليس طريقا واحدا يهربون منه كتله واحده , لا, طرق مختلفة . و اذا انهزموا قبل ان تكملوا خطة التطويق , اكملوها لكن دون قصف . و بعد ان يهربوا جميعا ارجعوا الي ما كنتم عليه قبل تنفيذ الخطة يعني قوات الجناح الايمن ترجع مكانها و هكذا القلب و هكذا الجناح الايسر . مفهوم ؟

القادة : نعم .

obeikandl.com

الأربعاء ١٨ يوليو ١٧٩٨ :

على اطراف القاهرة عمر القلقجي راكب علي فرسه وسط مجموعة من الفرسان يقول لهم : لا تلتفتوا للحوانيت , فالحوانيت من المؤكد ان احدهم نهبها او اصحابها افرغوها لعلمهم انها ستنهب . ركزوا علي البيوت و خصوصا بيوت و قصور المماليك , فإنهم أخذوا كل رجالهم للقاء الفرنسيس و بيوتهم الان عارية . و بالتأكيد تعلمون ان كل ما اخذناه من بيوت و حوانيت اهالي الارياف الايام الفائته لا يعد شيئا بالنسبة لما هو موجود في بيوت أولئك الخنازير . فلا اريد تقاعسا او اهمالا . مفهوم؟

احد فرسانه : و لكن يا سيدي ثقلت غنائمنا من اهالي الارياف علي دوابنا و لا نجد ما سنحمل عليه ما سنأخذه من بيوت المماليك و وجهاء هذه المدينه , فإن غنائم بيت واحد منهم ربما تعادل كل ما جمعناه من بيوت الرفيين جميعهم .

عمر القلقجي : صحيح , ولهذا سأذهب أنا و ثلاثة او أربعة من الرجال مع الغنائم نخبها في الجبل خلف القلعة . و بعد ان نعود ننطلق جميعنا لبدء مهمتنا.

احد الفرسان : وهل تظننا سذج لنتركك تذهب بالغنائم وحدك ؟ نحن معك خطوة بخطوة الي ان ننتهي من هذة المهمة و نتقاسم و كل حي يأخذ نصيبة .

فأظهر عمر علامات الاستغراب علي وجهه و قال لهم : ماهذا؟ اتشكون في ؟

قالوا في صوت واحد : نعم

عمر : الا يكفيكم ضمانا اني كأي عاقل لن التفت الي غنائم الرفيين الضئيلة و انتظر مثلكم غنائم المماليك الدسمة ؟

قال احدهم : لا يكفينا , نحن لا نضمنك و لو تركت عندنا يديك و رجليك وذهبت بدونهما .

فطارت علامات الاستغراب و الخبث من علي وجه عمر وقال : ماذا سنفعل اذا بهذه الغنائم ؟

فقال احدهم : سنذهب معك نخبأها في الجبل ثم , تنزل معنا لنقضي مهمتنا .

عمر : حسنا , اذهبوا انتم بالغنائم خبئوها و اتركوا منكم اثنين معي لنتجول و نتفحص البلد لنجمع المعلومات عن البيوت التي نستهدفها , فبمجرد رجوعكم من الجبل سأتيكم و ننطلق . هل هذا جيد ؟

قالوا : نعم جيد .

عمر : حسنا .

ثم أشار لاثنين منهم و قال لهما : اتبعاني . ثم انطلق .

فدخل عمر المدينة و ظل يتجول في شوارعها فوجدها خاليه و القذورات مرمية في كل مكان و القناديل غير مضائة , فقال في استياء : ما هذا القرف , لماذا لا يكنس احدا امام بيته او حانوته و لماذا لا يرشون الماء و يضيئون القناديل ؟

فإبتسم احد الفارسين اللذان معه و قال : الست من هذه الدنيا ؟ الناس منذ ايام و هم يتجمعون و يرابطون عند البر الشرقي في بولاق ليتمترسوا استعدادا للقاء الفرنسيس.

فنظر له عمر مستاءا : و لماذا تبتسم ايها اللابله ؟

فقال : لان فتوه مثلك تارك الرباط مع المجاهدين و يعس علي السرقة .

فضحك عمر و قال : و لماذا لم تسأل نفسك هذا السؤال ؟

فإبتسم الفارس و نظر امامه متحسرا : لأني قذر مثلك .

فاستغرب عمر ثم نظر امامه فرأي جمع من الناس في ساحة السوق الذي في نهاية الشارع الذين يمشون فيه و الحوانيت مغلقة وامام الناس اربعة اشخاص يخطبون فيهم فأشار الي الفرسان الذين معه بأن يتوقفوا و ينزلوا من علي خيولهم فنزل هو من فرسه و تلثم و اخفي وجهه و مشوا بهدوء إلي ان انضموا لمؤخرة الجمع فوجدوا الاربعه الذين يخطبون في الناس يظهر عليهم علامات الغني و الوجاهه يقفون امام الناس

oberkandl.com

و يقول احد الاربعة : ان التجار الاجانب في بلادنا اتحدوا مع نصاري الشوام و الاقباط المصريين و الاروام و نقلوا اخبار كل كبيرة و صغيرة للفرنسيس علي مدي سنين طويلة سابقة تمهيدا لغزوهم لنا . ولم يكتفوا بذلك فقط , اغدق عليهم الفرنسيس برؤوس اموال و بضائع ليبتلعوا اسواقنا و يجعلونا شحاذين لا نجد ما نشتريه و نبيعه ثم نتحول لأذلاء لهم . ولولا تضيق ولاة الامر عليهم لكان تحقق ما ارادوا . و لهذا عندما فشلوا في تركيعنا تجاريا , جائونا بعسكرهم ليركعونا بالسلاح . ولذلك وجب علي جنود بلادنا محاربة عساكرهم , اما نحن , فواجب علينا ان ننقض علي اذرعتهم في بلادنا و هم النصاري و نأخذ كل ما عندهم في حوانيتهم او بيوتهم او كنائسهم او اديرتهم .

فصرخ الناس و قالوا : الله اكبر الله اكبر

فقال الرجل : هيا انطلقوا و لا تتركوا شيئا.

فنظر عمر القلقجي للاثنين اللذان معه و استدار و رجع لفرسه و هم معه و ركبوا خيولهم و انطلقوا الي المكان الذي تركوا فيه زملائهم .

وصل عمر القلقجي و الفارسان فوجدوا زملائهم قد وصلوا لتوهم فقال احد زملائهم لعمر : ما الخبر ؟

عمر : سيذهب الناس للبيوت النصاري و حوانيتهم و كنائسهم لينهبوا ما فيها .

فقال الفارس : حسنا فلنذهب معهم .

عمر : اصبر لو ذهبنا مع الناس لن نحصل الكميات التي نريد , ما في بيوت المماليك اكثر مما في بيوت المصريين كلهم من الاسكندرية الي الصعيد .

الفارس : و لكنا اذا دخلنا بين الناس سنختفي وسطهم و لن يكشفنا احد .

عمر : رجال المماليك في الحرب و لن تجد علي بيوتهم الا أنفار قلائل سنقتلهم بضربة سيف واحده .

قال باقي الفرسان للفارس : نعم صدق عمر .

obeikandl.com

قال الفارس : اذا هيا بنا , بمن سنبدأ ؟

عمر : بقصر مراد بك .

<u>في احد الطرق القريبة المؤيدة لقصر مراد بك</u> , عمر القلقجي و زملائه لابسين ملابس عادية و يمشون بخيولهم بهدوء حتي لا يستنفروا الناس ضدهم و ينظرون يمينا و يسارا و اذا بالناس في حالة هياج شديد والناس تكسر في الحوانيت و يسرقونها

و هناك من يركض و هو يحمل شوالين فوق ظهره و اخوته يلحقونه بمثله و كبيرهم واقف علي باب حانوت مكسور بقنديل للاضائه ثم بعد ان انتهو هرب و لحقهم

و اخر يقفز من سلالم بيت و هو يهرب و في يده صندوق يتساقط منه قطع ذهبيه و النساء في البيت يصرخن

قال احد الفرسان اللذان كانا مع عمر في اجتماع السوق : هذة ليست بيوت نصاري , فلماذا ينهبونها ؟

فإبتسم عمر و قال له : و هل صدقت ان ذاك التاجر الخنزير امر الناس بنهب بيوت و حوانيت النصاري عقابا لهم علي تعاونهم مع الفرنسيس فعلا ؟ هذا التاجر لو بحثت في اسراره ستجده نفع تجار و جواسيس الفرنسيس اكثر من النصاري . ان هؤلاء الغوغاء الذين امامك و هذا التاجر و غيرهم يستغلون الفراغ الذي احدثه غياب رجال المماليك , فانطلقوا ليحققوا حلمهم في النهب و السلب الذي كان المماليك يحرمونهم منه بسبب نهب المماليك لكل كبيرة و صغيرة في البلد .

فضحك احد الفرسان و قال لعمر : و ماذا نفعل نحن ؟

قال عمر مبتسما : نأخذ حصتنا من النهب .

obeikandl.com

و بعد انتهاء الطرق ظهر امام اعينهم قصر مراد بك و أمامه نفر من الحرس , فأشار عمر لزملائه بالتفرق يمينا و يسارا و تقدم هو في اتجاه مستقيم و دخل علي الحرس و قال : هاااا اهلا بالبائسون .

فقال كبيرهم و هو يتلفت يمينا و يسارا و يشير لحرسه بالانتشار يمينا و يسارا و قال لعمر : عمر , هذا ليس وقتك يا عمر .

فأظهر عمر علامات الاستغراب الماكر و قال : ما بك يا رجل , لماذا انت حاد هكذا ؟

فعندما اقترب الحرس من زاويا السور الامامي للقصر , ظهر رجال عمر بالبنادق مشهره و معمره في وجهه الحرس ففزعوا و فزع كبيرهم ثم نظر لعمر و قال : عمر , لا تطلق النار , المنزل فارغ , مراد بك افرغه لم يترك فيه الا الرخام علي الارض و الحوائط .

فطار عقل عمر من الغضب أمسك برأس كبير الحرس و قال : ماذا تقول ايها الساقط ؟

كبير الحرس : ادخل و انظر بعينيك .

فدخل بفرسه بسرعة و تبعه بعض من فرسانه و كسر باب القصر و دخل فوجد القصر فارغا تماما , فلطم من دخلوا معه علي وجوهم و بعضهم نزل علي ركبتيه و ضرب عمر علي رأسه ثم خرج و شهر بندقيته في رأس كبير الحرس و قال له : طبعا لو علمت ان احدا من رجال مراد بك علم بقدومي , سأسلخك حيا انت و شبابك هؤلاء , اتفقنا ؟

فقال له : اتفقنا .

فجري عمر و تبعه فرسانه فقال احدهم لعمر : هيا الي قصر ابراهيم بك .

فقال له عمر : لا بل سنذهب الي بيوت المماليك الصغار الذين ليس لديهم رجال ينقلون لهم متاعهم . وليس مستبعدا ان نجد هؤلاء الخنازير الكبار ارسلوا متاعهم لخنازيرهم الصغار .

الخميس ١٩ يوليو ١٧٩٨ :

علي البر الشرقي للنيل بجوار بولاق الخيم منصوبة و اصحاب الحرف و التجار و متوسطي الحال و الشباب من أهل بولاق والفسطاط و مصر القديمة مجتمعين يتعاونون علي اقامة المتاريس و التجهيز الخيم للمرابطة للقاء العدو و بعض الشباب يجمعون الاموال من المتبرعين المتزاحمين ليتبرعوا بكل ما يملكون من اموال في سبيل الله , و مقاول يشرف علي العمال و هم يشيدون اسوار صغيره من اشولة الرمل ليختبؤا خلفها و يطلقوا النار علي العدو منها . و في ظل كل هذا يعبر بجوارهم الشيخ عمر مكرم و بيده العلم الاسود الكبير المسمي بالبيرق النبوي و خلفه الشيخ عبد الوهاب الشافعي الشيخ الازهري الفقيه و ابن عمه الشيخ الازهري عمدة احدي الحارات الشيخ اسماعيل الشافعي و الشاب الازهري يوسف الشافعي و معهم سليمان الجوسقي و خلفه ابنه و خلفهم جيشان يمشيان في كتلتان متوازيتان و ينادي الشيخ عمر مكرم : حي علي الجهاد حي علي الجهاد .

فتصيح الجماهير : الله اكبر الله اكبر .

وبعد مسافة مر الشيخ عمر مكرم و من معه امام زاوية علي بك الجالس فيها الباشا الوالي و المشايخ و الوجهاء وهو ينادي : حي علي الجهاد حي علي الجهاد .

فقال الشيخ السادات : من هذان الجيشان اللذان معه ؟

فقال احد الوجهاء : الاول جيش العميان اتباع سليمان الجوسقي و الثاني جيش من الأرنؤد (جنود من دول البلقان تابعين للمماليك) قادمون من دمياط .

قال الشيخ محمد العشوبي : و من جمع الشامي علي المغربي ؟فلم يجبه احد.
وظلوا سائرين بهذا الشكل الي ان وصلوا الي المعدية وانتظروها قليلا لي ان وصلت فوجدوا شخصا نازل منها فامعن سليمان الجوسقي النظر فوجد الحاج محمد المغربي ينزل من المعدية و يتجهه للزاوية فإتجه له سليمان جانبا و اوقفه و قال له : من اين الي اين ؟

الحاج محمد : كان قد ارسلني ابراهيم بك لمراد بك لابلغه بالتجهيز في البر الغربي و اننا سنجهز في البر الشرقي لاننا لا نعلم من اي بر سيأتون . و قد فعلت .

سليمان : و ماذا قال لك مراد بك .

الحاج محمد : لم اجده و لكني ابلغت مساعديه .

سليمان : الم يسبوك و يسبوا ابراهيم بك معك وقالوا لك ساخرين من ابراهيم بك هذا ليعطينا الاوامر , انقلع انت و ابراهيم بك بعيدا عنا .

الحاج محمد : لا لم يقولوا ذلك و لكنهم ابلغوني انهم يعتقدون ان الفرنسيس قادمون من البر الغربي لانهم هزموا امام طلائعهم من عدة ايام في البر الغربي , و في الغالب سيسيرون في نفس البر الي ان يصلوا لانبابة , ولذلك علي ابراهيم بك ارسال قوات من عنده لزيادة تأمين البر الغربي .

فسمع الجميع صراخ ابراهيم بك و هو يركض نحوهم و الشيخ عمر و ثلاثة مساعديه الازهريون يشرفون علي ركوب جنودهما في المعدية و يقول ابراهيم بك صارخا : حاج محمد حاج محمد .

فوصل ابراهيم بك امام حاج محمد و سليمان الجوسقي و تظاهر انه لم يري الشيخ عمر وقال للحاج محمد : ها ماذا فعلت ؟

حاج محمد : ذهبت فلم القي مراد بك فبلغت مساعدينه بما قلته لي ..

فقاطعه ابراهيم بك فجأة و نظر للشيخ عمر و قال : شيخ عمر , ماهذا ؟

و تقدم نحوه بلهفه و قال له : شيخ عمر ارأيت ما الم بنا ..

فقاطعه الشيخ عبد الوهاب الشافعي(شيخ ازهري) : ارجوك يا ابراهيم بك ابتعد عنا و كفي ما حدث من تحت رؤوسكم .

فتجاهله ابراهيم بك و نظر للشيخ عمر و قال : شيخ عمر ارجوك ليس هذا وقت ..

فغضب الشيخ عمر ونظر له بحده و قال له بصوت مكتوم مقاطعا له : ألم تسمع ما قاله لك ؟ ابتعد عني و الا أمرتهم ليقتلوك , و الله لو سمعوها مني لفعلوا .

فخاف ابراهيم بك و تراجع غاضبا , فهم الحاج محمد في اكمال كلامه لابراهيم بك فأهمله و ذهب .

فنظر الحاج محمد له بأحتقار فوضع سليمان يده علي ذراع الحاج محمد و اشار له برأسه ان يأتي معهم فطاوعه الحاج محمد و دخل في ركب العميان و الارنؤد و الشيخ عمر مكرم . و بعد ان امتلئت المعدية بنصف العدد الذي مع الشيخ عمر امر الشيخ عمر و قال : اذهبوا البر الغربي و انزلوا و نحن سننتظر المعدية لتعود فارغه و نحمل الباقين .

ثم نظر الشيخ عمر للحاج محمد و قال : اتعلم يا حاج محمد لو عندهم ذرة عقل لأرسلوا قوات استطلاع او جواسيس في البر الشرقي و الغربي و جمعوا المعلومات . منذ متي و هم عائدون من هزيمتهم ؟ , من الجمعة الماضي . و اليوم الخميس . اسبوع تقريبا لا يعلمون حتي العدو قادم من البر الشرقي او الغربي .

فهز الحاج محمد و سليمان الجوسقي رؤوسهم حسرةً و حزنا .

فرجع ابراهيم بك لزاوية علي بك يغلي من الغضب و يصرخ علي احد مساعديه : يا مُحمااااااااد .

فجاء محمد مساعده و قفز من علي الفرس و قال : نعم سيدي .

ابراهيم بك : اين اولاد العواهر العربان ؟

المساعد : قادمون سيدي .

ابراهيم بك صارخا : لما تأخروا ؟

المساعد : انهم قادمون من البحيرة و دمياط و دمنهور و الشرقية و الغربية و وجه بحري كله و من الصعيد ايضا , لذلك يأخذ الوصول وقتا , و مع هذا علي الاكثر سيأتون غدا او بعد غد .

ابراهيم بك : يا الهي , غدا او بعد غد **!!** و هل فيهم قبائل الهنادي و اولاد علي؟

المساعد : نعم سيدي .

ابراهيم بك : و اين عمر القلقجي ؟ هذا ليس بعيدا **!!** لماذا لم يأتي ؟

فتوتر المساعد و نظر للارض يمينا و يسارا . فأمسك ابراهيم بك بملابسه من صدره و قال مفزوعا : ما بك ؟ لماذا لم ترد علي ؟

فقال المساعد : هجم عمر علي بيوت المماليك و قتل الحراس و سرق كل ما وقعت عليه يداه .

فضرب ابراهيم بك علي رأسه و تراجع للخلف و هو يترنح إلي أن سقط جسده كالجثة الهامدة علي الكنبه امام اعين الشيوخ و قال : ايها السافل ابن السفلة .

<u>علي الجانب الاخر في البر الغربي في قرية باشتيل انبابة</u> , يدخل مراد بك خيمة القادة و هو يصرخ في بعض اتباعه الداخلين خلفه : ليتني اتخذت خرافا تساعدني كانت ستنفعني اكثر منكم , اربعة ايام ؟ اربعة ايام لكي تفرغون قصرا واحدا و تنقلون متاعه الي بيوتي الاخري ؟ و الله اني نقلت المدافع من البر الشرقي للبر الغربي و ذهبت و حاربت طلائع الفرنسيس و رجعت و تمترست في البر الغربي في اقل من اربعة ايام . لا و الأدهي ان كبيركم , البقرة الكبري , يأتي الان ويقول ان البيوت الصغيرة إمتلئت و لن تستطيعون نقل متاع قصري في الجيزة , ماذا تريدوني ان افعل , هل اتركه للفرنسيس يبتلعونه ؟

فدخل احدهم قائلا : سيدي , الشيخ عمر مكرم و رجاله جاءوا .

فغضب مراد بك اكثر و دفع مساعديه و خرج يمشي نحو الشيخ عمر مكرم
الراكب علي فرسه : ماذا تفعل هنا يا عمر , اذهب بعيدا عن معسكري .

فمر الشيخ و اتباعه دون ان يردوا عليه ثم توقفوا اقصي جنوب المتاريس , فضرب مراد بك الارض غيظا ثم ذهب .

obeikandl.com

السبت ٢١ يوليو ١٧٩٨ :

بشتيل انبابة البر الغربي , النهار غائم و الرياح تشتد قادمة من الشمال تضرب في وجه مراد بك وعساكره الواقفون خلف المتاريس الخارج منها فوهات المدافع و البنادق و خلفهم بمسافه قليله الشيخ عمر مكرم و رجاله منحرفين لجهة الغرب قليلا و العواصف تضرب في وجههم ايضا . و علي البر الشرقي إستعدادات مثل هذة و لكن ابراهيم بك واقف و خلفه عدد من الخيم و جمهور المعتصمين فيها من اصحاب الحرف والشباب ومتوسطي الحال وبعض جنوده و مماليكه .

ابراهيم بك واقف يغلي من الغضب و يصرخ في رجاله : يا ويلي من البهائم , حتي وقتنا هذا لم يأتي اولاد علي و الهنادي و باقي العربان , اذا متي سيأتون؟ بعد ان اجد الفرنسيس في بيتي ؟

فلمح احد جنوده يضحك غير مبالي مع زميله في خفية خلف العساكر الواقفين خلفه , فنادي عليه وقال : ما هذا , تضحك ؟ والله لو كنت في رحلة صيد ستكون في جد اكثر من هذا .

فقال الجندي : سيدي انت تعرف ان الفرنسيس مغلوبون لا محاله , فنحن مقاتلون اشداء غلبنا من سبقوهم , و ليس ادل علي هذا من غزو حسن باشا القبطان و من بعده اسماعيل بك , ظلوا في بلادنا سنوات قليله ثم رجعنا علي رأس البلاد مره اخري , فلما الخوف ؟

فإبستم ابراهيم بك و قال : نعم اصبت . ثم تركه و التفت للمراقبه .

في البر الغربي . مراد بك واقف يراقب و الجنود خلفه واقفين غير منظمين كل ثلاثة او اربعة مع بعضهم يتسامرون و الرياح القادمة من الشمال تشد .فطيرت الرياح قربة ماء لاحد الجنود واقف مع ثلاثه من اصحابه فأصدمت بظهر احد الجنود الجالسين علي الارض يلعب مع زملائه بالاحجار , فضحك زملائه فاستشاط غضبا و قام و ضرب صاحب القربه , فهجم اصحاب صاحب القربة عليه و اشتعل التضارب بينهم ,

فالتفت مراد بك دون ان يتحرك و صرخ فيهم : يا اولاد الكلب اصمتوا لعنة الله علي من اراني تلك الوجوه المسخ .

فهدئوا و سكتوا .

ثم نادي مراد بك علي احدهم فجاء ووقف بجانبه و قال مراد بك له : اسمع جهز مجموعه من ١٠ او ٢٠ جنديا ممن معك و قف في نهاية جيشنا , وبمجرد بدء القتال التف و اذهب و اقتل عمر و ثلاثة الشيوخ الذين معه .

فقال الجندي : و الحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي ؟

مراد بك : لا , دع هؤلاء , هؤلاء لهم تفاهمات معنا منذ زمن , و لكن مؤكد ان بريق عمر مكرم مؤثر عليهم في هذه الظروف لهذا وقفوا معه , و سينتهي تأثيره بعد ان تنتهي هذه الظروف و حينها سنتفاهم معهم مجددا.

في الخلف يقف الشيخ عمر مكرم منحرفا للغرب قليلا بعيدا بمسافه بسيطه عن جيش مراد بك , فتقدم له الشاب الازهري يوسف الشافعي و قال له : شيخ عمر لماذا نقف في هذا المكان , لماذا لا نتقدم مراد بك و نقف امامه ؟

الشيخ عمر : لو كنت مكان نابليون لفكرت في اسلوب تطويق الخصم لسحقه , و هذا لأسباب كثيره , اهمها : التشكيل العسكري الذي يقف به مراد بك "الكتله الواحده". لكن لو وقفنا بهذا الانحراف البسيط , سنعرف بمجرد بدء القتال انهم سيحاولون التطويق فعلا , حينها سننطلق غربا متظاهرين بالهروب حتي اذا غضوا الطرف عنا التففنا و رجعنا و كسرنا الطوق عن جيش مراد بك .

يوسف الشافعي : سيدي .. ان مراد بك يكرهك و انت تكرهه ..

فقاطعه الشيخ عمر و نظر له بحده و قال : عندما يصبح دين الله مهددا , ضع يدك في يد الكلاب ماداموا سينفعونك في هزيمة عدو الله , ثم اذا زال التهديد , التفت لتصفية حساباتك بعدها .

<u>في قرية ام دينار التي تسبق بشتيل مباشرة .</u> اهالي القرية يركضون في الطرقات ليتجمعوا علي جانبي الطريق الرئيسي الذي يهتز تحت ارتال الجيش

الفرنسي الذي وصلت طلائعه في قرية بشتيل , و بدأت القوات تصل تباعا ليأخذ كلٌ موقعه .

وصل بون علي رأس قوات الجناح الايمن ووقف امام جنوده قائلا : اريدكم في ظرف دقائق تنقسمو قسمين وانتظروا اوامري .

ثم وصل كليبر علي رأس قوات القلب ووقف امام جنوده قائلا : انقسموا اربعة اقسام متساوين و الجزء الاول المحاذي لقوات الجناح الايمن يذهب ويسلم نفسه لقوات الجناح الايمن و الباقون يلتزمون اماكنهم ينتظرون اوامري .

فقسم قوات القلب انفسهم و انفصل الجزء الاول و اتجهوا الي قوات الجناح الايمن و ذهب احدهم للقائد بون : سيدي نحن الجزء الاول من قوات القلب .

بون : حسنا .

ثم نظر لقوات الجناح الايمن وقال لقواته بصوت عالي : فليذهب القسم الثاني من قوات الجناح الايمن و يقف خلف القسم الاول بمسافه بسيطة .

ثم نظر لجندي الجزء الاول من قوات القلب و قال له : اذهب انت و زملائك و قفوا خلف اخر جندي من القسم الثاني من قواتي بمسافه بسيطة .

بعد ربع ساعه جاء مينو ووقف بجانب بون و قال له : ها انا ذا يا بون .

بون : هل قسمت رجالك ؟

مينو : نعم .

بون : حسنا , اجعل القسم الثاني من قواتك خلف القسم الاول و اجعل القسمين خلف الجزء القادم من القلب .

مينو : حسنا . و انطلق .

obeikandl.com

وبعد ان اصتطفت قوات مينو خلف الجزء القادم من القلب اشار مينو لبون , فأشار بون لفرق الطبول , فبدأ الطبل و بدأ بون بالسير و بدأت القوات المتحدة بالتحرك فأشار بون لكليبر , فنادي كليبر علي المدفعية في قوات القلب و قال : تقدموا و تمركزا امام قوات الجزء الثالث الاوسط في قوات القلب الي ان امركم بالتوقف .

فتقدمت قوات المدفعيه , فنادي كليبر قوات الخيالة في قوات القلب و قال لهم: ايها الخياله, تقدموا مع المدافع , اريدكم ان تنقسموا جزئين جزء يقف علي رأس الجزء الثاني من قوات القلب و الاخر علي رأس الجزء الرابع من قوات القلب , و اريد ان يتزامن رمي بنادقكم مع رمي المدافع .

فتقدمت القوات كما وصف لها كليبر و فجأة سمعوا صوت قذيفه قادمة من جهة المماليك فنادي كليبر و قال : توقفوا و ابدأوا الرمي .

علي شاطئ النيل الغربي المراكب المملوكيه محترقة و المدافع الفرنسية تنزل من علي مراكبها , و بعد عدة امتار من الشاطئ تمتوقفت بدأت القصف علي المماليك .

<u>في جهة المماليك</u> , مراد بك واقف خلف المتاريس و امامه عدة رجال يضعون القذيفة في المدفع و بمجرد غلق المدفع و اطلاق القذيفه انفجرت دانة المدفع , فسقط الرجال و سقط مراد بك علي الارض فصرخ فيهم و قال: ماذا حدث ؟

قالوا : ان المدفع غير مصاين منذ زمن فإنسدت دانته .

فسقطت قذيفه فرنسية علي احد هؤلاء الرجال فمات , ففزع مراد بك و جري بعيدا فسقط امامه احد الجنود قتيلا فتوقف و نظر اليه و ابتسم و قال : علي بك الدفتردار , كم كنت اتمني رؤية هذا المنظر منذ زمن .

و اخذ بندقيته وجري ناحية المتاريس وتواري فيها ووقف بجانب احد الجنود و اطلق النار بالبندقيه علي الفرنسيس فوجد ردت البندقية في صدره ضعيفة لانها لا تعمل جيدا ، فرماها و قال : عليكي اللعنه .

في هذه اللحظه سقط عليه احد الجنود مقتولا فسقط هو علي الارض وعليه الجثه في مكان مكشوف خارج المتاريس ، فرأي بعينه مدافع الفرنسيس و خيالتهم يتقدمون , فرمي الجثه من فوقه و اختبئ خلف المتاريس فنظر الي الجثة التي كانت عليه فشك انها لاحد مساعديه القريبين الي قلبه فقلب الجثة ليري وجهه فنزلت عليه الصدمة و قال في فزع :عبدالله الجرف , فأغمض عينه حسرةً و ضرب علي رأسه وقال : اااااه يا عبدالله , لا طاقة لي بفراقك ايها الابله .

<u>في البر الشرقي ,</u> وصل فرسان عرب الهنادي و اولاد علي و عربان البحيرة و الصعيد و مروا بجانب الاهالي المعتصمين و هم متجمعين علي الشاطئ يتابعون الحرب علي البر الغربي و يصيحون : يالطيبيف , يا لطيبيف , يا رب يا لطيبيف , نصركم الله يا رجال الله .

ثم مروا امام زاوية علي بك و المشايخ يتمتمون و يهزون رؤسهم و الوجهاء جالسين علي الارض يرفعون ايدهم الي السماء , حتي وصلوا الي المعدية الواقف عندها ابراهيم بك فصرخ فيهم ساخرا : لماذا الاستعجال , مازال الوقت باكرا ..

فقاطعه شيخ الهنادي بحده : ان نطقت بكلمه اخري سنذهب .

فسكت ابراهيم بك ونظر للمدافع الموجهه للنيل فوجدها لا تطلق فجري نحوها و وقف امام الجنود و قال بغضب : لماذا لا تطلقون ايها المخنثين ؟

قالوا : ان المدافع لم تصاين منذ مده و الدانات شبه مسدوده , و لو اطلقنا منها ستنفجر فينا .

فبثق عليهم ثم ذهب .

من جهة المدينة ظهرت ٣ نساء اولهن الشيخة أمونة , و ثانيهن سيدة طويلة تلبس افخر انواع الثياب , خمرية البشرة , ذات رقبه طويله و شعر اسود ناعم طويل و عيون سوداء و انف صغير و شفتان صغيرتان و تضع علي رأسها شال شفاف لا يخفي الشعر ولا يبين تفاصيله غير مربوط . و ثالثهن فتاه صغيرة تلبس اغلي الملابس التركية ذات البنطال الواسع و حزام البطن

العريض , بيضاء البشره , طفولية الملامح و شعر مجعد مختفي تحت حجاب مربوط عند الرقبه لا يغطي كل الرقبه تهرب منه خصل الشعر من فوق الجبين. نزلن من علي خيولهن و تقدمن لينضموا وسط الجمهاير المعتصمة و الرياح و التراب اشتدوا

فقالت الفتاة للسيدة الطويلة : سيدة هوي , انا لا اري شيئا .

السيدة هوي : اين ابوكي يا زينب ؟

زينب : ابي خرج من عند المشايخ غاضبا و ذهب للبيت .

الشيخة امونة و السيدة هوي ينظران لبعضهما و تقول الشيخة امونة : وماذا تنتظري من خليل البكري الا هذا .

فنظرت زينب لهن و ابتسمت ابتسامة صفراء .

و بمجرد وقوفهن بالقرب من الجماهيرالذين يصيحون يالطيييف , سمعن بعض الشباب الازهري يقولون للجماهير : الرسول (ص) والصحابة كانوا يحاربون بالسيف و الحراب و ضرب الرقاب لا برفع الاصوات و النباح .

فلم يكترث لهم احد .

في هذه اللحظات كان الشيخ عمر مكرم و رجاله يجرون غربا فرآهم بون و سأل احد مساعديه : هل يهرب هؤلاء ؟

قال المساعد مبتسما : نعم سيدي , اتعلم من هؤلاء؟

قال بون : لا تقل لي انه عمر مكرم .

المساعد : نعم و هذا العلم الاسود هو البيرق النبوي كما يسمونه .

ففزع بون و التف بفرسه عائدا يتجاوز الجنود المتقدمين حتي وصل لمينو , وقال له مفزوعا : مينو , عمر مكرم يهرب غربا .

مينو متفاجئا : و العمل ؟

obeikandl.com

بون : تعالي نتشاور مع كليبر .

مينو : و هل يعرف ذاك المغفل شيئا , هذا ليس الا مطيعا لنابليون , فلنعد الي نابليون مباشرة .

بون : هذا ليس وقته يا مينو , نابليون في مؤخرة الجيش , و لكي نذهب و نعود من عنده ربما اوقع بنا عمر مكرم مصيبه , فلنذهب الي كليبر اسرع .

مينو : اسمع انا لن اذهب لهذا المتعجرف , رأي أنا ان نلغي الخطه (أ) ونطبق الخطة **(ب)** , اذهب و انظر ما يكون رأيه ؟

في هذه اللحظة الشيخ عمر مكرم و رجاله مازالوا يبتعدون و يجرون بإتجاه الغرب .

فذهب بون لكليبر و قال له : عمر مكرم و رجاله يتجهون غربا ..

فقاطعه كليبر بسرعه و قال له : ماذا تنتظر , الخطة **ب** فورا .

فاسرع بون و مر بجانب القوات المتحدة و هو يصرخ : قادة الاقسام و الفرق الخطة **ب** ... الخطة **ب**

فإلتف الشيخ عمر مكرم و رجاله ليهجموا علي طوق الفرنسيس .

فإنشقت قوات القسم الاول من الجناح الايسر وذهبت غربا , يسار قوات الشيخ عمر مكرم و بدأوا بإطلاق النار عليه من البنادق الاليه و رجال الشيخ ليس معهم الا بنادق الغير اليه القديمه و السيوف .

و انشقت قوات القسم الثاني من قوات الجناح الايسر و ذهبت غربا و التفت و اصبحت خلف قوات الشيخ وبدأ اطلاق النار من يسار و خلف رجال الشيخ .

وانشقت قوات القسم الاول من قوات الجناح الايمن و ذهبت غربا يمين قوات الشيخ عمر مكرم و بدأ اطلاق النار فأصبح اطلاق النار من يسار و يمين و خلف الشيخ.

obeikandl.com

و استدارت قوات القسم الثاني من قوات الجناح الايمن و اتجهت غربا و اصبحت في مواجهة قوات الشيخ عمر مكرم و بدأ اطلاق النار فأصبحت النيران من كل الاتجاهات علي الشيخ و رجاله و اصبح محاصرا تماما.

في نفس الوقت انطلقت قوات الجزء الاول من القلب والتفت و اصبحت خلف قوات المماليك و بدأت الهجوم عليهم بالبنادق الالية .

بينما تحركت قوات الجزء الثاني من القلب و تمركزت يسار المماليك و شنت الهجوم عليهم .

و ارسلت قوات الجزء الرابع من القلب فارسا يسبقها لينذر رجال مدفعية المراكب بالتوقف تميهدا لتمركز قوات الجزء الرابع من القلب يمين المماليك . و بمجرد توقف المدفعية تحركت قوات الجزء الرابع وانتشرت شرق المماليك بحيث المماليك أمامهم و نهر النيل خلفهم .

و بهذا حوصر المماليك من الجهات الاربعه و نزل الفرنسيس عليهم بالبنادق الحديثة و المسدسات بالغه الدقة في الاصابة , الي ان اصبحت المتاريس لا تحمي الا جثثا لا حصر لها ففر مراد بك و مساعديه فصرخ كليبر و قال : توقفوا عن الاطلاق . دعوهم .

أما الشيخ عمر مكرم , فبمجرد اكتمال الحصار اصيب فرسه فسقط من عليه ونظر خلفه فلم يجد الا الثلاثة الازهرين اتباعه علي الارض مثله و عدد من جثث العميان و الارنؤود لا تعد و لا تحصي و الحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي يهربان مع بعض رجالهما. فالتف حوله العسكر الفرنسيس و علي رأسهم بون و مينو , فشهرا سيفهما , فوصل رسول من نابليون يصرخ و هو يجري نحوهما

الرسول : سيدي مينو , سيدي بون .

و بمجرد ان وقف بالقرب منهما قفز الرسول من فرسه ووقف امامهما و قال: السيد عمر مكرم و المشايخ لا , هذا ما قاله القائد العام نابليون , لو قتل اي احد من المشايخ سيقتل قتلته , وسيقتلني انا ايضا ان لم امنعهم .

فصرخ مينو : ما هذا الجنون ؟ رأس التحريض ضدنا نتركهم , كيف يعقل هذا؟

فقال بون غاضبا : قيدوهم و انتظرونا حتي نعود من عند القائد العام .

فركبا و انطلقا لنابليون و لما وصلا وجدا كليبرعلي فرسه يصرخ في نابليون هو علي فرسه يمشي ببطئ : اتريد ان يقتلنا المصريون في شوارع القاهره جراء تحفيز هؤلاء المشايخ للناس ضدنا , كل هذا بحجة انك تتقرب من المصريين .

فإنضما مينو و بون لكليبر فإبتعد عنهم نابليون قليلا و اطلق صافرة فإجتمع دومرتين رئيس الطبجية (المدفعية) و معه ٢٠ جندي شاهرين بنادقهم في وجوه القادة الثلاثة و قال نابليون بصوت عالي : امرنا نحن القائد العام للقوات الفرنسية بترقية الضابط دومرتين من رئيس الطبجية الي قائد الحرس الخاص للقائد العام و علي جميع الراغبين في التواصل بالقائد العام العودة اليه اولا , و شكرا . و ضرب حصانه و انطلق.

في هذة اللحظة وصلت اول معدية عليها اول دفعة من قوات البر الشرقي علي رأسهم ابراهيم بك . و قبل ان ينزلوا من المعدية شاهدوا مراد بك يهرب و بعض جنوده و و من بعيد يهرب الحاج محمد المغربي وسليمان الجوسقي و بعض العميان و الارنؤود فصرخ ابراهيم بك لقائد المعدية و قال : ارجع ارجع بسرعه للبر الشرقي , عد بسرعه .

و بمجرد وصول ابراهيم بك للبر الشرقي و نزوله نظر فوجد البر فارغا لا يوجد به بشر و الخيام متروكه بما فيها و زاوية علي بك لا يوجد بها احد , فهز رأسه ثم ذهب .

<u>في شوارع بولاق ,</u> الناس في منتهي الفزع و الكل يركض يمينا و يسارا , و الشيخه امونه و السيدة هوي و زينب البكري يمشيان بخيولهن بتبختر و بهدوء , و الشيخة أمونة تقول للسيدة هوي : اليس من المفروض ان تكوني اكثر فزعا من هؤلاء , انك تزوجتي نصف امراء المماليك تقريبا و ربما كنتي انتي الامره الناهية في هذة البلدة. و الفرنسيس لو عرفوكي لقطعوكي إربا .

السيدة هوي : و هل تظنين نفسك انك اذكي نساء العالم و انت الوحيدة التي كنتي تنسقين مع الفرنسيس . يا حبيبتي انت اكثر ما كنت تفعلينه انك كنت تنقلين الاخبار لهم. اما انا , فأنا علي موعد عشق و غرام مع واحد من اكثر الناس تقربا للقائد العام الفرنسي .

فنظرت لها الشيخه امونه بدهشة : ايتها الخبيثة , لهذا كان ماجلون يعرف أخباري و أخبار سليمان في أول لقاء معه

فإبتسمت السيدة هوي , فقال الشيخة أمونة : و منذ متي وانت في هذة العلاقة مع هذا العاشق ؟

السيدة هوي : منذ ان كنت زوجة لاحد هؤلاء البهائم المماليك .

الشيخة أمونة : و ما إسم هذا الولهان ؟

السيدة هوي : نقولا .

فنظرت الشيخة أمونة لزينب : طبعا انت لا يهمك احد , فأباك الشيخ خليل البكري سيصبح الساعد الايمن للقائد الفرنسي كما كان مع ابراهيم و مراد بك.

السيدة هوي لزينب : يا بنت المحظوظة.

فابتسمت زينب لهن .

وفجأة سقط رجل من علي فرسه علي بعد خطوات منهن و هو يئن من الالم و يضع يده علي جنبه . فصرخت الشيخة امونة : سليمااان .

فنزلت من علي فرسها و جرت نحوه و حاولت حمله فصرخت السيدة هوي : ساعدونا . **فتجمع الناس و حملوه و سألوا الشيخة أمونة :** الي اين ؟

الشيخة أمونة : ضعوه علي فرسي هذا فحسب.

فوضعه الناس علي الفرس و ركبت خلفه و ضربت الفرس و انطلقت و لحقها السيدة هوي و زينب البكري.

obeikandl.com

الاحد ٢٢يوليو ١٧٩٨ :

جامع الازهر بعد صلاة الفجر , يقوم الامام و هو شيخ قصير القامة , بدين , اسمر البشره ,ذو انف كبير وشفتين ضخمتين , يلبس عمامة كبيرة و علي وجهه علامات التعب و الاحباط و يجلس علي كرسي الشيخ بجانب المحراب و أمامه المشايخ و الوجهاء و كبار الطرق الصوفية و جمهور كثير فقال : ماذا نحن فاعلون ايها القوم ؟

فقال احد الحاضرين : اين الشيخ عبدالله الشرقاوي و الشيخ السادات يا شيخ سليمان ؟

الشيخ سلمان الفيومي (احد المشايخ المساعدين لشيخ الازهر) : لا أعلم .

فقال احد التجار يقف بإستهزاء متكئا علي عمود من أعمده الجامع : هربوا للمطرية , ها ؟

الشيخ سليمان الفيومي غاضبا : اجلس , اجلس , بلاك الله بالعمي

فنظر الشيخ سليمان الفيومي لشيخ طويل , نحيف البدن , ابيض البشره , ذو انف طويل و اذن طويله , و عينان ضيقتان , يلبس عمامة كبيرة : ماذا رأيك يا شيخ مصطفي ؟

الشيخ مصطفي الصاوي (من مشايخ الازهر) : لا أعرف .

الشيخ خليل البكري مجيبا بسرعة : نرسل رسولا لبونابرته بالتأكيد

فنظر الشيخ سليمان الفيومي للباقون وقال : ها , أتوافقون ؟

قالوا في صوت جماعي : نعم .

الشيخ سليمان الفيومي : اذا من سنرسل ؟ و ماذا سيقول الرسول ؟

الشيخ مصطفي : ارسل احد يكون لديه دراية بلغتهم , و يسألهم عن اسباب قدومهم .

obeikandl.com

الشيخ سليمان الفيومي : موافقون ؟

صوت جماعي : نعم .

الشيخ سليمان الفيومي : من يعرف لغتهم ؟

لم يجب احد .

الشيخ سليمان الفيومي للشيخ مصطفي الصاوي : ما من احد يعرف لغتهم .

فقام الحاج محمد المغربي و هو يستعد للخروج و قال : انا اعرف من يعرف لغتهم .

الشيخ سليمان الفيومي : من يا حاج محمد ؟

الحاج محمد و هو يمشي ليغادر الجامع : شخص لن تعرفه يا شيخ سليمان .

البر الغربي , في خيمة كبيرة يحيطها العساكر الفرنسيون من كل اتجاه , نابليون مجتمع بكبار القادة واعضاء لجنة العلماء , ويدخل احد الجنود ويقول : سيدي بونابرت , عمر القلقجي بالخارج يريد مقابلتكم.

نابليون : ماذا يريد هذا المجرم ؟

فإبتسم القادة الثلاثة الكبار و قال كليبر بصوت منخفض : كم احب هذا الشاب.

فتجاهل نابليون رد فعلهم و قال للجندي : دعه يدخل .

فدخل عمر القلقجي و انحني أمام نابليون ثم نهض و قال بلغة فرنسية ضعيفة: سيدي نابليون , مرحبا بكم في بلادنا

نابليون بدون مترجم : ماذا تريد يا عمر ؟

عمر : انا رسول من مشايخ ووجهاء هذه البلاد .

obeikandl.com

نابليون : و ماذا يريدون ؟

عمر : يريدون ان يعرفوا ماذا ستفعلون بالناس , و ما القصد من مجيئكم ؟

ضحك نابليون متفاجئا : حقا !!

ثم التفت نابليون للقادة الثلاثة و قال ساخرا : هؤلاء من تخافون تحرضيهم ؟

ثم التفت مره اخري لعمر : و لماذا لم يأتوا هم بأنفسهم ؟ اني اريد ترتيب الامور لنعيد الامن و الراحة للناس .

عمر مبتسما : اذا بماذا اخبرهم سيدي ؟

نابليون : اخبرهم بأني اريدهم أن يأتوا .

ففرح عمر قال : حاضر سيدي .

و هم ليذهب .

فقال نابليون : إنتظر .

و ذهب لطاولة قصيرة عليها المنشورات المطبوعه و اخذ مجموعه كبيرة منها و اعطاها لعمر وقال له : اذهب بهذه لمشايخكم و أمر كبيرهم بقرأتها بصوت عالي علي جمهور اللناس . و بعد ان ينتهوا من ذلك أمرهم ليأتوني , فهمت؟

عمر : نعم سيدي .

وأخذ المشورات وانطلق.

<u>في ساحة واسعة أمام مسجد الحسين ,</u> يقف الشيخ سليمان الفيومي علي درج صغير من الخشب ليراه ويسمعه كل الناس و أمامه المشايخ و الوجهاء كل منهم يمسك نسخه من المنشور و جمهور من الناس خلفهم , و الجميع مبتسمون و علي وجوهم علامات الاطمئنان بعد أن قرأ الشيخ سليمان عليهم نصف المنشور تقريبا و يكمل و يقول :

obeikandl.com

أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لأمتكم: إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون؛ وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في روما الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائمًا يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين.

ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه. ومع ذلك إن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلًا إلا لطمع أنفسهم.

طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم. طوبى أيضًا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب.
لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقًا إلى الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى : جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء...

المادة الثانية : كل قرية تقاوم العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضًا تنصب مندوبين السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه.

المادة الرابعة : المشايخ في كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي تتبع المماليك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة : الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم. وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئنًا. وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة. والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالي أدام الله

إجلال السلطان العثماني، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوي، لعن الله المماليك، وأصلح حال الأمة المصرية.

يلتفت الشيخ سليمان الفيومي للناس أمامه : و ماذا بعد ؟

الشيخ خليل البكري و هو يكتم فرحته : فلنذهب لهذا الرجل و نطلب منه عهدا بالامان .

الشيخ سليمان الفيومي ينظر للاخرين : هل توافقون ؟

الناس بصوت جماعي : نعم .

قبل غروب الشمس . المشايخ و الوجهاء علي رأسهم الشيخ خليل البكري و سليمان الفيومي و الشيخ مصطفي الصاوي (من مشايخ الازهر) ينزلون من المعدية ويستقبلهم مجموعة من العساكر يصطحبونهم لخيمة نابليون و هم ينظرون للمدافع الموجهه لهم و المرصوصه علي جانبي الطريق للخيمة و العساكر الوافقين في ارتال منظمه و البنادق الالية علي اكتافهم , وبمجرد وصولهم الخيمة و دخول الشيخ خليل البكري الخيمة قام نابليون و رفع يده مرحبا

و قال نابليون والمترجم يترجم : اهلا وسهلا بمشايخنا و كبرائنا , نورتم خيمتنا .

فإبتسم المشايخ و الوجهاء و قال الشيخ سليمان للمترجم : اهلا بكم .

فهمس احد الوجهاء لصديقه : لا اظن ان احداً من المماليك استقبل احداً من المشايخ والوجهاء كهذا الرجل .

نابليون : تفضلوا يا سادة .

بعد ان جلسوا , جلس نابليون بجانب الشيخ سليمان الفيومي و ضرب علي ركبته تودادا و قال : هل وصلكم خطابنا يا شيخ ؟

الشيخ يهز دماغه قائلا : نعم .

obeikandl.com

نابليون : و هل اطمأن الناس ؟

الشيخ سليمان الفيومي : نحتاج المزيد من الضمان علي الامان .

فقام نابليون و هو يقول : حسنا يا شيخ .

فقام و مشي خطوات و اخذ من احد الجنود كميه من المنشورات الجديدة و اعطاها للشيخ و قال له : هذا ضمان جديد .

فأخذ الشيخ سليمان الفيومي المنشورات و اعطاها للشيخ مصطفي الصاوي الجالس بجانبه و اخذ احدها ليقرأه , فقال له نابليون : لا , اقرأ بصوت عالي.

فرفع الشيخ سليمان صوته قائلا :

من معسكر الجيزة خطابا لاهل مصر

يا أهل القاهرة , انني راض عن مسلككم . فقد أحسنتم عملا بالإمتناع عن الوقوف ضدي . لقد جئت للقضاء عن المماليك و لحماية التجارة و أهل البلد . فليطمئن كل من إنتابه الفزع , و ليرجع كل من رحلوا إلي بيوتهم , وليجري أداء الصلاة اليوم كالمعتاد لإانا أود أن تستمر علي الدوام . لا تخافوا من شئ علي عائلاتكم و بيوتكم و ممتلكاتكم و خاصة علي دين النبي الذي أحبه . و من المهم ان لا يعكر الطمأنينة شئ فسوف يكون هناك ديوان من سبعة أشخاص سوف يجتمعون في الجامع الازهر . وسوف يوجد منهم هناك بشكل دايم إثنين إلي جانب قائد الموقع و سوف يهتم اربعه بحفظ السكينة العامة و السهر علي الامن .

نابليون : ما رأيك بهذا ؟ هل يكفي ؟

الشيخ سليمان الفيومي : نعم .

نابليون : و لكن اين الشيخ عبدالله و الشيخ السادات ؟

الشيخ سليمان الفيومي : غابا لظروف لديهم .

obeikandl.com

فركل نابليون الكرسي الذي امامه غاضبا و قال : اسمع , لا تكذب علي والا ...

ثم تمالك نابليون اعصابه و قال : الشيخ عبدالله الشرقاوي و السادات هربا للمطرية .

فنظر الشيخ سليمان الفيومي للمشايخ الذين بجانبه و هو فاتح فاه من الدهشة : كيف عرفت هذا و انت لم تأتينا الا البارحة .

فأقترب نابليون منه وقال بهدوء : صدقني لو سألتني عن ما في غرف بيتك لقلت لك.

الشيخ سليمان الفيومي مفزوعا : الله حي ..

وضج المكان بهمهمات المشايخ ثم قال نابليون لسليمان الفيومي : ابلغهم أنه بمجرد عبوري للبر الشرقي واستقرار مقر القيادة سنعقد اجتماع لإنشاء الديوان.

فقام المشايخ إستعدادا للذهاب فقال نابليون : انتظر يا شيخ , اين الشيخ عمر مكرم ؟

تغير لون وجوه المشايخ و نظروا لبعضهم بعضا و قال الشيخ سليمان الفيومي و علي وجه علامات الاستخفاف و الاستعلاء : و فيم تريد هذا ؟

فقال نابليون بحده : اسمع لو لم تبلغ عمر مكرم بإجتماعي مع المشايخ , سألقيك في سجن لا تري فيه اصابع قدمك لا صبحا و لا ليلا.

فذهل الشيخ سليمان الفيومي فأمسك الشيخ خليل بيده و نظر لنابليون قائلا : حاضر حاضر سيدي .

فنظر الشيخ خليل للشيخ سليمان الفيومي و همس له بشدة : هيا يا سليمان .

و شد يده و ذهب .

obeikandl.com

بعد شهر - أغسطس ١٧٩٨

بيت الشيخة أمونة , في غرفة كبيرة جالس سليمان الجوسقي علي سرير تحت شباك كبير من الارابيسك عليه قلتين لتبريد الماء و بجانبة طاولة عليها قلة ماء ثالثه و كوب من النحاس . وتدخل الشيخة أمونة وخلفها فتاة من خادماتها تحمل صنية كبيرة عليها اشكال و الوان من الطعام المحضر بأشهي طرق الطبخ , فترفع الشيخة امونه من علي الطاولة قلة الماء و الكوب و تشير للفتاه بوضع الصنية علي الطاولة , ثم تشير لها لترحل . ثم نظرت لسليمان و قالت : الان قد اكتمل شفائك , فقد كان جرحا غائر .

ثم نظرت للاكل وقالت : تفضل كل يا سليمان .

ثم ذهبت لزاوية الغرفة و وضعت القلة و الكوب علي الارض و أتت بكرسي لتجلس بالقرب من سليمان فوجدته لم يتحرك , فتركت الكرسي وامسكت ملعقة و اكلت شيئا من الاكل , ثم نظرت له و قالت : ها هكذا اطمأننت . **ثم عادت و جلست علي الكرسي و وضعت رجل علي رجل بكل قوة**

نظر سليمان لها دون أن يحرك ساكنا و قال : تريدين أن تقنعيني أن ضربتي مرت هكذا بدون رد فعل ؟

أمونة بإسلوب متحفز : ومن قال انها ستمر , سأعاقبك عليها , و لكن في الوقت المناسب .

فمد سليمان يده في الاكل و قال : وهل هناك وقت افضل من هذا , اقاربك الفرنسيون فوق رؤوسنا .

قامت أمونة من علي الكرسي تتمشي ناحية الشباك الكبير و نظرت منه للشارع في شجن وهي تقول : كم سهرت عندك الليالي يا سليمان , و كم سهرت عندي و لم تفكر يوما ان نتزوج و تضمني بعيدا عن هؤلاء الكلاب , حينها كنت لن أنظر لا لفرنساوين و لا غيرهم .

فقاطعها سليمان بصوت عالي : لا لا لا , لا تلبسي ثوب الضحية رجاءاً , فالمصالح هي التي حكمت أولا وهي التي حكمت أخراً . رفضتني ألاف المرات عندما كنت أشق الصخر من أجلك . رفضتني من اجل مصلحتك , و الان تتباكي علي اني لم اضمك بعيدا عن الكلاب .

وضحك ضحكة سخرية .

فنظرت له بغضب مكتوم : حسنا , فلماذا تلومني علي التعامل مع الفرنسيس ؟

سليمان و هو يأكل : و هل لمتك انا ؟

فقالت بصوت عالي : اذا ماذا كانت تلك الضربة , وما معني تلميحك " اقاربك الفرنسيون "؟

سليمان : هذا التلميح اشارة انك تركية ، و الاتراك طوال هذة السنوات سمن علي عسل مع الفرنسيس .

أمونة : و هذة الضربة ؟

سليمان : حسنا سأنتظر عقابك عليها .

فهدئت أمونة و نظرت للشباك مرة اخري و قالت : ألم تسأل نفسك لماذا جاء الفرنسيس لهذه البلاد ؟

فإنتبه سليمان وقال محتارا : هذا ما لم اجد عليه اجابة منذ ان رأيتهم في الاسكندرية .

أمونة : لتعويض خسارتهم امام الانجليز في أمريكا , القارة البعيدة .

سليمان : و لماذا لم يعوضوا خسارتهم في مكان أخر ؟

أمونة بإبتسامة خفيفة : لان هذه البلاد فيها كنوز لا تعد و لا تحصي , و في نفس الوقت , أهلها يعيشون فوضي لا تنتهي منذ قرنين علي الاقل , و الاقوي

فيها هو الغالب , و الغالب فيها يستطيع ان يأخذ خيرها كله دون أن يقف له أحد .

سليمان : و ما اخر الاخبار ؟ شهر كامل بالبيت منقطع عن العامة اصارع الالم , لابد انه فاتني الكثير.

أمونة : لقد عبر نابليون للبر الشرقي و استقر بقصر محمد بك الالفي الهارب و إجتمع بالمشايخ و أسسوا ديوان يعتبر كحلقة وصل بين الفرنسيس و المصريين.

سليمان : و من أعضائه ؟

أمونة : حوالي ١٠ من كبار المشايخ اشهرهم عبدالله الشرقاوي , سليمان الفيومي , مصطفي الصاوي , خليل البكري . و قد عينوا الشيخ عبدالله الشرقاوي رئيسا للديوان

سليمان و هو متحفز : و هل فيهم الشيخ عمر مكرم ؟

أمونة : رفض الانضمام لهم , ثم إختفي . و عزله نابليون من نقابة الاشراف و أعطاها لخليل البكري .

فضحك سليمان ضحكة استهزاء و قال : خليل البكري نقيب الأشراف **!!** انها المهزلة الكبري . كان سيموت عليها منذ ان إستبعده الاشراف و اعطوها للشيخ عمر . إنه رجل لا يصلح لأن يكون غفير حتي .

ثم تنهد متحسرا و قال : و ماذا بعد ؟

أمونة : الانجليز طحنوا الأسطول الفرنسي في الاسكندرية .

فقفز سليمان فرحا و قال : الله اكبر

أمونة : ثم اصدر نابليون أمرا بالاقامة المستدامة في مصر بسبب دمار الاسطول الفرنسي.

obeikandl.com

فبهت وجه سليمان و ألقي بنفسه و جلس علي السرير

أمونة : عينوا برطلمين رئيسا للشرطة.

ففزع سليمان و قال : لعنة الله عليهم هؤلاء الكفرة . ألم يجدوا غير هذا السفاح ليعينوه رئيسا للشرطة ؟ لقد كان يقطع الرؤوس كما لو أنها رؤوس بصل . الان سيقطع اكثر و اكثر دون ان يحاسبه احد.

ثم سُمع صوت خيول بالخارج و جلبه , فتوترت أمونة ثم نظرت لسليمان و قالت في هدوء : انهي أكلك و نادي علي احد الفتيات لتأخذ الاكل و أنا سأصعد للنوم .

سليمان في هدوء : حسنا .

فخرجت أمونة و أغلقت الباب و هرولت إلي باب البيت و وقفت أمامه تأخذ أنفاسها و تقاوم بكائها و تمسح دموعها فجاءتها كبيرة الخادمات مسرعة و قالت لها : سيدتي لماذا تفعلي هذا؟ أليس هذا من كنا نقضي لياليا بحكاياتك عنه؟

فقالت لها في غضب بعد ارتباك من قولها : اغربي عن وجهي يا بثينة و الا قتلتك .

ثم إستعادت قوتها وفتحت الباب و قالت : هيا ادخلوا من هنا , هو في هذه الغرفة .

فدخل الجنود الفرنسيون و هرولوا بأتجاه الغرفه التي فيها سليمان و فتحوها فوجدوا الشباك مكسور والغرفة خالية ليس بها أحدا .

obeikandl.com

بعد عدة أيام

<u>الازبكية</u> , بعد العصر , الشيخ خليل البكري يدخل قصر عظيم ذو ساحة كبيرة أمامه تملئها الأشجار والنخيل و عساكر الفرنسيس . و امام باب القصر الداخلي ساحة اصغر تعتبر مندرة مرتفعة عن الساحة الاكبر بثلاثة درجات و محاطة بسور و أرضيتها من الرخام و زوايا السور يصلها بالسقف عمدان طويلة منحوته بأروع ما يمكن كالتي في المعابد الفرعونية , و باب القصر الضخم مصنوع من اقوي انواع الاخشاب و مقابضه مطلية بماء الذهب . و بمجرد ان دخل وجد صاله استقبال واسعه جدا علي جانبيها سلالم للوصول للطابق الاعلي فقال له احد العساكر : اجلس هنا الي ان يأتيك الصاري عسكر نابليون .

فجلس الشيخ فنظر امامه فوجد مجموعه من الضباط يتحدثون مع بعض الاشخاص يلبسون لباس غير عسكري يلبسون نظارات و شعورهم منكوشه كبيرهم يحتد في الكلام مع احد الضباط , وفجأة ظهر نابليون و هو ينزل علي السلالم القريبة من الضباط و قال بصوت مسموع : أراكم منفعلون , فما الأمر؟

فقال احد الضباط : شولكوسكي معارض لخطط غزو الصعيد .

نابليون للضابط بغرور و إستخفاف: ديزيه , ما علاقة هذا بالخطط ؟ سؤالك لهذا عن الخطط كأنك تسأل طفل عن كيف يوقع شابة طاغية الأنوثة في حبه . اسمع يا ديزيه , اريد عزوك للصعيد يكون أشبه بقصة رعب تجعل ملوك الشرق و الغرب لا ينامون لياليهم بسببها . اريد مجازر ترعب حاكم الشام أحمد باشا الجزار و السلطان العثماني في الاستانه حتي يتسني لنا دخول ولايات اخري بعد مصر بمجهود أقل . و بالتالي ما ستفعله في الصعيد هو ما سنعتمد عليه في ذهابنا لغزة و الشام و غيرها .

ديزيه : نعم سيدي .

فأشار نابليون بعينه لأحد المترجمين في خفيه , فذهب المترجم و ذهب و جلس بجانب الشيخ خليل و قال له : اتعرف ما يقولون ؟

الشيخ خليل : لا

المترجم : سيرتكبون المجازر في الصعيد .

الشيخ خليل مفزوعا : و لماذا ؟ كل هذا بسبب مراد بك و بعض هؤلاء الهلافيت الذين هربوا معه للصعيد .

المترجم : بالطبع لا ايها الابله . الفرنسيس سيدخلون مع مراد بك و هؤلاء الهلافيت حرب عصابات بعضا من الوقت ثم سيخلقون سببلا للتفاوض معهم , و انت تعلم ان المماليك سيلهثون وراء اي تفاهمات مع قادة الفرنسيس . نابليون يريد ان يرعب أحمد باشا الجزار و السلطان العثماني و الانجليز , و لذلك سيحرق الصعيد عن بكرة ابيه , خصوصا ان ابراهيم بك الخبيث و رجاله ذهبوا لغزة عند احمد باشا الجزار و سيكون ساعده القوي في صد نابليون .

الشيخ خليل : و ما ذنب الاهالي المساكين في الصعيد ؟

المترجم يبتسم ابتسامة استخفاف للشيخ خليل و يذهب .

شولكوسكي لنابليون : اين انت من قيم و مبادئ الثورة الفرنسية و التي قامت علي احترام ..

فقاطعة نابليون و امسك بملابسه و ضربه في صدره : اتعرف كم شخصا قتل في ليون في جنوب فرنسا دفعه واحده في ليله شغب الاهالي هناك قبل ان نصل للأسكندرية ؟ ٢٠٠٠ شخص . أتعلم كم شخصا يقتل يوميا في باريس و ضواحيها دون ان يعلم احد ؟ عدد لا يعد و لا يحصي . اتعلم لماذا يقتل هؤلاء؟ لأنهم مغفلون أمثالك .

فصرخ نابليون : دومرتيييييين .

فشد نابليون شولكوسكي و القاه بين يدي دومرتين وقال : القي بهذا في سجن القلعه و لا اريده ان يخرج منه الي ان يموت .

فأمسك دومرتين شولكوسكي من قفاه و دفعه امامه . و نظر نابليون الي الطرف الاخر من الصاله وجد الشيخ خليل جالس علي الكنبه عيناه تهربان

يمينا و يسارا و العرق يتصبب منه . فإستنشق نابليون انفاسه و هدأ أعصابه و هندم ملابسه و اتجه بإتجاه الشيخ خليل و جلس بجانبه و وقف بجانبهما المترجم ليترجم , فقال نابيلون : اهلا يا شيخ خليل .

الشيخ خليل البكري في منتهي الارتباك : اهلا .

نابليون : اهدأ يا شيخ .

الشيخ خليل البكري : حاضر .

نابليون : لماذا ألغيتم المولد النبوي هذه السنه يا شيخ ؟

الشيخ خليل البكري في ارتباك : بسبب تعطل الامور و ضيق الاحوال .

نابليون : هذا غير مقبول ابدا

و أشار لأحد العساكر فجاء العسكري و بيده كيس من النقود و أشار له نابليون ليعطيه للشيخ خليل البكري و قال : اريده مولداً لم يسبق للقاهرة ان رأت مثله , و لا يقل عن خمسة ايام , و اريد أن تملأ الانوار دارك و سأملئ داري و دار حاكم القاهرة الفرنسي دبيوى بالأنوار . اريدكم ان تملئوا شوارع القاهرة بمواكب الاحتفال و الموسيقي و الغناء , واضح ؟

هز الشيخ خليل البكري رأسه و قال : نعم .

نابليون : اسمع يا شيخ , لا اريد هذا في المولد النبوي فقط , اريده في كل مولد. و إذا قصرت معك النقود , فقط ابلغني و انا سأمولك بما تريد .

obeikandl.com

يوم المولد النبوي

<u>في الساحة الكبري أمام جامع الحسين بعد المغرب</u>, انارة القناديل في كل مكان علي حائط الجامع و مأذنته و علي البيوت و الحوانيت في كل الشوارع المتفرعه من الساحة التي تدفق إليها مواكب المحتفلين خلف المنشدين و المنغنين و المغنيات و الراقصات و الدراويش . و بجوار الجامع مجموعه من الكراسي والكنب يحيط بها مجموعه من الفتيان الاشداء يمنعون اي احد من العامه من غير المشايخ و الوجهاء من الدخول و الجلوس علي الكراسي . وينتظر علي الكراسي في الصف الاول الشيخ خليل البكري و بنته زينب و هي في ابهي صورها من كحل العيون و الشعر المتطاير بعد خلع الحجاب و احمر الشفاة وسلاسل الذهب علي رقبتها .

و من احد الشوارع الفرعية تظهر جلبة كبيرة و اضطراب في الناس يتبعها خروج عساكر الفرنسيس يتبعهم نابليون و مينو و رجل عملاق أشقر الشعر أحمر الوجه من نصاري البلد يدعي برطلمين قائد الشرطة الذي يلقبه العامة بفرط الرمان. و الثلاثة يلبسون العمامه و الجلباب و العباءة و خلفهم كليبر و بون و ديبوى و مجموعه من القادة يلبسون لباس النبلاء الفرنسي و يتبعهم مجموعه اخري من العساكر الفرنسيس . فقام الشيخ خليل يصرخ قائلا : الشيخ بونابرته وصل , الشيخ بونابرته وصل .

فهاجت الناس و تجمعوا ليروا موكب الشيخ بونابرته و رجاله و بمجرد وصول الموكب امام الشيخ البكري , تسلمت العساكر الفرنسين تأمين المكان بدلا من الشبان و نزل القادة الفرنسين من علي خيولهم . في هذة اللحظة جائت مجموعه من الراقصات و المغنيات يقولون :

يا جمهور عسكرك داير فرحان ..... في قطع دابر الغز و العربان

يا سلام يا بونابرته ..... يا سلام ملك السلام .... يا سلام

أوحشتنا يا جنانر ..... يا جميل يا راخي العذار

و سيفك في مصر داير ..... علي الغز و العربان ...يا سلام

أوحشتنا يا جمهور ..... يا جميل يا راخي الشعور

من يوم ما جيت مصر فيها النور ..... زي قنديل ببلور... يا سلام

فأشار الشيخ خليل للقادة بالجلوس و قال : ارتاحوا يا المنورنا , ارتاحوا .

و جلس نابليون و علي يساره كل قادته , و هم الشيخ خليل ليجلس علي يمينه فزاحمته زينب لتجلس بجانب نابليون فضحك الشيخ خليل و قال لنابليون و المترجم يترجم لنابليون : ها ها ها بنتي في اشد السعادة بقدومك و تحب ان تجلس بجوارك .

فهز نابليون رأسه و هو مبتسم اشاره علي القبول فجلست زينب علي يمينه وجلس الشيخ خليل علي يمينها و جلس باقي المشايخ و الوجهاء علي يمينه وخلفهم . ثم اكمل المغنين و المغنيات :

ما أحسنك يا فرط الرمان (برطلمين قائد الشرطة) ..... لما تنادي بالامان

و في يدك ماسك الفرمان ..... تبقي الرعية قلبها فرحان.... يا سلام

أوحشتنا يا ساري عسكر ..... تشرب القهوة بالسكر

و عسكرك داير يسكر ..... و في البلد حبوا النسوان.... يا سلام

محبوبي لابس برنيطة ..... و دكته عقد و شنيطة

طلبت وصاله قالي سبيطة (بمعني انتظر) ..... ما أحلي كلامه بالفرنساوي

ياسلام من عيونه ..... عيون غزلان

واصلني يا حلو الكلام .... يا سلام

يا عاذلي خليني ... حب الجمال كاويني

علي الجمر لو يسليني .... بالروح انا ما أسلاه .... يا سلام

obeikandl.com

فضحك نابليون و القادة الفرنسيس الكبار و المشايخ و الوجهاء و صفقوا للمغنين تحيةً لهم ،

و فجأة فزع نابليون و هو جالس و نظر بدهشة لزينب فنظرت هي للأرض بسرعه فنظر نابليون لخليل البكري و انتبه الجالسون فضحك نابليون منعا للإحراج فضحك الجالسون و إلتفت نابليون للمغنيات و الراقصات . فضرب خليل البكري ابنته في كتفها و همس لها قائلا : اهدي يا بنت الصرمة . تتحرشين بالرجل وسط الناس , سنفضح لعنة الله علي من رباكي .

و في هذه الاثناء دخل جماعة علي الحضور فنزلوا من علي خيولهم و اذا بهم الشيخ محمد البواب من رشيد و معه ابنته زبيده في ملابس و زينة العرائس و خلفهما اهلها و هم يصيحون : حي الله الشيخ بونابرته , حي الله الشيخ عبدالله مينو

فأمسك الشيخ محمد البواب يد ابنته و اقترب من نابليون و مينو و قال لمينو : هذا كما وعدتك , ها نحن ذا في يوم المولد النبوي اقدم لك ابنتي عروسا علي سنة الله و رسوله و علي رؤوس الاشهاد .

فأفسح الجالسون يسار مينو المكان لتجلس زبيدة بجانبه . فقام الشيخ خليل البكري و أمسك بيد الشيخ محمد البواب و ابتعدوا قليلا و قال له : يا ابن المحظوظة يا شيخ محمد, بالأمس زوجتها من سليم الاغا و قد كان من كان بين رجال المماليك , و اليوم زوجتها من مينو ايها الفاجر , ما بك يا رجل , هل الاسياد راضون عنك لهذة الدرجه ؟

فضحك الشيخ محمد البواب ضحكة خبث و قال : كفانا الله من شر حسدكم يا شيخ خليل . و هل انت بالصلاة علي النبي ساكت ؟ ماشاء الله اري ابنتك ملتصقة بنابليون كأنها ستقوم و تقبله وسط الخلائق.

فأبتسم الشيخ خليل ابتسامة خفيفة من الاحراج ثم عاد و جلس في مكانه .

في الخلف السيدة هوي جالسة بجانب الشيخة أمونة و تهمس لها و تقول : هنيئا لنا يا بنت التركية . انا و انت جالسون في الخلف و الاطفال مثل زينب و زبيدة يتخطفون قادة الفرنسيس . حسرة ما بعدها حسرة .

الشيخة أمونة : حرام عليكي يا هوي , زبيدة مغصوبة علي هذا الزواج .

فضحكت السيدة هوي و قالت : حسنا أنا موافقة أن يغصبوني مكانها .

فقالت الشيخة أمونة : ألا يكفيكي هذا المدعو نقولا ؟

السيدة هوي : صحيح , اين ذلك المغفل ؟ سأذهب لأبحث عنه .

فضحكت الشيخة أمونة و هزت رأسها إستعجابا.

obeikandl.com

بداية شهر أكتوبر ١٧٩٨

<u>سوق باب الشعرية ,</u> امام احد الحوانيت ينتظر احد الصبيان بقلق وبيده منشور و فجأة همس لنفسه و قال بصوت منخفض : ها هو جاء.

يظهر من بين الناس الحاج محمد المغربي يقترب من الصبي بإستعجال و يقف امامه و يقول مفزوعا : يا ابن الفقرية, ماذا هناك ؟ ألا تعلم اني ذهبت لأجد حلاً في مصيبة البغال ؟

الصبي : دعك من البغال يا سيدي هناك مصيبة أكبر .

فزاد فزع الحاج محمد و قال بصوت عالي : انطق .

فأعطي الصبي المنشور للحاج محمد , فنظر فيه و قرأ منه و إذا به يصرخ و هو يتهاوي ويلقي بجسده علي كرسي بجوار حانوته و يقول : حسبي الله و نعم الوكيل , حسبي الله و نعم الوكيل , أنقذنا من هؤلاء الكفار يا رب .

فجاء احد التجار من حانوت مجاور مفزوعا : ماذا حصل يا حاج محمد ؟

فإجتمع بعض المارة في الشارع علي الحاج محمد و جاره التاجر , فأعطي المنشور للصبي و قال : أقرأ عليهم و اسمعهم الهنا الذي نحن فيه . لم ننته من مصيبة بغالنا التي أخذوها منا غصبا و لم يعطونا الا ربع قيمتها حتي يرسلوا لنا مصيبة أخري , أقرأ عليهم أقرأ .

فأمسك الصبي بالمنشور و قال :

قرر بونابرت نشر مرسوم بإنشاء رسوم التسجيل جاء فيه :

بند ١. ينشأ في كل عاصمة من أقاليم القطر المصري مكتب للتسجيل حيث تسجل التواريخ رسميا لجميع سندات الملكية و العقود التي يحتمل إبرازها أمام المحاكم

بند ٢. لكل تسجيل يدفع رسم مناسب لأهمية العقد طبقا للتعريفة المرفق قائمة منها بهذا القرار

obeikandl.com

بند ٣. لن يعترف بالممتلكات الخاصة إلا اذا كان سند ملكيتها مسجلا و كل الممتلكات الاخري سوف يطلق عليها ممتلكات أهلية .

فقاطع التاجر جار الحاج محمد الصبي و قال : يا ولدي والله انا لم افهم شيئا

ثم نظر للحاج محمد و قال : ترجم لنا يا حاج محمد .

فضحك الحاج محمد و يده علي رأسه يولول و قال : يعني لو لديك وثيقة تثبت ملكيتك لأملاكك سواء منزل او حانوت او اي شئ , لابد من ان تذهب لهم و تسجل هذة الوثيقة عندهم و تدفع رسوم تسجيل , ثم تذهب و تأتي بشهود لإثبات التسجيل و تدفع رسوم إثبات . ثم تذهب لتقيم قيمة الاملاك و تدفع رسوم تقيم , ثم بعد كل هذا تدفع ٢% من قيمة الملك بصفة دورية.

فضرب التاجر علي رأسه و قال : رسوم تسجيل , رسوم إثبات , رسوم تقيم , ثم ٢% ... اااااااه يا ويلي . و ماذا يفعل من لا يملك وثيقة ملكية ؟

الحاج محمد : يتحول المنزل او الحانوت او الملك تلقائيا لملكية الجمهورية الفرنسية .

فهاجت الناس و بدأوا يصرخون و يصيحون . و فجأة سُمع صوت عيار ناري يصيب احد المتجمهرين في رأسه و يسقط ميتا . فهجم المتجمهرين علي اتجاه العيار ليمسكوا مطلقه , فإنهال عليهم سيل من العيارات النارية موجهه علي رؤوسهم و القتلي بدأوا يتساقطون تباعا . فبدأوا يتراجعون و يهربون و الحاج محمد يصرخ فيهم : لا تهربون , نموت كراما و لا نحي عبيدا . إثبتوا و قاوموا .

فإمتلي المكان بدخان البارود و الناس تهرب و الحاج محمد ثابت مع صبيانه الذين يسقط منهم الواحد تلو الاخر بالعيارات النارية . و بعد دقائق توقف اطلاق النار و اختفت الناس و لم يبقي الا الحاج محمد علي الارض وحده وسط كومه من الجثث ثم نظر لاتجاه اطلاق النار فوجد جنود من عساكر فرنساوية ونصاري الشوام و بدو و مغاربة يتقدمهم السفاح العملاق ذو الوجه الاحمر برطلمين و بجانبه عمر القلقيجي . فوقفوا قرب الجثث و الحاج محمد ساقط علي الارض وسطها

فقال برطلمين : ألست انت شريك عبدالله المغربي مدير املاك مراد بك ؟

قال احد الجنود النصاري الشوام : نعم هو سيدي , و قد كانت حوانيتنا لا يأتيها الناس بسبب هذا الاحمق .

برطلمين : اذا فإقتلوه .

فقال عمر القلقيجي لبرطلمين : سيدي , هذا الرجل صاحب فضل علي قديم .

برطلمين ينظر لعمر : و ماذا يعني هذا ؟

عمر القلقيجي : اعطه فرصه يهرب الأن , ثم اذا وجدته أمامك مرة أخري سأقتله انا بنفسي .

برطلمين بإبتسامة خبيثة : حسنا , اعطه فرصة يهرب لمدة ساعة , و بعدها , إبدا بالبحث عنه , و إذا لم تأتني به هذة الليلة سأقتلك مكانه .

فإبتسم عمر و قال : نعم .

فهرب الحاج محمد من أمامهم .

<u>بعد ساعة</u> , أمام بيت الشيخ عبدالله الشرقاوي , عمر القلقجي يطرق الباب بعنف و خلفه جنود برطلمين من النصاري الشوام , ففتح الشيخ و قال : مالك يا ولدي تطرق بهذا العنف , تكاد تخلع الباب .

عمر : اريد الحاج محمد .

الشيخ : و فيما تريدونه ؟

عمر : عليه مظلمة لاحد هؤلاء الرجال.

الشيخ : حسنا , تعالوا غدا , سأكون قد عثرت علي الحاج محمد , و نجلس جميعا و احكم بينهم .

obeikandi.com

و هم الشيخ بقفل الباب , فدفع عمر الباب ببندقيته و قال صارخا للجنود الذين خلفه : اذهبوا و ائتوني بالفرنسيس

و بعد أن ذهبوا قال عمر للشيخ : شيخ عبدالله , أعلم أنه عندك . و قل له أن يذهب من هنا فإنهم سيأتون بعد قليل وسيدخلون بيتك و سيفتشونه .

ثم رحل .

بعد ساعة , برطلمين واقف أمام باب الشيخ عبدالله و الجنود خلفه كلهم فرنسيس مدججين بكل الاسلحة من السيوف و البنادق .

برطلمين للشيخ عبدالله : اخرج لنا الحاج محمد المغربي .

الشيخ : هرب .

فشهر برطلمين بندقيته و اطلق عيارا ناريا فوق رأس الشيخ و قال : اخرجه بدلا من ان اغضب .

فهرع المشايخ و الناس المجاورين لبيت الشيخ ليروا مصدر العيار الناري وعلي رأسهم الشيخ سليمان الفيومي و مصطفي الصاوي , فشاهدوا المنظر , فجري الشيخين سليمان و مصطفي الي بيت نابليون ودخلوا عليه صالة قصره مفزوعين و هو كان واقف مع موظفينه

فقال نابليون و المترجم يترجم : ماذا هناك ؟

سليمان الفيومي : رجالكم عند الشيخ عبدالله الشرقاوي يهددونه .

نابليون مستغربا : و لماذا ؟

سليمان الفيومي : ليخرج لهم الحاج محمد , و هو قد هرب منذ البارحة .

فأظهر نابليون علامات الغضب علي وجهه و هو يمشي تجاههم : مؤكد ان جرمه كبير , و لولا هذا ما هرب , و انتم تخفونه .

obeikandl.com

فإبتسم سليمان الفيومي لنابليون ملاطفا له و جري مصطفي الصاوي تجاه الترجمان ليستعطفه ليهدأ نابليون و قال : أرجوك هدأ الصاري عسكر حتي لا يفتك بنا ,

فتوجه المترجم لنابليون و هدأه ... فهدأ نابليون و استدار و مشي خطوات ثم جلس علي كرسيه الضخم و قال : اين حانوت هذا الرجل و منزله ؟

سليمان الفيومي : في باب الشعرية .

نابليون في غرور : يذهب معكما احد من طرفنا و يختم علي بيته و حانوته , و اذا لم يظهر في الغد , سنفتح البيت و الحانوت و نأخذ ما فيه و سنحول البيت و الحانوت بما فيهما لملكية الجمهورية الفرنسية .

فقال مصطفي الصاوي و سليمان الفيومي في نفس واحد : حاضر حاضر سيدي . ورحلا .

فقام نابليون و قال لأحد مساعديه و علامات الجد علي و جهه : متي إجتماع الديوان .

قال المساعد : بعد قليل يا سيدي .

نابليون : حسنا . سأنتظرهم , و ارسل رسل للمشايخ كلهم بأن يحضروا ولا يتغيب منهم أحد للأهمية .

<u>بعد ساعة ,</u> نابليون واقف بجانب باب كبير مغلق لقاعة اجتماعات كبري وأمامه احد العساكر الفرنسيس الذي يتنفس بصعوبه من قدومه جريا ,

نابليون : ها ما الاخبار ؟

العسكري : الاخبار سيئة سيدي , فأهل الصعيد مقاومتهم شديدة . هذا لم يعوق الجنرال ديزيه عن التقدم , لكن التقدم بطئ و الخسائر كبيرة .

نابليون : و هل ذبح فيهم ديزيه كما قلت له , فالذبح سيرعبهم و يجعلهم يفرون امامه .

obeikandl.com

العسكري : فعل سيدي , و أكثرها معركة بحر يوسف في الفيوم . و لكن هذا لا يخيف الاهالي و يجعلهم ينضمون لمراد بك أكثر و يستميتون في القتال اكثر خصوصا ان قتالهم يعتمد علي الكر و الفر

نابليون بإستخفاف : قل لديزيه ان يصبر علي القتال و يذبح فيهم قدر المستطاع كما قلت له فقط . و في خلال اسابيع او شهور سينهي المسأله.

ثم ضرب علي كتف العسكري و استدار و فتح الباب الكبير و دخل قاعة كبيرة فيها طاولة مستطيله طويلة و المشايخ يجلسون علي الكراسي في الجانبين و الكرسي الذي علي رأس الطاولة خلف الباب فارغ ليجلس عليه نابليون و الطرف الاخر يجلس كبار قادة الفرنسيس و المترجمين و اثنين من الحرس واقفون خلفهم في زاوتي القاعة و اثنين في منتصف جانبي القاعة و اثنين اخرين علي يمين و يسار الباب و كلهم معهم بنادقهم و سيوفهم

فقال نابليون بترحاب و إبتسامة و المترجم يترجم : اهلا اهلا بأعضاء الديوان المبجلين .

ثم نظر و استغرب و قال : أين الشيخ السادات ؟

قال الشيخ عبدالله الشرقاوي : تأخر بضعا من الوقت بسبب تأخر سفن تجارته.

فإبتسم نابليون قائلا : و الله لا اعلم لماذا يعمل هذا الشيخ ؟ ان عنده من الاموال ما تكفيه و تكفي ٥ اجيال من احفاده .

فهمس الشيخ مصطفي الصاوي للشيخ سليمان الفيومي : إنه الحسد كما يجب أن يكون .

فأقترب نابليون من الشيخ عبدالله الشرقاوي و أشار لأحد العساكر الواقفين فخرج العسكري , ثم قال للشيخ عبدالله : كيف حالك يا شيخ عبدالله ؟

الشيخ : الحمد الله .

نابليون : كيف صحتك ؟

الشيخ : الحمد الله .

نابليون : كيف اولادك ؟

فنظر الشيخ لنابليون متعجبا و قال : الحمد الله .

فدخل العسكري بشال ملون بألوان الجمهورية الفرنسية و دخل عسكري أخر خلفه معه مجموعه من هذه الشلات , فأخذ نابليون الشال و ضعه علي كتف الشيخ عبدالله و رجع خطوة للوراء و رفع يده سعيدا وقال : هكذا اجمل بكثير.

فإستشاط الشيخ عبدالله غضبا و قام و لف ليواجه نابليون و رمي الشال علي الارض , فقام كل من في القاعة من علي كراسيهم و التف المشايخ حول الشيخ عبدالله و قال سليمان الفيومي بإبتسامة ملاطفة : اعذرونا يا سادة , فإن هذا الشال سيضيع هيبتنا عند الله و عند المسلمين .

فإستعجب نابليون و الدم يغلي في عروقه ثم صرخ في وجه الشيخ عبدالله و قال نابليون : هذا الشال سيضيع هيبتكم عند المسلمين ؟؟ الم تضيع هيبتكم عندما فر شيخ أزهركم يوم ان دخلت بلدكم و لم يعود إلا بعد ان اعطيته الأمان؟

ثم نظر نابليون لسليمان الفيومي و مصطفي الصاوي : ألم تضيع هيبتكم عندما جئتماني و انا في البر الغربي كمندوبين عن المشايخ , لا لتحذراني من مقاومة اهل الاسلام و علماء الازهر لي , بل لتطلبوا مني ضمانات أني سأحتل بلادكم ... ولكن بسلام ؟

ثم عاد و نظر للشيخ عبدالله : ألم تضيع هيبتكم يا شيخ عندما كنتم تتشفعون في زوجات و أبناء المماليك بعدما قبض عليهم حسن باشا العثماني , و هو الذي جاء ليسحق المماليك منذ عدة سنوات ؟ و في المقابل , كلما كانت تثور الناس علي المماليك , كنتم تهدئونهم و تثبطون من عزائمهم بترديدكم وعود المماليك كالببغاوات التي كانت تذهب ادراج الرياح قبل ان يطلع عليها النهار .

ثم التف و اعطي لهم ظهره و مشي بضع خطوات وهدأ و قال : شيخ عبدالله , انت لست رئيس الديوان من هذة اللحظه .

فخرج الشيخ عبدالله من القاعه غاضبا , و جري المشايخ باتجاه نابليون فإلتف حوله القاده الثلاثة الكبار و شهر العساكر بنادقهم فقال المشايخ : سيدي الجنرال سامحه , نرجوك.

فنظر نابليون إليهم , فدخل في هذة اللحظة الشيخ السادات و قال : ما الذي يحدث ؟ لماذا خرج الشيخ عبدالله غاضبا ؟

فقال نابليون : اجلس يا شيخ السادات . اجلسوا ايها المشايخ , اجلسوا من فضلكم

فجلس الجميع في اماكنهم و جلس الشيخ السادات مكان الشيخ عبدالله و جلس نابليون علي رأس الطاولة و قال الشيخ السادات متلهفا : ماذا حصل ؟

فأشار نابليون لحملة الشالات , فبدأ العسكري بإلباس الشيخ السادات الشال , فسكت و ارجع ظهره للكرسي و اغمض عينيه و وجه وجهه للارض و قال: لهذا خرج غاضبا.

ثم دار العسكري علي المشايخ يضع علي أكتافهم الشالات و هم صامتون .

ثم أشار نابليون لعسكري أخر فخرج العسكري و جاء بمجموعة من المنشورات و وضع امام كل شيخ منشور , فأرجع نابليون ظهره علي الكرسي و قال للشيخ السادات: اقرأ و أسمعني .

فقرأ الشيخ السادات :

قرار من نابليون بونابرت القائد العام

مادة ١. يلتزم جميع سكان القطر المصري بوضع الشارة الفرنسية ذات الثلاثة ألوان علي صدورهم

obeikandl.com

مادة ٢. علي جميع المراكب النيلية رفع العلم الفرنسي الثلاثي الالوان علي ساريتها

مادة ٣. لن يتحدث القادة و الحكام في المقاطعات و الضباط الفرنسيون الي اي احد لا يضع الشارة و كذلك في جميع الاقسام المقامة علي النيل . وسيمنع ملاحة اي مراكب نيلية بدون وضع العلم و سيشرف علي ذلك جميع القادة الفرنسيون و قواد الحاميات في رشيد و دمياط و بولاق .

مادة ٤. اعضاء الديوان فقط هم المسموح لهم بإرتداء الشال الفرنسي علي اكتافهم .

ذات صباح , استيقظت الشيخة أمونة مفزوعة علي صوت صراخ خادماتها و أصوات طرق و هدم من خلف البيت . فنزلت بسرعة فوجدت كبيرة الخادمات بثينة تصرخ : الحقينا يا سيدتي , مفتشة الصحة وعساكر فرنسيس يهدمون شاهد قبر السيدة صفية أمك .

فقالت الشيخة أمونة و هي تنزل بسرعة علي الدرج من الطابق العلوي : الساقطة بنت الساقطة .

فخرجت الشيخة أمونة من باب المنزل الخلفي و في يدها نبوت , فوجدت مفتشة الصحة تلبس قميص مفتوح شفاف الاكمام و يظهر رقبه طويله و كتفين نحيفين , و مكشوفة الشعر الناعم الاسود الطويل , جالسة علي كرسي تدخن لفافة ظهرها للباب ووجهها للاثنين من العساكر الفرنسيس و عامل الهدم , فإبتسمت أمونة بغضب و قالت : ها ... كما قلت الساقطة بنت الساقطة.

فأدارت المفتشة وجهها , فصرخت كبيرة الخادمات بثينة : السيدة هوي.

فرجعت المفتشة الي ما كانت عليه و لم تعيرهما إنتباهً , فهجمت أمونة عليها , فأطلق احد العساكر عيار ناري في الهواء

فقالت هوي : خطوة أخري إلي الامام سأجعل العيار التالي في جسدك و ضربة المعول التالية في بيتك بدلا من قبر هذه التافهه الملقاه في قعر جهنم .

أمونة : اه , هذه التي آوتك عندما كنت كلبة تبحثين عن كومة نفايات تبيتين فيها .

رمت هوي لفافة الدخان و قامت من علي الكرسي و إتجهت نحو أمونة و صفعتها و أمسكتها من شعرها وقالت لها بصوت منخفض : العبرة ليست بالماضي يا حلوة , العبرة بالخواتيم .

فإبتسمت أمونة ابتسامة استغراب و سخرية و قالت : هأ **!!** هوي , كبيرة مومسات و راقصات القاهرة , و الان بعد الترقية , اصبحت كبيرة مومسات الفرنسيس, فعلا نعم الخواتيم .

فتركت هوي شعر أمونة و عادت و جلست علي الكرسي , فسُمع صوت نساء بالخارج , و جاءت احدي الخادمات تقول : شيخة أمونة , هناك مظاهرة نسائية عظيمة ضد اجراءات تفتيش الصحة .

فدخلت أمونة مسرعة للبيت , و ابتسمت هوي سخرية , و خرجت الشيخة أمونة من باب البيت الرئيسي فوجدت جماهير لا حصر لها من النساء يقفون بإنتظارها و قالت احدن : شيخة أمونة , تعالي معنا لوقف المهزلة التي تحصل.

قالت أخري : انت لك صله بالأسياد يا شيخة أمونة و هم راضون عنك , فأخرجي معنا لتحل بركاتك علينا .

فوضعت الشيخة أمونة شال شفاف علي شعرها و هندمت ملابسها و خرجت هي و كبيرة الخدم و بعض الخادمات و رفعت يدها و نظرت للسماء و هزت رأسها يمينا و يسارا و أغمضت عينيها و صرخت : ماااااااد يا سيدي علي البكري ماااااااد , ماااااااد يا سيدي البكري ماااااااد .

فرفعها النساء فوق اكتافهن و تحركن من أمام باب الدار و تبعتها كبيرة الخادمات بثينية و بعض الخادمات , و مشين يرددن ورائها و كلهن يهزن رؤوسهن مثلها . و ظلوا يجوبوا الشوارع و الحارات و النساء ينضمن لها من كل الشوارع الجانبية الي ان وصلوا لبيت نابليون فأطلق العساكر عيارا نارياً فتوقفن في مكانهن .

فجائهن احد المترجمين مسرع و قال : ماذا تريدن ايها النسوة المخابيل ؟

قالت أمونة : نحتج علي ما تفعلوه بقبورنا .

المترجم : و ماذا يحدث في قبوركن؟

أمونة : تهدمونها .

المترجم : ما هذا , قرار القائد العام لم يكن هدم المقابر , إنما كان التوقف عن الدفن عند البيوت وتحويل دفن الموتي خارج البلد تجنبا للطاعون الذي يتكرر هنا من فترة للاخري .

أمونة : و هل يجب علينا أن نصدقك أنت أم نصدق ما رأته أعيننا .

المترجم : حسنا حسنا .

ثم نادي المترجم علي احد قواد الحرس و قال له : ارسل رسل لكل المفتشين الصحيين ليتوقفوا عن الهدم و يبلغوهم بأن القرار يطبق علي من سيدفن بعد تاريخ اصدار القرار و ليس قبله .

فإنطلق الرسل , فقال المترجم لأمونة : هيا اذهبن الان .

فنزلت أمونة من فوق اكتاف النسوة و بدأت النسوة في الرجوع و بعد ابتعادهن بفترة نادي المترجم علي قائد الحرس الذي أرسل الرسل و قال له : بعد ان يبتعدن عن بيت نابليون , ابعث جنودك ليقبضوا علي تلك المرأة التي تقودهم .

<u>بعد نصف ساعة</u> , تمر النساء في أحد الشوارع الكبيرة و علي رأسهن الشيخة أمونة و خادماتها . و إذ بجمهور عملاق من الناس يمشون في مظاهرة يتوسطهم مجموعة من الفرسان علي خيولهم ملثمين , فإصطفت النساء يمين و يسار الطريق لتعبر المظاهرة , فسألت أمونة كبيرة الخدم : من هؤلاء ؟

obeikandl.com

فردت احد النساء كانت في المظاهرة النسائية : هؤلاء سكان منطقة القلعة , غاضبون لأن الفرنسيس أصدروا أوامرهم بالأمس بترحيلهم من مساكنهم إلي مناطق أخري ليتسني لهم إقامة دفاعات في منطقة القلعة المطلة علي باقي القاهرة .

فغضبت أمونة : ألا يتقي هؤلاء الفرنسيون الله ؟ أمس ترحيل سكان القلعة و قبل أمس رسوم الاملاك و قبله سحب بغال الناس بالغصب , و اليوم هدم القبور , هل هؤلاء بهذا الغباء ليثيروا الناس عليهم هكذا كل يوم ؟ و اين هؤلاء مشايخ الديوان ؟ الا يصدون عنا قليلا ؟ أم انهم مجرد أعوان للفرنسيس ؟

فهمست كبيرة الخادمات بثينة لاحد الخدمات : انظر من الذي يتكلم . اقتلني اليوم و امشي في جنازتي غدا **!!**

فنظرت أمونة لبثينة : اقلت شيئا يا حلوه ؟

فقالت كبيرة الخدم بثينة مفزوعة : كنت اقول لهذه البلهاء , لو كانت نسيت القدر علي النار , سأعلقها من قدميها علي باب المطبخ.

فلمحت أمونة شيئا فتوترت و قالت : هيا , هيا من هنا .

فنظرن الخادمات فوجدن سليمان الجوسقي و ابنه و بعض من العميان , ملثمين علي الخيول في مظاهرة سكان القلعة , فصرخت أمونة : قلت هيا ايها الغبيات .

فسمع سليمان صوتها فنظر هو و ابنه لمصدر الصوت فعرفاها , فنظر الابن محبطا للأرض : آآآآآه , ها قد جائنا البلاء .

سليمان لابنه : اسمع ايها الولد , اذهب فأقتلها و سأكافئك كما لم تكافئ من قبل.

الابن : و لماذا ؟ دعها و شأنها .

سليمان : امامك اختيارين , تقتلها و تأخذ مكافئتك , او لا تقتلها و سأقتلك أنا .

الابن و علامات الاحباط علي وجهه يتكلم بصوت منخفض : والله ان قتلتها لن تكافئني و ان لم اقتلها لن تقتلني . انت لست بارع الا في الكلام , و لكني سافعل لارتاح من صداعك انت و أمي .

سليمان : بماذا تثرثر ايها المخبول ؟

الابن : لا شئ , سأذهب .

فخرج الابن من مظاهرة سكان القلعه و نزل من علي فرسه و دخل بجانب جمهور النساء بعد ان بدأن يتحركن بعد مرور سكان القلعة و اقترب من الشيخه أمونة , و فجأة ظهر الجنود الفرنسيس يقودهم عمر القلقيجي هاجمين علي النساء ليقبضوا علي الشيخة أمونة ,فهرب ابن سليمان وهربت أمونة و خادماتها في أحد الشوارع الجانبية , فلحقهم عمر القلقيجي , و هكذا من شارع الي شارع الي ان ظهر سليمان الجوسقي علي فرسه وبجانبه ابنه و معهم العميان علي خيولهم و معهم بنادقهم كلهم ملثمين . واصبحت أمونة محاصرة بين رجال سليمان الجوسقي و عمر القلقيجي , فقال سليمان لعمر : أعربي انت؟

عمر بالعربية : من انت أيها البطل ؟

ينظر سليمان لجنود عمر و يقول : افيهم من يفهم العربية ؟

عمر : لا , استعانو بي لاني اعرف لغتهم و لغتنا .

سليمان : كم يكفيك و تتركهن ؟

عمر : كم ستدفع ؟

سليمان : كيسين فضة .

عمر : لا, كيسين ذهب .

سليمان : اتفقنا , هذا ابني سأرسله لك الليله .

عمر : و ان لم يأتي ؟

سليمان : انت تعرف بيتها , اذهب لها و اقتلها .

عمر : لا , سأدعو قائد الشرطة برطلمين لشرب الخمر في رأس شيخ العميان الليله .

سليمان : حسنا . من سيبدأ ؟

عمر : بالطبع أنت .

سليمان يرفع بندقيته و يصرخ في رجاله : اطلقوا نيرانكم .

فإنهالت العيارات الناريه فوق رؤوس جنود عمر القلقيجي , فيلتف عمر و يأمر رجاله بالانسحاب . و ينطلق سليمان الجوسقي هو و ابنه و يُهرّبان أمونة و خادماتها .

بعد ربع ساعة , يدخل سليمان الجوسقي و ابنه و بعض العميان و معهم أمونة و خادماتها دارهم في صاله الاستقبال الكبري في منتصف البيت , فتخرج زوجة سليمان من الطابق العلوي , فيضرب ابن سليمان علي رأسه و يقول : ها هي أمي . ليله سوداء بإذن المولي .

فتصرخ الام و تقول : ما هذا , هل ضاقت بك الدنيا ...

فقاطعها سليمان بعيار ناري تجاهها فهربت و دخلت احد الغرف . ثم نظر لإبنه و قال : خذ مما عندك من ذهب و خذ كيسين لهذا السافل .

فقال الابن : حاضر .

وهم بالانطلاق

فنظر سليمان لرجاله و قال لهم : قيدوا هؤلاء النسوة و القوهم علي الارض بجانب بعضهن .

obeikandl.com

فتوقف ابنه و رجع و قال : ما بك يا ابي ؟ اتنقذهم و تدفع كيسين ذهب من أجل أن تقتلهن ؟ إذا كنت تركتهم يقتلونها .

فصرخ سليمان في ابنه و قال : اخرس يا ابن الكلب .

ثم نظر لرجاله و صرخ فيهم : ماذا تنتظرون ؟ هيا افعلوا ما أمرتكم به .

فهجم الرجال علي النسوة فأطلقن الصرخات ماعدا أمونة التي قاومت قليلا لكنها فشلت أمام اثنين من الرجال الفحول فقيدوا النسوه و القوهن علي الارض جاثين علي ركبهن , فخرجت زوجة سليمان تركض و نزلت علي السلم بسرعة و أمسكت بذراع سليمان و قالت و البكاء يعتصرها : ارجوك لا تقتلها , دعها فقط و شأنها . هذة الشيخة أمونة موصولة بالأسياد . لو قتلتها في الدار و سال دمها هاهنا ستحل اللعنة علي الدار .

فضربها سليمان و سقطت علي الارض و هي تبكي , والخادمات يبكين و ابن سليمان في غاية القلق ورجال العميان يترقبون. فشهر سليمان مسدسه و وجهه تجاه رأس أمونة و هو يصارع عينيه التي تكاد تنفطر من البكاء و أمونة وجهها للأرض يتساقط منها مزيج من قطرات الدموع و العرق من الرعب المكتوم .

فجأة يقطع كل هذا صوت كبيرة الخدم بثينة المبحوح من كثرة البكاء و هي تقول بصوت يصارع من اجل ان يصل لمسامع الحاضرين : هناك ليلتين لم يغبن عن بالي يوما , الاولي , ليلة أن ماتت السيدة صفية أم الشيخة أمونة , و قد كانت متزوجة بسعيد البكري . ليلتها فقدت أمونة عقلها و أصبحت تركض في الدار كالمسعورة لدرجة اني قفزت عليها بكل جسدي و هي علي السلم لأمسك بها و اسيطر عليها و هي
لا تشعر بنفسها من كثرة الصراخ . و حاولت انا ايقافها بكل الطرق و لم يؤثر كل هذا . فأرسلت احدهم لسليمان . فجاء بسرعة البرق , علي الرغم من ان هذه التي ماتت هي من حرمته من أمونه . وبمجرد ان وقعت عين أمونة عليه...

فصرخت أمونة : اخرسي ايتها الحمقاء , اخرسي ..

فأشار ابن سليمان لأحد الرجال بجانب أمونة بأن يضع يده علي فمها ليخرسها و قال لبثينة : أكملي , أكملي أرجوكي .

فوضع الرجل الفحل يده علي فم أمونه و اصبحت تصرخ صراخ مكتوم غير مفهوم ,

و أكملت بثينة : فأنطلقت أمونة كالسهم في حضن سليمان كأنها تهرب من العالم في قلب كهف بعيد في صحراء بعيدة و ظلت تضرب علي كتفه و صدره الي ان سقطت مغشية عليها . و كان هذا المشهد بالتأكيد نهاية زواجها و بداية معاناتها في حياة الوحدة .

فإستسلمت أمونة و توقفت عن محاولة الصراخ لاسكات خادمتها

ثم نظرت كبيرة الخدم بثينة لابن سليمان وقالت : و الليلة الثانية كانت بعد الليلة الاولي بسنوات عندما مرض هذا الشاب و هو طفل لا يعقل . و كان بينه و بين الموت شعره . فركض ابوه به بدون تفكير و لا تدبير الي أمونة دون ان يقول لامه و لا لأي احد , لانه كان يعرف انها كانت تعلم من امور الطب و الاعشاب شيئا لا بأس به .

فنظر الابن الشاب و أمه بإستعجاب إلي سليمان الذي ظهر و كأن كلام الخادمة كصواعق تنزل عليه .

كبيرة الخدم بثينة : فبمجرد أن رأت أمونة الطفل هكذا , و إذا بها تصعق و كأن هذا الطفل إبنها , و انطلقت الدموع من عينيها و هي تلهث في غرفتها ترتدي اي شئ لتأخذه و تنطلق به لأحد الاطباء التي تتعامل معهم في بعض الاحيان . و لحظي ذهبت معهم لهذا الطبيب , و كان من الفرنسيس , لم اكن اعلم سبب اقامته في مصر حينها و كان يسكن في اطراف البلد . و جلسنا عند الطبيب يومين . وبينما كانت تصرخ الام ظنا ان الطفل مات و ان سليمان هرب حزنا علي الطفل , كنا نحن جالسين بجانبه . والمضحك ان الطبيب كان يظن ان سليمان و أمونة هما والدا الطفل من شدة الحميمة و القلق الظاهر عليهما.

ثم نظرت للارض حسرة : والامر ليس مجرد ذكريات و انتهت , لا . فعندما جاءت أمونة بسليمان البيت وهو مصاب منذ عدة أسابيع بعد معركته ضد نابليون , لم تستطيع معالجة جرحه و هي اكثر الناس خبرة بذلك , و لكن كانت متأكدة ان سيل دموعها الذي لا يتوقف خوفا عليه لم يكن ليمكنها من وضع مشرط في جسد حبيبها التي عشقته و لم تكن تتوقف عن سرد حكاياته لنا طول الليالي . و ارسلت لطبيب اخر ليعالج سليمان و لم تجعله يبرح بيتها الا بعد شهر بعد ان تأكدت من شفائه تماما.

ثم نظرت للابن : و الان , كما قال هذا الشاب , لماذا تدفع كيسين ذهب يمكن ان تكفي ١٠ بيوت مدة شهر من مأكل و مشرب لتنقذها ثم تأتي لتقتلها هنا , إذا لكنت تركتهم يقتلوها افضل . صحيح يا ولدي . هو أنقذها و دفع كل هذا لأنه بشكل غير إرادي لم يستطيع ان يري أحداً يؤذيها . أما و بعد ان جاء بها إلي هنا و شعر أنها بأمان . تذكر الإنتقام منها .

فسقط سليمان علي الارض و سقط مسدسه من يده و الدموع جفت في عينه و جفت في عيون الجميع بعد أن تنفسوا الصعداء ما عدا زوجة سليمان التي اكملت بكائها و قامت و صعدت الي غرفتها .

فقال سليمان و هو ناظر للارض كالمصاب بنوبة قلبية : من أين جئتيني يا بثينة ؟ كيف تذكرتي كل هذا ؟ كنت اريد أن أقتلها و أنتهي من عذابها .... سنين لا اعلم عددها لا تبرح أحلامي لا في نومي و لا يقظتي . صدقيني انا لا احب سيدتك يا بثينة ...

و بدأت الدموع تنزل تدريجيا من عينه : انا مريض بها . فالذي اعرفه عن الحب أنه شئ يأتي بالسعادة للمتحابين . أما أنا لم أتذكر سيدتك يوميا , إلا و شعرت بنبض قلبي يقرع في صدري كقرع اجراس الكنائس .

ثم ضحك ضحكه : و بالطبع لا يمكن وصف حالتي عندما اسمع ان اي رجل يقترب منها او هي تقترب من اي رجل . اسألوا الحاج محمد المغربي عن حالتي عندما سمعت بأنها تزوجت سعيد البكري . أخذني للفيوم في الصحراء . و ظللت ابكي اسبوع و كنت ابكي طوال كل يوم الي ان يغشي علي في أخره .و بعد أن يأس مني أحضر لي فرسا و قطاع حطب و أمرني أن احضر له كيس

فضه كل يوم بعد ان اقطع الاشجار و اجمع الحطب و اذهب للسوق و ابيعه . و لكي أحضر كيس فضه كان لابد أن اقطع ١٠ اشجار يوميا في حين ان الانسان العادي لا يستطيع ان يقطع ٥ . و بالفعل كنت احضر له كيس و نصف فضه كل يوم . بعد شهر , توقفت عن البكاء . و لكن امتلئت حقدا و غلا علي كل النساء . و عاهدت نفسي ان اعذب أمونة واعذب كل إمرأة اقابلها . و قد نجحت في تعذيب كل من قابلتهن من النساء . حتي هي نجحت في تعذيبها . و لكن علي الرغم من اني شبعت من الانتقام من كل النساء , لم اشبع من الانتقام منها . ليس لأني قصرت في تعذيبها , و لكن لان الالم و قرع قلبي لم يتوقف ابدا .

ثم هم سليمان بالقيام فهب إبنه ليساعده , و فجأة قالت أمونة بصوت يملئه خليط من الضعف و تصنع القوة : قبلت الزواج بك .

فصدم الجميع و إنتبه سليمان بعد أن قام , و قال : لقد قلتيها لي قبلا و كنت تكذبين علي .

فصرخت بثينة و ابن سليمان في صوت واحد و قالوا : و كيف لك ان تعرف؟

و اكملت بثينة : أيها الابله ؟

فنظر لها سليمان بغضب , فتوترت بثينة و نظرت في الارض , فاستدرك ابن سليمان الموقف و قال : يا ابي كيف عرفت انها كانت تكذب عليك ؟ لا تقول لي ان شكلها لم يكن جاداً. فكيف لأنثي أن تتجرأ لتفتح فكرة قبولها للزواج من رجل لم ينطق بطلبها بالزواج الا اذا تظاهرت بالضحك و عدم الجدية لكي لا تحرج نفسها .

فقالت أمونة للإبن : والله ان اباك هذا أكبر مغفل في العالم .

فنزل سليمان علي ركبتيه و امسك بكتفي أمونه و هزها و قال لها : هل تتوقعين بأني سأصدق ان الشيخة أمونة ستعلن موافقتها للزواج من رجل ربطها و رفع عليها السلاح و كاد يقتلها . لقد كنت تتكبرين في مواقف اقل من هذه , فكيف و انت مربوطة و مهددة . لكن اذا فكرت بأنك تقولين هذا لايجاد فرصة للهروب من الموت , سأجد أن هذه الفكرة هي الاقرب لشخصيتك.

فقالت امونة : صحيح , انت ربطتني و أهنت كرامتي . لكن ايضا بكيت أمام اهلك و رجالك من أجلي و صرحت أمامهم بحبك لي و عذابك في بعدي. فأي إمرأة تري كل هذا أمامها و لا تشعر بإستعادة كرامتها و كبريائها الي درجه تجعلها تعلن موافقتها للزواج .

فأنزل سليمان يده من علي ذراعيها و تجمدت معالم وجهه و حركات جسده , فاتحا فاه , فقالت أمونة ساخرةً : حسنا , دعنا جالسون هكذا الي الغد.

obeikandl.com

منتصف شهر أكتوبر ١٧٩٨

<u>في مقر قيادة نابليون ,</u> نابليون جالس في قاعة الاجتماعات يقرأ بعض التقارير , فدخل عليه القادة الثلاثة ، كليبر بيده ورقتين و بون و مينو . فألقي كليبر أحد الورقتين أمام نابليون و قال له : إقرأ هذا .

فنظر نابليون لهم بإستغراب ثم نظر للباب فلم يجد أحدا يقف عليه فقال : أين الحرس؟ و لما لم يدخل دومرتين ليبلغني ..

فقاطعه كليبر وقال بحده : أجرنا بعض المقاطيع ليثيروا بعض الشغب أمام القصر و طلبنا من دومرتين ينزل و يسيطر علي الامر , و ما إن نزل , دخلنا عليك .

سكت نابليون ثم نظر في الورقة ثم نظر لهم ساخراً : يعني ماجلون يقول أن محمد كريم عميل للمماليك ضد الجمهورية الفرنسية ؟

فباغته كليبر و أعطاه الورقة الثانية : امض علي هذه .

فقرأ نابليون , فقام من علي كرسيه و الغضب ينفجر من وجهه : أجننتم ؟ اتريدون إجباري علي إعدام محمد كريم .

فإقترب الثلاثة من نابليون تخويفا له و قال مينو : إعدام شخص بأمرك , أفضل من إعدامه ايضا و لكن بعد انقلاب قوات القلب و الجناح الايمن و الايسر عليك . و من يعرف ربما تلحق به بعد فترة , فالعالم يعج بأناس يتمنون أن يصلوا لرقبتك .

فتراجع نابليون خطوات الي الخلف و هو في قمة الفزع الي ان اصطدم ظهره بالحائط , فسحب كليبر الطاوله بقوه يقربها منه و أخذ مينو الريشة و دواة الحبر و وضعهما أمام نابليون علي الطاولة . فإنحني نابليون ووضع الورقه علي الطاولة و أخذ الريشة من الدواة و مضي علي أمر الإعدام . فسحب كليبر الورقة و خرج الثلاثة من الغرفه مسرعين . فألقي نابليون جسده علي الكرسي مصعوقا .

بمجرد خروج القادة الثلاثة من البيت ذهب المقاطيع و انفض الشغب و صعد دومرتين و دخل علي نابليون و هو جالس علي الكرسي مذهول مما حدث و قال له : أسف سيدي و لكن كان بالأسفل ....

فأشار إليه نابليون بأن يصمت , ثم سكت قليلا ثم قال : دومرتين , اتذكر الموقف الذي عينتك فيه قائدا لحرسي الخاص ؟

دومرتين : نعم سيدي .

نابليون : ألم يكن أول شئ تفعله في هذا المنصب أنك أبعدت عني هؤلاء القادة الثلاثة و أمرتك برفع السلاح في وجوههم .

فصعق دومرتين و نظر للباب ثم نظر لنابليون فوجده قد قام من كرسيه و لكمه علي وجهه لكمة قوية بكل غل أنزلت من فمه الدم و أسقطته علي الارض.

نابليون بكل غيظ : أيها الابله ، لا أراك امامي من اليوم . و الليله خذ نفسك و ارجع علي المدفعية مرة اخري .

ثم صرخ : هيا اغرب عن وجهي .

فقام دومرتين مفزوعا و جري للخارج , فأصطدم بشخص ذو شعر منكوش و نظارة دائريه و لباس فرنسي غير عسكري كان داخلا علي نابليون مفزوعا من صوت الصراخ فقال : سيدي ماذا هناك ؟

فنظر له نابليون ثم ذهب للكرسي و ألقي بنفسه علي الكرسي و هو في حزن شديد و قال : لقد أجبروني علي إمضاء أمر إعدام محمد كريم يا كافاريللي .

كافاريللي (عضو لجنة الاقتصاد السياسي في مجلس علماء الحمله زميل شولكوسكي المسجون) : وما المشكلة يا سيدي ؟ اليس من الاصلح لنا أن نقتل شخصا يحرض ضدنا ؟

نابليون يظهر علامات الاستياء علي وجهه : لا تكن غبيا مثلهم يا كافاريللي , كلنا نعرف أن لا تحريض محمد كريم و لا عمر مكرم و لا الف مثلهما سيجعل

هذا الشعب ينهض و يقاوم . أقصي ما يستطيع هؤلاء أن يفعلوه هو أن يدفعوا الشعب للقيام بهبه لا تستمر أكثر من ساعات , علي الاكثر أيام . لكن أكبر خسارة أن يسجلنا التاريخ أننا قتلنا شريفا من الشرفاء مثل محمد كريم .

كافاريللي : سيدي , لماذا تنظر لهؤلاء أنهم عظماء ؟

نابليون : لأنهم كانوا أقرب ما يكون من نموذج الرجل العظيم , نبيهم محمد .

كافاريللي بإستغراب : و لماذا نبيهم محمد رجل عظيم ؟

فرفع نابليون رأسه و نظر للسقف و تنهد و قال : آآآه يا كافاريللي , هذا الرجل الذي يحلم أي قائد عسكري أن يصبح مثله . هذا الرجل هو اول من أحدث تغييرا ثوريا..

فإعتدل نابليون في جلسته و بدأ الانفعال يظهر عليه ثم أكمل : نعم هو أول من أحدث تغييرا ثوريا في العقيدة العسكرية , فجعل اتباعه يقاتلون في سبيل شئ عجيب و هو الدين , ليس الاموال و القصور و النساء و الذهب , إنه الدين. نجح في صناعة أول جيش منظم في تاريخ البشرية مؤمن بمفاهيم مثل الجهاد , الشهادة . و مما صنع هذا الجيش ؟ من بعض الفوضوين الذين كانوا يوالون قبائلهم بلا عقل . كيف حولهم من هذة الفوضي لهذا النظام المتفاني لمعاني مثل تلك ؟

ثم قام من علي كرسيه متحمسا و أكمل و هو يتمشي في القاعه : ثم أن هذا الرجل أخترع شيئا لم يكن معروفا من قبله , الحرب النفسية , حتي أني سمعت أنه يقول عن نفسه (نصرت بالرعب مسيرة شهر) كيف هذا ؟ ناهيك عن أنه حل معضلة الشعور العام بتميز العسكر المقاتلين علي العوام الغير مقاتلين و جعل الكل سواسية !! صدقني لا اعلم كيف حلها ... و لكنه في النهاية حلها .

ثم تنهد و جلس علي احد الكراسي و قال : أرجو أن لا يفوت الوقت الذي أستطيع أن أوحد جميع الرجال العاقلين و المثقفين في فرنسا و أنشئ نظام حكم متناسق مؤسس علي مبادئ القرآن التي هي وحدها الصادقة و التي يمكنها ان تقود الناس إلي السعادة .

obeikandl.com

ثم ضحك استهزائا و القي ظهره علي الكرسي و قال : و كيف لي بهذا و نحن نقتل القلائل الذين فيهم شئ من روح محمد العظيم .

كافاريللي مستعجباً : حسنا , و لماذا لم تسلم أنت يا سيدي ؟

نابليون : المسلمون الحقيقيون مثل محمد كريم و عمر مكرم أصبحوا اقل قله في العالم يا كافاريللي . و إذا اصبحت مسلما كما كان محمد النبي العظيم سأخسر كل شئ , قيادة الجيش و تاريخي من الانتصارات ...

ثم نظر بإبتسامة خبيثة لكافاريللي : و حكم فرنسا الذي ينتظرني .

فإبتسم كافاريللي وعيناه في الأرض وتهرب في الإتجاهات : و أنا أقرأ عن تاريخ هذا البلد ,قرأت قصة دارت بين حاكمها و بين محمد النبي العظيم .

فإنتبه نابليون , و أكمل كافاريللي : اذ ان محمد أرسل لحاكم مصر حينها - و كان يُدعي المقوقس - رسالة يطلب منه فيها أن يسلم . و كان هذا المقوقس مثلك تماما يا سيدي , يعرف قيمة هذا النبي و قيمة دينه , و لكنه خاف علي ملكه , فأكرم المقوقس رسول هذا النبي و بعث معه الهدايا .

فتحمس نابليون و قال : و ماذا كان رد محمد علي الهدايا ؟

فتوتر كافاريللي و هرب نظره بعيدا , فقام نابليون من علي الكرسي و اقترب منه و كرر عليه : ماذا كان رد محمد ؟

كافاريللي : لم يهتم للهدايا كثيرا و قال : خاف الخبيث علي ملكه , و لا بقاء لملكه .

فإستشاط نابليون غضبا و صرخ : انقلع من امامي ايها القذر .

فجري كافاريللي ناحية الباب و لكنه توقف عند الباب بعدما جلس نابليون علي الكرسي مفزوعا , فقال كافاريللي : سيدي لقد وجدنا مكان اقامة المجمع العلمي و نريد إمضائك علي تصريح البناء .

فأخذ نابليون أنفاسه و تمالك أعصابه و قال : تعالي .

openkanal.com

فجائه كافاريللي و أعطاه الورقة فوقع عليها ثم أعطاها مره أخري لكافاريللي ثم ذهب .

بعد أيام , حي الناصرية السيدة زينب أمام احد الدور الكبيرة , يقف مجموعة من علماء الفرنسيس علي رأسهم كافاريللي يراقبون تجمهراً في مقهي في الجهة المقابلة , يكلمون بعضهم مستغربين . و إذا برجل ذو عمامة متوسطة , و جبين عريض و عينان واسعتان و وجه طويل و لحية رفيعه و يظهر عليه انه من متوسطي الاحوال و معه احد المغاربة العارفين باللغة الفرنسية يدخلان علي العلماء فبمجرد وصلهم اظهر العلماء علامات الفرح و الترحاب و قال كافاريللي : اهلا اهلا بكم , نورتونا .

فإبتسم ذو الجبين العريض وقال و المغربي يترجم : اهلا بكم . أنا عبد الرحمن الجبرتي , و هذا مترجم .

فتهلل وجه كافاريللي و قال : سمعت عنك , انك من واسعين العلم و الحكمة في هذة البلاد .

فإبتسم الجبرتي : رفع الله مقامك . سمعت عن افتتاحكم لهذا المجمع العلمي لإستقبال طلاب العلم , فهل يمكن لأي احد الانضمام ؟

فنزلت علي وجهه كافاريللي علامات الحزن فجأة و قال : أي احد يستطيع الانضمام , و لكن لم يأتي أي أحد . و المصيبة اننا قررنا تقديم هذا العلم بدون مقابل لإغراء الناس , و ايضا لم يأتي أحد **!!**

فإبتسم الجبرتي حزنا و قال : هل لي أن أدخل ؟

كافاريللي: بالتأكيد .

فدخل الجبرتي ثم تبعه المترجم فسأل أحد العلماء الفرنسيس المترجم : ماهذا الحشد من الناس في هذا المقهي ؟

ضحك المترجم و لمعت عيناه و قال : إن السيدة هوي ستأتيه اليوم , و هم ينتظرونها منذ الصباح تقريبا .

obeikandi.com

فإستغرب العالم و قال : من السيدة هوي ؟

فإبتسم المترجم و قال : انها مدفع من مدافع المماليك سابقا ثم ...

فأمسك المترجم بيد العالم و ألصق كتفه في كتف العالم و قال : تعالي , سأشرح لك من السيدة هوي .

فدخل المترجم و العالم خلف الجبرتي و كافاريللي في ساحة استقبال كبيرة في منتصف الدار و في كل الجوانب من كل الزوايا دواليب من الكتب و المخطوطات و الدار كلها لا يوجد شخص واحد غير العلماء فقال كافاريللي للجبرتي : عندي مفاجأة لك .

فنادي كافاريللي علي احد المساعدين , فجاء المساعد و معه كتاب ضخم فأمسكه كافاريللي و قدمه للجبرتي وقال : هذا كتاب وصف مصر .

فإندهش الجبرتي , ثم تجولوا في المجمع حتي دخلوا قاعة كبيره فيها عدد كبير من العلماء و امامهم رسوم فيزيائية كثيرة و اكبر رسمه لبالون هوائي كبير , فقال المترجم : وما هذا ايضا؟

كافاريللي : إنه البالون .

فقال احد العلماء لكافاريللي : سيدي , مازال مشكلة الغاز قائمه .

كافاريللي : اقسم أني كلمت القيادة علي هذة المشكلة و لكن لا أحد يهتم . إسمع , ليس هناك من مفر , لابد من محاولة تعديل هذا الغاز ليدوم فترة أطول و ينفخ البالون بكفائه اعلي .

الجبرتي : ما هذا البالون ؟

فأشار كافاريللي لرسمة البالون و قال : هو عبارة عن جزئين , الجزء الاعلي الضخم المنفوخ هو عبارة عن نوع معين من القماش الذي تصنع منه الخيم باطنه معزول بمواد غير قابلة للإشتعال . في نهاية هذا الجزء مضخة من الغاز يشتعل ليسخن الهواء فيتصاعد الهواء الساخن داخل البالون فيحمل البالون و يطير.

obeikandl.com

فتفاجئ الجبرتي و المترجم و بصوت واحد : يطير ؟؟

كافاريللي : نعم . أما الجزء السلفي هذا المربوط بالبالون , هو عبارة عن صندوق يحمل ٥ او ٦ أشخاص يطيرون مع البالون .

الجبرتي مستعجبا : و فيم ستستخدمون هذا البالون ؟

كافاريللي : نظريا , سيستخدم في اغراض النقل و توصيل و رحلات السياحة للنبلاء و الامراء و الملوك .

الجبرتي : و عمليا ؟

كافاريللي : مهمات التجسس و القصف الجوي .

الجبرتي و الفزع علي وجهه : الله اكبر , ويحكم ؟ الا تتوقفون عن صناعة الحرب ؟ ألا تشبعون ؟

كافاريللي متنهدا : صدقت ايها الرجل , نحن لا نشبع من القتل و الذبح . و لكن من يستطيع قول هذا ؟ فضلا عن منعه ؟

ثم نظر كافاريللي للجبرتي حزينا : اتعلم ما مصير أستاذي عندما قال شيئا مشابها لهذا ؟

الجبرتي : ماذا ؟

كافاريللي : أول قرار حبس اصدره نابليون في مصر كان من نصيبه .

ثم جلس كافاريللي علي احد الكراسي و نظر للجبرتي و تنهد و قال له : أتعلم يا صديقي ما سبب هذه المهزلة التي تدور في العالم ؟ اتعلم من السبب الحقيقي وراء المجازر التي لم يسلم مكان في العالم منها تحت اسم الحرب بين بريطانيا العظمي و حلفائها و فرنسا و حلفائها ؟ إنهم المسلمون .

فنظر الجبرتي للارض و قال : صدقت .

obeikandl.com

فإستغرب المترجم و صرخ في الجبرتي : صدقت ؟ المسلمون هم السبب ؟ المسلمون يحاربهم العالم اجمع و يتأمر عليهم جميع الخلائق و يُسلَط عليهم كلاب الارض ليحرموهم من ارزاقهم و معايشهم , ثم تلقي عليهم ذنب المجازر التي تحصل في العالم ؟

فقام كافاريللي و وضع ذراعه علي كتف المترجم و مشي به و قال للجبرتي : صديقي تعال .

ففتح كافاريللي باباً و قال : تفضلوا .

فدخل الجبرتي و المترجم فوجدوا مجموعه من الرسامين يرسمون اشخاصا علي مخطوطات و بعض الانفار ينسخون بعض الصفحات من كتاب عملاق يضم رسومات و كتابات كثيرة , فدخل بعدهم كافاريللي و أمسك بالكتاب العملاق و قلب فيه حتي فتح صفحه فيه رسم عملاق فيه شخص جاثي علي ركبتيه ينظر إلي السماء و رافع يديه لسماء بيده اليمني السيف و في اليسري كتاب و حوله مجموعة من الفرسان بأيدهم السيوف

فصعق الجبرتي من المفاجأة و قال مفزوعا : لا تقل لي أنه هو .

فنظر المترجم للجبرتي و قال : و من هو ؟

فقال كافاريللي للمترجم : إنه محمد نبيكم .

فصُدم المترجم , و أكمل كافاريللي : و الذين حوله هؤلاء هم اصدقائه .

ثم قلب الصفحة و قال : و هؤلاء خلفائه الاربعة , و هذا اخرهم علي ابن عم محمد , العالِم المسكين الذي تولي الحكم في اتعس ظروف و عاش فترة حكمه كلها في ثورات وفي عهده خرجت فئة من الضالين الذين عاثوا في الارض الفساد .

ثم تنهد و نظر للكتاب : حتي أن أتباعه إنحرفوا بعد قرون من بعده و غيروا في دين الاسلام و جعلوا المسلمين أكثر ضعفا و هوانا .

ثم ضحك ساخرا : ثم يقولون انهم شيعة علي .

ثم قلب الصفحة و قال : و هذه صور للحرم المكي و المدني و بيت المقدس

ثم قلب الصفحة و قال : و هذة صورة البراق الذي أسري به محمد لبيت المقدس , وهذه صورة البراق و هو يصعد من فوق ضخرة بيت المقدس للسماء .

فإنهار الجبرتي و المترجم و سقطا جالسين علي كنبه فاتحين افواههم و قال الجبرتي : والله لاظنكم انتم المسلمين و نحن الكفار .

فإبتسم كافاريللي و جلس علي كرسي و قال للمترجم : أرأيت و أنت داخل المجمع في الجهة المقابلة , كيف احتشد الناس أمام المقهي , و لم يفكر واحد فيهم أن يدخل إلي هنا و لو من باب الفضول ليتعلم اي شئ يفيده .

فإنفعل كافاريللي قليلا و قال : هذا هو ذنب المسلمين . احتشدوا امام المقاهي , و رموا كنوز العلوم المختلفة التي كانت عندهم في التراب الي ان دفنت تحته .

ثم قام و نظر الي احد صور معارك المسلمين المعلقة علي الحائط : أتعلم لماذا ذنب المسلمين أكبر من باقي الامم التي رمت علومها في التراب ؟

فقال المترجم : لماذا ؟

كافريللي ينظر للمترجم : لأن المسلمين هم الوحيدين الذين عندهم علوم القران و علوم محمد . الصينين مثلا , أو الهنود أو البرتغال , ليس عندهم علوم القران او علوم محمد.

ثم اقترب كافاريللي من المترجم خطوة و قال له : أتعلم ماذا حدث , او سيحدث لو طبق نصف المسلمون فقط حوالي ٩٠% من علوم القران وعلوم محمد ؟

المترجم فاتحا فاه : ها ؟

كافاريللي : سيحكم المسلمون علي الاقل من جنوب غرب اوروبا لحدود الصين في الشرق كما كانت في احدي فترات الأموين , هذا تقريبا ما سيكون مستديماً لهم , و باقي العالم سيكون سجالاً بينهم و بين باقي سكان الارض . والمده التي سيستغرقونها لصناعة هذه الحضارة لن تستغرق اكثر من قرن .

ثم جلس علي الكرسي و أكمل بإبتسامه خفيفة : فإذا حدث هذا فعلا , سيقام العدل في بلاد المسلمين و التي ستمثل نصف الارض . و سيشعر باقي سكان الارض بالخطر من المسلمين , حينها سيتحدون و يقيمون العدل في بلادهم وسيعاملون شعوبهم بإحترام إغراءً لهم بأن لا ينضموا للمسلمين , او علي الاقل سيتوقفوا عن ارتكاب المجازر بسبب إنشغالهم بالمسلمين . و سينحصر الصراع البشري بين بعض جيوش المسلمين و بعض الجيوش الاخري . أما باقي سكان الارض سيعيشون في سلام .

الجبرتي بحده شديدة : لماذا أنتم غير مسلمون ؟

كافاريللي : لأننا قتله . بلاد الغرب لا تشبع من الدم , سواء بينهم و بين بعضهم , او بينهم و بين أمم أخري . فكيف لمثلنا أن يصبح نقياً طاهراً يدافع عن ارقي معاني الحياة مثل محمد الرجل العظيم و هؤلاء الرجال العظام.

الجبرتي مستغربا : حسنا ... كيف إستطعتم أن تروا الاسلام و النبي (ص) بهذا النقاء , مع أن احوال المسلمين تقرف الكلب .

ضحك كافاريللي : صديقي نحن لا ننظر لكم انكم مسلمون اصلا . نحن ننظر لكم أنكم تتنافسون علي ملذاتكم و شهواتكم مثلنا . و ليس هذا فحسب , بل متنافسون أغبياء و سذج ,و يمكن ان نغلبكم في سباق الشهوات بسهولة . أما سؤالك عن كيف رأينا الاسلام بهذه العظمة , فإن علمائنا سهروا الليالي و السنوات يبحثوا لنا عن أسهل و أقصر الطرق لصناعة الحضارة التي تجلب سعادتنا , فدرسوا كل المناهج الفكرية و قرأوا كل كتابات المفكرين و الحكماء في العالم علي مدي قرون , فلم يجدوا فكراً افضل من الاسلام لصناعة الحضارة و اسعاد الانسان .

ثم ألقي ظهره علي الكرسي : و علي الرغم أننا رأينا عظمة الاسلام و لم يشوش علينا بشاعة المسلمين في رؤيتها , إلا اننا لم نطبقه كما يجب و إخترنا أن نقص منه ما ينفعنا و نطبقه , و نتغاضي عن ما فيه يضبط شهواتنا , واولها , شهوتنا في القتل . فكانت النتيجة اننا نعرف الاسلام اكثر من المسلمين انفسهم , و نؤمن بعظمته , و نطبق الكثير منه اكثر منهم , و لكننا لسنا مسلمين , و بالتالي لسنا سعداء.

الاحد ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ بعد ٣ أشهر من دخول الفرنسيس مصر

<u>الساعات الاولى من الصباح</u> في بيت سليمان الجوسقي , يدخل ابن سليمان مسرعا و مفزوعا علي والده الذي يلبس لباس الحرب و يقول : ماذا يا ابي ؟ ما الذي حدث ؟ و لماذا تلبس لبس الحرب ؟

سليمان : نزل الفرنسيس بالامس لينفذوا قانون رسوم تسجيل الاملاك فهاجت الناس فنزل عليهم برطلمين بالرصاص , فزاد الهرج و المرج و هرب برطلمين أمام الجماهير , فتدفقت الجماهير من كل حدب و صوب و إعتصموا في كل شوارع البلد استعداداً للمعركة اليوم .

فزاد توتر الابن و قال : حسنا انتظر دقائق سألبس لباس الحرب و اذهب معك.

سليمان : لا . سأسبقك انا للحسينية(منطقة جامع الحسين) و انت اذهب و احشد العميان و اتبعوني .

الابن : نعم .

فخرج سليمان و فك رباط فرسه الذي في فناء الدار و بمجرد ركوبه للفرس و بدء تحركه وجد أمونة وزوجته علي فرسين شاهرين عليه سيفين ,

فقالت أمونة : إن كان و لابد ان تُقتل , فلنقتلك نحن .

فضحك سليمان ساخرا : و الله لم يبقي إلا النسوان لتقف أمامي .

قالت الزوجة : سليمان , وحد الله , انت ليس لك صالح بهؤلاء الغوغاء .

فأشار سليمان لأمونة و يقول : أنتي لست زوجتي ...

ثم أشار لزوجته : و أنت سأطلقك ...

ثم شد لجام فرسه : و الأن إبتعدا من أمامي .

فأطلق سليمان عيار ناري علي الارض بمقربة من اقدام الفرسين فهاج الفرسان و سقط كلا من أمونة وزوجته و إنطلق هو بفرسه .

فوصل سليمان الحسينية فوجد الناس معتصمين في الساحة أمام جامع الحسين و في الشوارع المحيطه به , كل يحمل سلاحه . فتوغل بينهم إلي أن وصل الي اربعة أشخاص ملثمين علي مقدمة مجموعة ضخمة منظمة من الناس فجلس بجانبهم ثم تلثم

سليمان لأحد الملثمين الاربعة : ما الاخبار يا شيخ إسماعيل ؟

الشيخ إسماعيل الشافعي : كما تري الكل جاء , و الناس أخرجت أسلحتها من مخابئها و الجميع مستميت اليوم بإذن الله إما النصر و إما الشهادة .

سليمان : و هل هذة المجموعه فقط هم كل الاشراف ؟

الشيخ اسماعيل : لا بالتأكيد هناك الكثير منهم منتشرون , لكن هؤلاء من إستطاع الشيخ عمر مكرم جمعهم الليله .

سليمان لملثم ثاني : كيف الحال يا شيخ عمر ؟

الملثم الثالث : اخرس يا سليمان .

فصدم سليمان : ماذا حدث يا شيخ عبد الوهاب.

فقال الملثم الرابع : لعلك ستهرب اليوم ايضا يا شيخ العميان .

فغضب سليمان : احترم نفسك يا يوسف .

فتكلم الملثم الثاني الشيخ عمر مكرم : كفي يا اولاد الشافعي , كفي يا سليمان و ارجع مع الاشراف في الخلف .

فزاد غضب سليمان و نظر للارض , فقال عمر مكرم : هل سيأتي العميان ؟

سليمان : نعم

الشيخ عمر مكرم : حسنا ارجع خلف الاشراف و ابتعد عنهم مسافه و عندما يأتيك العميان اجعلهم خلفك .

و فجأة دخل عليهم الحاج محمد المغربي ملثم و قال : كيف يجلس الشيخ عمر في مقدمة الاشراف اوائل الناس الذي سيبحث عنهم برطلمين و الفرنسيس ليذبحونهم ؟ فعلتم مثل ملك أراد أن يتخلص من قائد عنده فوضعه في مقدمة جيش المشاه.

فقال يوسف الشافعي (الشاب الازهري) : صدق والله هذا الهربان سابقا .

فقال اسماعيل الشافعي موجها كلامه للشيخ عمر : صدق والله هذا الرجل . ثم أننا لا يجب أن نحاسبهم علي هروبهم الأن , فقد وقفنا بجانب جيش المماليك عند دخول الفرنسيس و هم من هم في الخسه و النذالة .

فقال الشيخ عبد الوهاب الشافعي : و ماذا حدث عندما وقفنا بجانب جيش المماليك ؟ هُزمنا في أقل من ساعة . أسكت يا إسماعيل , فلا فائدة من الوقوف بجنب جبناء.

الشيخ عمر مكرم : كفي , و اذهب يا حاج محمد مع سليمان خلف الأشراف .

فذهبا الي الوراء بالفعل . ثم قال إسماعيل الشافعي : حسنا . و لكن لابد من ان يرجع الشيخ عمر مكرم في وسط الاشراف .

يوسف الشافعي : نعم يا شيخ عمر لابد من رجوعك . علي الاقل قف وسط الاشراف بحيث تحمسهم و لا تعرض نفسك للخطر في المقدمة .

فقام الملثمين الاربعة ليرجعوا و يقفوا في وسط الاشراف , فصرخ الشيخ عبد الوهاب الشافعي : نصر الله دين الاسلام .

فصرخ الاشراف و الحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي و الناس كلهم : نصر الله دين الاسلام .

obeikandl.com

فظل الناس تكرر وراء الشيخ عبد الوهاب . فنزل الحاج محمد و وضع رأسه بين فخذي سليمان الجوسقي ورفعه ليظهر بين الناس فصرخ سليمان الجوسقي و قال : نصر الله دين الاسلام .

فبدأت الناس تكرر وراء سليمان الجوسقي . و بدأ الحاج محمد يتحرك و سليمان فوقه وسط الناس الي ان بدأت الناس تتحرك خلف الحاج محمد و سليمان . و تحرك الاشراف خلف الناس و في وسطهم الشيخ عمر مكرم و مساعديه الثلاثه ملثمين . فدخل في وسط الجماهير ابن سليمان الجوسقي و العميان خلفه . و الكل يهتف : نصر الله دين الاسلام .

ظل الحاج محمد و سليمان و خلفهم الجماهير تتحرك من شارع إلي شارع و الناس تدفق عليهم كيوم الحشر إلي أن وصلوا لبيت قاضي الفرنسيس الذي وضع و شرع في تنفيذ قانون رسوم تسجيل الاملاك , و بمجرد أن وصلوا نظر سليمان للأسفل و قال للحاج محمد : أترفعني لأصبح أنا في وجهه المدفع ؟

فقال الحاج محمد : انا مطلوب يا سليمان , فخذها انت هذه المره .

فنظر سليمان لبيت القاضي و صرخ : اخرج يا إبراهيم حاتم , اخرج ايها القاضي النجس .

فوصل ابن سليمان الي حيث يقف الحاج محمد فقال له الحاج محمد عندما رأه : احمل معي ابوك ... سامح الله أمك تعلفه مثلما تعلف بقرة.

فأمسك الابن برجل و الحاج محمد بالرجل الاخري , فنظر الابن للحاج محمد و علي وجهه علامات الاستياء من وزن والده و قال : والله كنت نصحته بأن يقلل من ارطال الاكل الذي يأكلها , ولم يكن ينصت لي

فنظر سليمان لابنه و قال : اسكت يا ابن الكلب

ثم نظر سليمان لبيت القاضي و صرخ : اخرج ايها القاضي الجبان . أم انك لست بطلا الا عند الجنرال وانت تخطط لسرقة اموال الناس .

فبدأت الناس بإلقاء الحجارة علي ابواب البيت المغلقة , فنزل سليمان و بدأ هو و ابنه و الحاج محمد والجماهير خلفهم بإمطار البيت بالحجارة .

في اثناء ذلك ظهر حاكم القاهرة الجنرال ديبوي و معه برطلمين و عساكر كثيرة من الفرنسيس من أحد الشوارع المؤدية الي هذا الجمع الغفير أمام بيت القاضي . فرأته الجماهير فهجموا عليه بالحجارة و تدافعوا نحوه فخاف و استدار و رجع من نفس الشارع الي الوراء فبدأت الناس من الشوارع الجانبية تلقي عليه سيلا من الحجارة و هو يهرب من شارع إلي شارع و كلما دخل شارع أمطره اهله بالحجارة . فبدأت الدماء تنزف من الحاكم ديبوي و جنوده و بدأ بعضهم يتساقطون من علي خيولهم مقتولين و ظل دبوي يقاوم إلي أن سقط من علي فرسه مقتولا , فصرخ الناس : الله أكبر , الله أكبر.

و كلما خرج برطلمين و باقي الجنود من شارع تدفق أهل الشارع و انضموا إلي التظاهرات إلي أن أصبحت شوارع القاهرة مكدسة بالناس عن أخرها إلي الابواب الرئيسية مثل باب زويلة و باب الشعرية وباب الفتوح . و بعد هذا كله بدأوا في تكسير المصاطب و تجميع الحجارة و بناء متاريس صغيرة .

في وسط كل هذا جاء بعض الشباب للاربعة الملثمين وسط الاشراف فقال يوسف الشافعي لهم مصدوم : ما هذا , أين أهل الفسطاط و بولاق ؟ اين أهاليكم ؟

فنظروا في الارض و قال أحدهم : اعتذروا لأنهم قريبين من مساكن عسكر الفرنسيس.

فقال الشيخ عمر مكرم : حسنا , و اين كانوا قبل ان يأتي الفرنسيس ؟؟ في معركة إمبابة وقفوا علي البر الشرقي يصيحون يا لطيف يا لطيف و لم يكلف احد منهم نفسه بأن يأتي و يحارب معنا . هذا ليس غريب عليهم . فالفسطاط و مصر القديمة يملئها التجار و الحرفيون , و بولاق يملئها المماليك و مساعدينهم , فماذا تنتظر من هؤلاء؟

في هذه الاثناء فك الحاج محمد المغربي لثامه و صرخ في الناس : ايها الناس , إن هؤلاء الفرنسيس لم يقدروا علي دخول بلادنا الا بمساعدة أناس منا , و ليس

فينا رجل لا يعرف أن من ساعد الفرنسيس هم النصاري الشوام و من يوالونهم من المسلمين . فهبوا لعقابهم , و إنزلوا علي بيوتهم و حوانيتهم و خذوا أملاكهم و إسبوا نسائهم و افعلوا فيهم ما فعله الفرنسيس فينا .

فصرخ الناس : الله اكبر الله اكبر .

فهم الشيخ عمر مكرم ليصرخ في الناس فأمسك الشيخ عبد الوهاب الشافعي يده و قال له بصوت منخفض : لا يا شيخ عمر , لا تسمع الناس صوتك ليعلم جواسيس الفرنسيس و المماليك و الوجهاء و المشايخ الذين يريدون قتلك انك واقف هنا .

فنظر الشيخ عبد الوهاب للاشراف و قال بصوت منخفض قليلا : ايها الاشراف , لا تطاوعوهم و تذهبوا لنهب بيوت الناس مثلهم . أنتم أحفاد رسول الله (ص) و لا يليق بكم ذلك .

فهدأوا و إلتزموا .

فنظر سليمان الجوسقي للحاج محمد المغربي و قال له مستغربا : لماذا فعلت هذا ؟

الحاج محمد : ومن اوقنعي في هذة الورطة مع الفرنسيس و جعلوا اسمي مطلوبا عندهم إلا النصاري الشوام؟

فظهرت علامات الارتياح علي وجهه سليمان قائلا : صدقت . و حتي لو لم يوقعوك في ورطة . هم يستحقون أكثر من ذلك .

و مر أخر النهار و اوائل الليل و جماعات من المتظاهرين يسرقون بيوت و حوانيت النصاري الشوام وبيوت جيرانهم المسلمين و دخلوا خان الملايات و نهبوا كل الامتعه التي فيه .

obeikandl.com

الاثنين ٢٢ أكتوبر ١٧٩٨

<u>علي مرتفع منطقة القلعة ,</u> المدافع كلها محشوه بالقنابل و بعضها مصوب للحسينية و بعضها مصوب للجامع الازهر و البعض مصوب للغورية و البنادق كلها مرفوعه و محشوه بالبارود و كم هائل من عساكر الفرنسيس واقفين خلف المدافع و خلفهم رئيس المدفعية الجنرال دومرتين (بعد ان حرمه نابليون من منصب قائد الحرس الخاص و أعاده لرئاسة المدفعية مرة أخري) و بجانبه اليمين جنرالات الفرنسيس و بجانبه اليسار برطلمين و خلفه النصاري الشوام و البدو و بعض من اتباعه المصرين من مختلف نواحي القاهرة والارياف , و بجانبه عمر القلقيجي و خلفه رجاله القدامي و حشد عظيم من المغاربة المقيمين بمصر والقادمين مع الفرنسيس .

ودومرتين يقول بصوت عالي : لا اريد قذيفة واحدة تخرج من مدفع او طلقة تخرج من بندقية او مسدس دون إذني . و من خالف الاوامر سأنزله يقف مع هؤلاء الحثالة عند الحسينية ليموت معهم . الجنرال بونابرت أمر بتأخير الاطلاق إلي ان ينظر في الأمر مع المشايخ أعضاء الديوان .

<u>بيت نابليون في قاعة الاجتماعات ,</u> يقف بجانب الشباك ينظر منه للخارج مترقب وصول المشايخ أعضاء الديوان , ثم نظر لباب القاعه المفتوح و صرخ : أيها الحمقي.

فدخل جنديان وأديا التحية و قالا في صوت واحد : نعم سيدي .

فصرخ نابليون : اين هؤلاء المشايخ المعاقين ؟

قال احد الجنود : لا نعرف سبب تأخرهم . لقد ارسلنا لهم عدة مرات منذ الامس و لا مجيب منهم .

فجلس نابليون علي الكرسي يغلي من الغضب و يقول : لابد انه دار في عقولهم المريضه ان يتركوا الامر يوم او يومين , فإذا انتصرت الجماهير علينا , خرجوا علي الجماهير و باركوا حراكهم و ركبوا موجتهم . و إذا انتصرنا نحن علي الجماهير جائوني و تمسحوا عتباتي لاغفر لهم و أغفر للجماهير .

فدخل كليبر و مينو و بون قادة الجيش و قال كليبر : سيدي ماذا نفعل ؟

فأظهر نابليون علامات الغل علي وجهه و قال بغيظ : أنزلوا جحيم مدافعكم و بنادقكم علي هؤلاء الغوغاء , أريدها عبرة لمن لا يعتبر .

فنظر مينو لكليبر : ما رأيك في خطة فض شغب ليون في فرنسا ؟ مدفعية ثم حصار ثم هجوم ؟

فهز كليبر رأسه بالموافقة و خرجوا من الغرفة .

من فوق مرتفع القلعة , يصل جندي علي فرس متلهف ويقترب من دومرتين و يهمس له بصوت غير مسموع .

فيصرخ دومرتين بأعلي صوته لجنوده : أطلقوا نار المدافع .

فنزلت القذائف علي المعتصمين كالمطر تحصد الارواح و تهدم اسوار جامع الحسين و جامع الازهر والبيوت المحطة بهما و الحوانيت في سوق الغورية والبيوت المحيطة .

ونظر دومرتين لبرطلمين و أشار له و قال : انت ادخل من الجهة الجنوبية لجامع الحسين .

ونظر لعمر القلقيجي و أشار له : و انت ادخل من الجهة المقابلة عند جامع الازهر .

ثم وجه كلامه لهما : و بالطبع لابد ان تنتظرا ايقاف القصف من هنا حتي تدخلا . و أنا سأتبعكما بجنودي .

فنزل عمر القلقيجي و الجنود المغاربة معه و اتجه اتجاه جامع الازهر و نزل برطلمين من اتجاه جامع الحسين . فصرخ دومرتين في جنوده : كل من معه بندقيه أليه يجمع عندي حالا .

فإجتمع كل من يحمل بندقية ألية أمام دومرتين فقال لهم : سأوقف القصف بضع دقائق . و بسرعة إنزلوا من هذا المرتفع حتي تصلوا الي انخفاض بحيث

عندما اواصل القصف , تطير القذائف من فوقكم بحيث تصيب هؤلاء الغوغاء ولا تصيبكم . فإذا اقتربتم من هؤلاء الغوغاء اقرب نقطة , اعطوني إشارة لإيقاف القصف . و بعد سقوط أخر قذيفة , إهجموا عليهم بالبنادق و توغلوا فيهم إلي ان تتقابلوا مع جند برطلمين و عمر القلقيجي . و حينها انتظروا حتي أتيكم .

فصاحوا كلهم في صوت واحد : حاضر سيدي .

<u>بعد ساعة</u> , دخل عمر القلقيجي و رجاله المغاربة علي الخيول يطلقون الرصاص علي كل من يقف أمامهم من الهاربين من قصف المدافع المتوقف و طلقات البنادق الالية من كتائب المشاة الفرنسية النازلين من مرتفع القلعة , و من يستطيع الفرار من كل هذا الجحيم يقابله بعض الفرسان بالسيوف و الرماح ليقطعوا جسده إربا .

ومن الجهة الاخري عند جامع الحسين ينزل برطلمين و رجاله من علي خيولهم ليطلقوا النار علي من يرونه حيا أمامهم و علي الجرحي الساقطين علي الارض و لم يموتوا بعد . و في نهاية رجاله بعض الرجال العمالقة معهم سواطير كبيرة يقطعون بها رؤوس من يعرفونه مشهورا بين الناس سواء كان من المشايخ او الوجهاء أو اي أحد كان عرفوا عنه أنه كان يحرض ضد الفرنسيس . ثم يجمعون هذة الرؤوس في صندوق كبير يجره حمارين إستعدادا لتعليق هذه الرؤوس علي ابواب القاهرة الرئيسية مثل باب زويلة أو باب الفتوح او باب الشعرية .

<u>بعد قليل</u> , دخل دومرتين للمنطقة بين جامع الحسين و جامع الازهر فوجد برطلمين و رجاله واقفين أمام جامع الحسين و عمر القلقيجي و رجاله واقفين أمام جامع الازهر و جنود المشاة اصحاب البنادق الالية واقفين في الوسط , فقال بصوت عالي : انتشروا في كل الشوارع , كسروا كل المتاريس , أقتلوا أي أحد يتحرك بشكل مريب , إنهبوا البيوت , إكسروا أبواب الحوانيت و اسرقوا ما وجدتموه مفيد و كسروا الباقي , أريد ان يخاف الناس من أن يشعلوا قنديلا واحدا داخل بيوتهم , أريدها ليله لا ينساها أحد . أريد أن يقوم الاطفال من نومهم بعد ٥٠ عاما مفزوعين من ذكري هذة الليلة.

فأشار برطلمين لرجاله يوزعهم في إتجاهات مختلفة . و أشار دومرتين لعمر القلقيجي فإقترب عمر منه فقال له : خذ جنودك المغاربة و اقلب الدنيا علي كل كلب أثار هذة الفتنة , أعلم أنك تعرفهم كلهم . علي أخر نهار الغد سأذهب لسجن القلعة , أريد أن ارآهم مقيدين جاثين علي ركبهم أذلاء صاغرين أمامي .

أما قوات المشاه الفرنسية , فأشار لهم دومرتين بالوقوف في مكانهم ليسيطروا علي هذه المنطقة وأشار لبعض الخيالة أن يتبعوه . فدخلوا الجامع الازهر بالخيول و توغلوا فيه إلي أن وصلوا لمحراب القبلة ونزلوا من علي الخيول وربطوا الخيول فيه .

ثم بدأ دومرتين بالتجول و في يده بندقيه فوصل عند مجموعة أرفف عليها مصاحف و كتب البخاري وكتب إسلامية أخري فضربها بمقدمة البندقية و اسقطها كلها علي الارض و داس عليها و نادي علي احد الجنود وقال له : أحرقها و لا تبقي منها شيئا .

و بجانب المنبر قام بعض الجنود بالتبول و التغوط , و أخرين أخرجوا الخمر من حقائبهم و جلسوا مكان المصلين و بدأوا في الشراب .

<u>علي بعد بضع كيلو مترات عن مذبحة الازهر ,</u> الحاج محمد المغربي و سليمان الجوسقي و إبنه و الشيخ عمر مكرم و مساعديه الثلاثة و عدد قليل من الاشراف و عدد قليل من العميان و بعض الجماهير يهربون بإتجاه النيل فارين من جحيم نيران الفرنسيس , فوجدوا المشايخ و أعضاء الديوان قادمين أمامهم يشيرون لهم بالتوقف فقام بعض الهاربين ممن تبقي معهم بنادق برفعها في وجوه المشايخ و أطلقوا عليهم النار , وقام الاخرين ممن ليس معهم بنادق برمي الحجارة عليهم . فهرب المشايخ يمينا و يسارا بعيدا عن الهاربين. فمر الهاربون أمامهم إلي أن إبتعدوا عنهم.

فإجتمع المشايخ مره أخري فقال سليمان الفيومي للشيخ عبدالله الشرقاوي : ما العمل يا شيخ عبدالله ؟

فقال الشيخ عبدالله : لابد من الذهاب للصاري عسكر نابليون نستسمحه و نطلب منه أن يوقف إرهاب الناس .

فوافق الجميع و ذهبوا متوجهين لبيت نابليون .

<u>قصر نابليون ليلا</u> , القناديل تضيئ أسواره و فنائه و مدخله , و الاضاءات خارجه من الشبابيك بسبب الحركة داخل كل أجزاء القصر . و اعداد هائله من العساكر و بعض المدافع محيطين بالقصر من الخارج و من الداخل .

فدخل المشايخ من باب الفناء و توجهوا مسرعين لباب القصر ففُتح لهم الباب و دخلوا فورا . و نابليون جالس و هو يغلي من الغضب علي رأس طاولة الاجتماعات أمامه بعض الاماكن الشاغرة و بعض الاماكن يجلس فيها كبار قادته و خلفه باب القاعة الذي طُرق ثم فتح و دخل المشايخ مسرعين و وقفوا حول نابليون كلهم يتكلمون في نفس الوقت يستعطفون نابليون .

الشيخ خليل البكري يقول : السماح و العفو سيدي الجنرال ...

الشيخ مصطفي الصاوي في نفس الوقت : اعفو عن الناس فإنهم مغرر بهم , و الحال ضيق ..

الشيخ سليمان الفيومي يرفع يده فوق رأسه إستسماحا و يقول : السماح السماح السماح ..

الشيخ محمد العشوبي يفعل نفس الشئ و خلفه باقي المشايخ يفعلون مثلهم

الشيخ عبدالله الشرقاوي و الشيخ السادات واقفين صامتين . فنظر لهما نابليون وقال : و أنتما ؟

الشيخ السادات : والله أتيناك نرجوك أن ترحم الناس , فالناس لا يريدون لا ثورة و لا غيره , و لكنه فعل بعض المتعممين ذوي عقل غير رشيد .

الشيخ خليل البكري ينظر بجرأه للشيخ السادات بعينين مفتوحتين علي أخرهما : بل بعض المتعممين الحاقدين علينا و كانوا يريدون مناصبنا في الديوان .

فتفاعل نابليون مع قول الشيخ خليل البكري و قام من علي كرسيه و وقف أمام الشيخ عبدالله الشرقاوي و قال : هذه هي , سننشر بين الناس أن المشايخ

و الوجهاء الذين قادوا الثورة , هم بعض الحاقدين علي أعضاء الديوان و علي الذين أخذوا مناصب في إدارة الفرنسيس إعتقادا منهم أنهم أحق بهذه المناصب أو علي الاقل يريدون المشاركة فيها .

الشيخ عبدالله الشرقاوي ينظر في الارض قائلا : إفعل ما تراه مناسبا يا سيدي , المهم توقف مدافعك وبنادقك عن الناس .

فذهب نابليون إلي أحد قادة الجالسين و سحب من أمامه ورقتين ثم رجع مره أخري و أعطي أولها للشيخ عبدالله الشرقاوي و قال : هذا ما ستقرأونه علي أهل القاهرة .

و أعطي الشيخ خليل البكري الورقة الثانية و قال : هذا ما ستقرأونه علي أهالي الأقاليم . تفضل إقرأ يا شيخ خليل .

فرفع الشيخ خليل الورقة و قال بصوت عالي :

خطاب رجال الشريعة في القاهرة إلي سكان الأقاليم

نرجو الله العلي القدير أن يحفظكم من الفتنة و الفوضي ما ظهر منها و ما بطن و يبعدنا عن الذين يعيثون في الارض فساداً . إننا نخبر سكان الأقاليم أنه قد حصل في القاهرة بعض الاضطرابات من جانب بعض العناصر المنحطة تؤزرها شرذمة من المجرمين . فقد بثوا روح الشقاق بين الجنود الفرنسيين و الرعايا الامنين مما تسبب في قتل كثير من المسلمين و عمليات النهب و السلب لبعض المنازل . لكن الله لطف بنا و أخمدت الفتنة و قد توسلنا للقائد العام بونابرت فرجع عما كان ينويه من صب غضبه علينا بعد إخماد الثورة ...

الثلاثاء ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨

في سجن القلعة اخر النهار , عدد كبير من المشايخ و الوجهاء مقيدين و جاثين علي ركبهم يقف أمامهم عمر القلقيجي و رجاله المغاربه علي خيولهم و حولهم عساكر الفرنسيس بأيدهم البنادق و المسدسات في إنتظار حضور دومرتين . و سليمان الجوسقي و إبنه و اولاد الشافعي مساعدين الشيخ عمر مكرم الثلاثة مقيدين في وسط المقبوض عليهم .

سليمان للشيخ عبد الوهاب الشافعي بصوت منخفض : كيف فر الشيخ عمر مكرم ؟

الشيخ عبد الوهاب الشافعي : استطاع الحاج محمد المغربي أن يأخذ فرسا و يهرب . و اثناء هروبه وقف أمامنا ليحمل الشيخ عمر و يهربه معه .

سليمان : و كيف قبل الشيخ عمر الهروب ؟

الشيخ عبد الوهاب : بالتأكيد لم يكن يريد هذا . و لولا اصابته التي انهت قواه لكان قاومنا و منعنا من أن نهربه .

فدخل الجنرال دومرتين و معه بعض العساكر خلفه علي خيولهم فأشار لأحد العساكر , فأخرج العسكري ورقة من حقيبته و قرأ و عمر القلقيجي يترجم : صدر حكم الاعدام في التالية أسمائهم

١. الشيخ عبد الوهاب الشافعي
٢. الشيخ اسماعيل الشافعي
٣. الشيخ يوسف الشافعي
٤. الشيخ اسماعيل البزاوي
٥. الشيخ عبد التواب الشبراوي
٦. السيد سليمان الجوسقي
٧. السيد أحمد الشرقاوي
٨. السيد عبد القاسم الشرقاوي

obeikandl.com

فإبتسم اولاد الشافعي و نظر سليمان الجوسقي في الارض و بكي إبنه و إرتفع بعض أصوات النحيب و بعض أصوات الهمهمات , فقاطع دومرتين هذه الاصوات كلها بصوته قائلا : هذة القائمة الاولي فقط . و أقسم لكم أني سأحرص علي إصدار قوائم أخري مثل هذه . فمن لم يسمع إسمه في هذة القائمة لا يفرح كثيرا , فالقادم أكثر .

ثم هم بالرحيل , ولكن توقف و نظر للمعتقلين مره أخري و قال : من فيكم شيخ العميان ؟

فنظر سليمان و إبنه و أولاد الشافعي لدومرتين مندهشين , فنظر عمر القلقيجي لدومرتين و أشار لسليمان وقال : هذا هو .

فنظر دومرتين لقائد حرس السجن و قال له : إذهب به حيث يوجد شولكوسكي .

ثم توجه قائد الحرس لسليمان و شده من بين المقبوض عليهم و خرج به من المكان , ثم رحل دومرتين وتبعه عساكره و تبعه عمر القلقيجي و المغاربه و خرج العساكر الفرنسيس و أغلقوا عليهم الابواب من كل مكان و رحلوا .

obeikandl.com

الجمعة ٢٦ أكتوبر ١٧٩٨

<u>في مدينة رشيد في وسط احد الاسواق الكبيرة بعد صلاة الجمعة ,</u> يقف الشيخ محمد البواب أبو السيدة زبيدة زوجة الجنرال مينو فوق كرسي و بيده المنشور الموجه للأقاليم يقرأ منها و جمهور الناس ملتفين حوله و يقول بصوت عالي :

لقد منع الجنود من إضرام النار في المدينة بأسرها و لم يتركها للسلب و النهب لأن القائد نابليون رجل عاقل حكيم , طيب و رحيم بالمسلمين . إنه يحمي الفقراء بصفة خاصة و لولاه لهلك جميع سكان القاهرة . لذلك و إياكم و نشر الفوضي بين المواطنين حتي تعيشوا في منازلكم بين أسركم في طمأنينة وأمان. لا تنصتوا إلي نصائح الأشرار و همسات مثيري الفتن . لا تنصتوا إلي هؤلاء المجانين التعساء الذين لا يقدرون العواقب و تذكروا أن الله يعطي السلطان لمن يشاء و يأمر بما يشاء .

إن جميع من تسببوا في هذه الفتنه سيهلكون وسينجي الله هذه البلاد من شرورهم بإذن الله .إننا نستحلفكم بالله ألا تزجوا بأنفسكم في التهلكة و ألتفتوا لأعمالكم و أرزاقكم و كسبها بالحال و أعملوا بالتعاليم التي أوجبها عليكم دينكم. و هذا الدين المقدس هو الذي حملنا علي ان ننصحكم .. و السلام .

توقيع : الشيخ عبدالله الشرقاوي , الشيخ السادات , الشيخ خليل البكري , الشيخ سليمان الفيومي , الشيخ مصطفي الصاوي .. و كل مشايخ الديوان.

فإنفض الناس من حول الشيخ محمد البواب المبتسم و هم يهزون رؤوسهم حسرة علي الاحوال .

<u>في الجامع الازهر بعد الانتهاء من صلاة الجمعة ,</u> يصعد الشيخ مصطفي الصاوي المنبر و الشيخ عبدالله الشرقاوي جالس في المحراب بعد أن صلي بالناس و خلفه الشيخ السادات و الشيخ خليل البكري و باقي المشايخ .

فيرفع الشيخ مصطفي الصاوي منشور لاهل القاهرة في يده و يقرأ بصوت عالي :

إعلان من الجنرال بونابرت لأهالي القاهرة

بينكم أناس فاسدون حرضوكم و من ثم هلكوا جميعا . و قد أمرني الله برحمة الشعب فتسامحت معكم و رحمتكم . و لقد غضبت من ثورتكم و كنت قد قررت حرمانكم من عقد جلسات ديوانكم لمدة شهرين ولكنني اليوم أعيده لكم مكأفاة علي حسن سلوككم الذي شفع لكم و محا خطأ ثورتكم .

يا أيها الشرفاء و العلماء و الخطباء في المساجد , أحيطوا أفراد الشعب علما بأن الذين يعادونني بمحض إرادتهم لن يجدوا ملجأ في هذة الدنيا و لا في الأخرة . هل يوجد بين الناس رجل يملأ العمي قلبه حتي أنه لا يعى أن القدر نفسه يوجه جميع ما نقوم به من أعمال ؟ هل يوجد بين الناس جاحد يشك في أن كل شئ فيي هذا الكون خاضع لسلطان القدر؟

ليعلم الشعب أنه منذ بداية الخلق صار مكتوبا أنه بعد تدمير أعداء الإسلام و هدم الصليب , جئت من أقاصي الغرب لتأدية المهمة الموكله إلي. و أبلغوا الشعب أن القران الكريم نص في أكثر من ٢٠ أية علي ما حدث . و قد شرح أيضا ما سوف يحدث مستقبلا . و علي الذين يخشون رهبة سلاحنا أن يغيروا سلوكهم لأنهم حينما يتضرعون إلي السماء بتمنيات معادية طالبين أن يلحق بنا الأذي فهم في الحقيقة يجلبون علي أنفسهم الحكم بالفناء . إذن فليتضرع المؤمنون بالحق إلي الله طالبين نصر جيوشنا.

و في إمكاني محاسبة كل منكم علي ما يكنه في قللبه من شعور نحونا لأني أعلم كل شئ حتي ما لم تبوحوا به لأحد و سيأتي اليوم الذي يري فيه الملاء بوضوأنني موجه باوامر عليا , و أن كل ما يبذله الأدميون من جهود لن يفيدهم في الغلبة علي . طوبي لمن يسبقون منكم لمحالفتي بإيمان وطيد .

<u>في سجن القلعة , في زنزانة بها شولكوسكي و رجل مغربي و سليمان الجوسقي ,</u> سليمان و الرجل المغربي جالسين علي فرشهم و شولكوسكي جالس علي كرسي صغير و أمامه طاولة صغيرة عليها بعض الاوراق و دواية حبر و ريشة و قنديل صغير للإضاءه

يقول سليمان للرجل المغربي : لماذا جائوا بك إلي هنا ؟

الرجل المغربي : قبضوا علي و انا بالقرب من النهر في تلك الليلة المشئومه .

سليمان مستعجبا : و لماذا حبسوك هنا مع هذا الرجل الفرنسي .

المغربي : لا أعلم .

شولكوسكي : ليترجم لي و لك ما نقوله .

فترجم المغربي هذا , فنظر سليمان لشولكوسكي و قال : و لماذا جمعونا في زنزانه واحدة أصلا ؟

شولكوسكي : لأني أستاذ في المجمع العلمي في قسم الاقتصاد السياسي , و يعلمون هوسي بمعرفة أخبار الناس و الجماهير , و يعرفون أني لن أستطيع التوقف عن سؤالك عن احوال الناس و الشعب . و من جهة اخري أختاروك انت لأنك شيخ العميان , و متصل بالمشايخ و الوجهاء و في نفس الوقت متصل بالسكاري و الحشاشين و الفاسدين من التجار و تزوجت تقريبا بنصف نساء القاهرة و هم مخزن أخبار كل شئ و في نفس الوقت شيخ العميان أكثر الناس فقرا في البلد .

فرفع سليمان ظهره من علي الحائط و هو في قمة العجب : يعني أنتما لستما مساجين أصلا وأتو بكم مخصوص لتتحروا عن أخبار الناس مني ؟

شولكوسكي : لا . بمعني أصح , اذا أخذنا منك الاخبار كما يجب سيفرجون عنا .

فإستوعب سليمان و أرجع ظهره علي الحائط : آآآآه .

ثم نظرسليمان لشولكوسكي و قال : حسنا و لماذا سجنت أنت ؟

شولكوسكي : لأني إعترضت علي ذبح الناس .

فضحك سليمان ساخرا : فرنسي و تخاف علي أرواح الناس ؟

فإستدار شولكوسكي و هو جالس علي الكرسي و نظر لسليمان و قال : هل سمعت عن الثورة الفرنسية ؟

فإستغرب سليمان و قال : اي ثورة تلك ؟

فأسند شولكوسكي ظهر للحائط و قال : منذ ٩ سنوات بالضبط , قام شعبنا بثورة ضد ظلم الملك و زوجته وحاشيتهما من النبلاء و رجال الدين . هؤلاء المجموعه كانوا يسيطرون علي اكثر من ٩٠ % من مقدرات بلادنا . و اختلط البرجوازيون مع الفقراء ..

فقاطعه سليمان و قال : من هم البرجوازيون ؟

شولكوسكي : هم من عامة الشعب و عانوا ما عاني منه الشعب , و لكنهم تقربوا من املاك و استثمارات مجموعة الملك و حاشيته و استفادوا كثيرا منهم و أصبحوا طبقه غنية ، لا هم من رجال الملك و رجال الدين و النبلاء , و لا هم في الحضيض مثل باقي شعب فرنسا .

سليمان فاتحا فاه : آه

شولكوسكي : اختلط البرجوازيون بالفقراء , و هجموا علي مجموعه رجال الملك و الدين , و زلزلوا الارض تحت عروشهم و أسقطوا امبراطوريتهم .

سليمان مبتسما : جميل .

شولكوسكي : و قامت هذة الثورة علي مجموعه من المبادئ اهمها الحرية و المساواه و حقوق الانسان. و لكن مع مرور الوقت , ركب بعض المنتفعين موجة الثورة و تحولت من ثورة من أجل الدفاع عن حقوق الانسان , الي ثورة مجازر تحت إسم الدفاع عن حقوق الانسان .

ثم استدار شولكوسكي و وضع وجهه في اوراقه مره اخري و قال : و ها هي مجزرة أخري ترتكب في مصر تحت أسم ثورة فرنسا المدافعة عن حقوق الانسان .

obeikandl.com

فرفع سليمان ظهره و إعدل في جلسته من الانفعال و الحماس و قال : يعني تريد ان تقول انكم تفعلون في شعبكم كما تفعلون في شعبنا ؟

هز شولكوسكي رأسه قائلا : نعم .

نظر سليمان للارض حزينا : علي كل حال لن أخسر أكثر مما خسرت إن حدثتك أخبار شعبنا , ربما يخرجك حديثي انت و هذا المسكين من هنا . و لكني لن أحدثك عن أيامنا هذه, سأحدثك عن الماضي . عن الماضي الذي هو سبب ما نحن فيه الان . قبل ١٤ او ١٥ عاما تقريبا ...

obeikandl.com

عام ١٧٨٤ (قبل ١٤ سنة)

منتصف يونيو

<u>في أحد زوايا الجامع الازهر .</u> جمع عظيم من الناس جالسين مصطفين في ٤ او ٥ صفوف أمام كرسي المقرئين ينتظرون المقرئ قبل موعد وصوله بنصف ساعة . والناس مازالت تتوافد إلي أن وصل المقرئ الشاب يلبس عمامة الازهرين و عباءة المشايخ المبجلين , ذو جسم ضخم , و الناس تحيه من كل صف يتخطاه في طريقه إلي كرسي المقرئ . فجلس عليه و ربع رجليه و أغمض عينيه إستحضارا لأيات الله الكريم .

فإنطلق صوت جبار و في منتهي الروعة من حنجرة الشاب قائلا :
أعووووووذ بالله من الشيطاااااااان الرجيييييييم بسم الله الرحمااااااااان الرحيييييييم .

فصرخ المستمعون : اللللللللللله يا شيخ سليمان اللللللللله .

المقرئ في نفس واحد : تباااااااارك الذي بيده الملك و هو علي كل شئ قديييييييير , الذي خلق الموت و الحيااااة ليبلوكم أيكم أحسن عملا و هو علي العزيز الغفوووور.

فدخل ثلاثة من المقرئين الشباب ووقفوا بجانب الباب و نظروا بنظرات الاستخفاف و الغيظ وقال أحدهم : لا أري أي سبب يجعل هؤلاء المهاطيل يجلسون و يستمعون لهذا الابله .

فدخل شخص يلبس لباس فخم ذو جسد نحيل فسمع قولهم و هو يخلع نعليه و قال بعد ان استقام ووضع نعليه تحت ذراعه وقال لهم بصوت منخفض :
إذا كان سليمان الجوسقي أبلهاً و يجتمع حوله كل هؤلاء , فصيروا أنتم أبله منه و أجمعوا حولكم أكثر منهم .

فنظروا إليه مصدومين فقال أحدهم : الحاج محمد المغربي نسيب الشخ عبدالله الشرقاوي .

فدخل الحاج محمد لينضم لصفوف المستمعين و جلس بينهم .

بعد ساعة , إنفض الناس و خرجوا من الباب يمرون بجانب المقرئين الشباب. و في أخر المغادرين كان سليمان الجوسقي , فمر بجانب الشباب فوقفوا أمامه معترضين طريقه و قال أولهم ساخراً : اااه شيخ سليمان , أشهر مقرئين القاهرة .

سليمان : ابتعد عني أيها الأبله .

فقال الثاني : لا لا يا سليمان المسألة ليس بالعضلات . المسألة بمن سيضحك في النهاية .

فضحك سليمان ساخرا : بالتأكيد سأضحك أنا في النهاية يا حبيب أمك .

قال الثالث مبتسما : دعوه , هيا نذهب , فصاحب العضلات هذا ليس فيه عقل لتخاطبوه .

فقال سليمان ساخرا : عين العقل يا سبع , فأنت تعلم أن وقوفكم أمامي خمس دقائق أكثر ربما لن ترجعون لبيوتكم .

ثم رمي سليمان نعاله أمامه و وضع قدمه فيه و خرج من جامع الازهر و بدأ يمشي في الطريق المحاذي لسور الجامع إلي أن إقترب من نهايته . و فجأه خرجت من خلف السور من الطريق المتقاطع مع الطريق الذي يمشي فيه سليمان شابه تركية تلبس أجمل ملابس الحرير علي الطراز العثماني ينبض وجهها بالحياه و شعرها يهرب من تحت الشال الذي علي شعرها و كانت تحمل لفه من القطن . و أصبح وجه الشاب في وجه سليمان . فإبتسم لها بشغف و إبتسمت له بقوة , و توقفا أمام بعضهما

سليمان : أهلا أمونة

أمونة : أهلا سليمان

سليمان : إلي أين أنت ذاهبه ؟

obeikandl.com

أمونة : إلي الحانوت , أمي طلبت مني لفة القطن هذه .

سليمان : و هل ستذهبين بها إلي باب الشعرية ؟

أمونة : ماذا سأفعل . أنت تعلم أمي !!

ضحك سليمان ضحكة حزينه و هربت عيناه بعيدا : نعم نعم . إنها صلبة كالجبال .

أمونة : حسنا , أتريد شيئا ؟

سليمان : لا شكرا .

فتقدمت خطوات و هي تبتسم بجانب سليمان ثم إستدارت له و قالت : اسمعت عما حصل في الاسكندرية؟

فإلتفت لها و قال مستغربا : ماذا حصل ؟

فضحكت ضحكه خجوله و عينيها تهرب في كل الاتجهات : وقعت فتنة بالاسكندرية بين اهل البلد و أغات (رجال أمن المماليك) قلعة الاسكندرية و السردار (مأمور رجال الامن) بسبب قتله احد الاهالي فثار العامه و قبضوا علي السردار و اهانوه و جرسوه علي حمار و حلقوا نصف لحيته و طافو به البلد و هو مكشوف الرأس و هم يضربونه بالنعالات .

فإندهش سليمان و ضحك و قال : و هل كنت هناك ؟

أمونة : لا , أمي التي كانت هناك .

سليمان : و لماذا لم يستغلوا الفرصه و يصعدوا حراكهم ليصل الي ثورة علي حاكم الاسكندرية ؟

أمونة : صحيح ... صحيح ، هذا ما كان يتوجب عليهم فعله ، ولكنك تعرف الناس لا يريدون الصدام بأي شكل .

سليمان مبتسما : حسنا .... أتريدين شيئا ؟

obeikandl.com

أمونة : لا , أتريد أنت شيئا ؟

سليمان : لا شكرا .

فذهب كل واحد في إتجاهه و الابتسامات الخجولة تداعب وجوههما.

ليلا في أحد البيوت , يجلس سليمان الجوسقي علي كرسي و صديق له يجلس أمامه علي كرسي و كلاهما علي طاولة يقران في كتاب كبير , فيدفع سليمان الكتاب غاضبا : كيف تُحفظ هذة ؟ ألفية بن مالك هذة كيف تُحفظ ؟

الصديق علي وجهه الاستياء : سليمان إحفظ و أنت ساكت , ليس عندنا وقت لهذا التذمر .

فيقوم سليمان و يلقي بجسده علي كنبه و يرفع قدميه علي إحدي أيدي الكنبه و يضع رأسه علي اليد الاخري ,فتنهد صديقه و ألقي بظهره علي الكرسي و رفع رأسه يائسا و قال : ها قد إبتدئنا

ثم نظر سليمان للسقف قائلا :

ليت الزمان يجمعني يوماً ..... بعشق قلبي , قطعة القمر

مالك يا زمان و مالنا ..... لماذا تسلط علينا القدر

فقال الصديق : كفي بالله عليك , هذا العرض لا يمكن ان اتحمله كل ليله . و لكن هي غلطتي أن احفظ هذه الألفية مع عاشق مغفل مثلك

فقام الصديق و أغلق كتابه و هم بالخروج . فقام سليمان و أمسك به و قال : لا لا لا تغضب بالله عليك , سأجلس الان ... ها انا ذا .

وجلس سليمان و جلس الصديق و نظر لسليمان مستغربا و قال : عجيب أمرك يا سليمان . ألم ترفضك أمها ؟ و أسائت إليك و قالت لك أمام خلق الله في غرور ...

فغير الصديق صوته ساخرا : أأزوج إبنتي أنا , بنت صفية اكبر تجار القطن و الكتان لشخص مثلك يتحصل علي قوت يومه بأعجوبه ؟

سليمان : نعم , و لكن إبنتها تحبني .

فضحك الصديق مستغربا : و هل للحب قيمة أيها المغفل ؟ مع أول رجل مقتدر سيأتي , ستذهب و تتزوجه . و مع غرقها في المال ستحب زوجها و ستنساك.

سليمان : ماذا تقول ايها المجنون ؟ اهناك حب ينتهي ؟ لن تسطيع الزواج بغيري و حبها لي يملئ قلبها .

ثم ابتسم مستهزئا : انظر انظر في كتابك انت لا تعلم شئ في هذة الدنيا .

obeikandl.com

بعد أسابيع , يوم الجمعة ٨ يوليو ١٧٨٤

<u>بعد صلاة الفجر , جامع الازهر ,</u> الشيخ سليمان الجوسقي يقوم ليغادر الجامع بعد أن جلس بضع دقائق بعد الصلاه , ناداه شيخ يقف عند المحراب و حوله مجموعه من المشايخ من ضمنهم الثلاثة مقرئين الشباب الذين إعترضوا سليمان سابقا , فذهب إليه سليمان .

فوصل ايه سليمان فوجده شيخ أسمر نحيل الجسم أسمر البشره , فقال الشيخ : اهلا يا شيخ سليمان .

سليمان و هو يظهر الاحترام : أهلا يا شيخ الدردير

الشيخ الدردير (شيخ المالكية) : تعالي يا ولدي .

و امسك الشيخ الدردير بيد سليمان و مشوا خطوات و إبتعدوا عن المشايخ و أصبحوا منفردين .

الشيخ الدردير : سليمان , أصحيح أنك لك علاقة ببنت صفية تاجرة القطن و الكتان .

فتوتر سليمان و بدأ الغضب يظهر علي وجه : علاقة ؟ أية علاقة ؟

الشيخ الدردير : المشايخ و الناس تتحدث بقصة غرام بينكما .

سليمان : اي قصة غرام ؟؟ انهم كاذبون .

الشيخ الدردير : كل هؤلاء كاذبون ؟

سليمان : نعم

الشيخ الدرير : حسنا , الناس تكذب . لكن ما الذي يجعل المشايخ تكذب عليك؟ خصوصا أنك لست ذو منصب أو وجاهه حتي نفترض أنهم أعدائك و يحقدون عليك .

obeikandl.com

سليمان غاضبا : لان هؤلاء المشايخ يعطون أذانهم لثلاثة مقرئين يتمنون أن يكونوا مكاني .

الشيخ الدردير : سأفترض أن كلامك صحيح , أنت الذي أعطيتهم فرصة للكلام عنك .

سليمان : هذا إذا إفترضنا أن كلامهم صحيح في الاصل .

الشيخ الدردير : نعم كلامهم صحيح , و لو كان كلامهم غير صحيح , لما كان كلامهم انتشر و ظل ثابتا بين الناس هكذا . لو كانت مجرد إشاعات لكانت إنتهت منذ زمن. لكن معني انها استمرت بهذا الشكل و اصبحت حديث الناس طول هذة المده , معني هذا ان الناس رأوك مرارا في مواقف تجمعك بها .

سليمان : يا شيخ دردير ..

الشيخ الدردير : للاسف أصدرنا قرار بمنعك من القرآءه في الجامع الازهر او اي جامع خاضع لإدارة مشايخ الازهر .

و انصرف الشيخ الدرير و سقط سليمان علي ركبتيه و ضرب علي رأسه و غرقت عينيه بالبكاء.

<u>قبيل صلاة الجمعة</u> , جماهير غفيرة خارجة من جانب جامع الحسين و أخرين خارجين من جانب جامع الازهر يصيحون : لعن الله المماليييييك , لعن الله الخنازيييير.

بعد قليل من مسيرهم , دخلت الجماهير الخارجة من جانب الجامع الازهر من باب الجامع و أغلقوا باب الجامع في وجه المصلين الداخلين لصلاة الجمعه و أعتصموا داخل جامع الازهر. و دخلت الجماهير الخارجة من جانب الجامع الحسين مدرسة مكتوب عليها مدرسة محمد بك و أغلقوا ابوابها و إعتصموا فيها.

و خرجت جماعة ضخمة جدا من المتشردين بعضهم يلبس ملابس ممزقة و بعضهم يضع قماش علي عين من العينين تظاهرً بضياع احد العينين , و

شعورهم منكوشة و و مظاهرهم عفنه يقودهم البعض ذوي المظهر العادي بملابس عادية . خرجت هذة الجماعة في الاسواق تسرق و تنهب و تكسر أبواب الحوانيت و تسرق ما فيها , و يقتحمون البيوت و يسرقون ما تطاله أيديهم .

فجاء الأغات (أفراد أمن المماليك) علي خيولهم بعضهم يحمل البنادق و أخرين يحملون سيوف و رماح . علي رأسهم قائدهم يقول لأحد مساعديه : لماذا يعتصم هؤلاء المخنثون ؟ ألا يعلمون أننا نستطيع سحقهم بين ليلة و ضحاها ؟

فقال المساعد متوترا : سيدي هؤلاء لم يقبضوا رواتبهم و لم يصلهم خبز منذ ايام .

القائد : و الحل ؟

المساعد : الحل هو أن نتصل بقادتهم و بعض المشايخ و نوعدهم بأننا سنعطيهم رواتبهم و خبزهم .

فنظر القائد للمساعد : انت تعلم من قطع عنهم رواتبهم و خبزهم . إنه مراد بك و ابراهيم بك و الحشاشين أتباعهم .

ثم نظر أمامه و تنهد : ثم تأتي المصائب بعد ذلك علي رأسي أنا . في أي مصيبة , أين سليم ؟ لماذا لم يعالج الامور ؟

ثم أدار فرسه و قال لمساعده : بلغ المشايخ ان سليم أغا ينتظركم في مدرسة الأشرفية .

في هذة الأثناء دخل المتشردون مع قادتهم حانوت كبير , فوجدوه فارغ , فهمو بالخروج فإعترضهم شخصا عملاقا لا يري وجهه لان الشمس في ظهره و قال لهم : مجموعه من البقر يظنون أنفسهم ثعالب السرقة .

فقال كبير المتشردين : من أنت ايها الوقح ؟

الفارس : انظر للسقف أيها الابله .

فنظروا في السقف وجدوا حبال مربوطة في السقف مربوط فيها الثوم و البصل بكميات ضخمة , فنظروا للفارس مبتسمين و قالوا : من أنت ؟

فإقترب منهم و ظهرت معالم وجهه فإندهشوا و قالوا : لا يمكن .. الشيخ سليمان الجوسقي .

<u>في مدرسة الأشرفية</u> , يجلس سليم الاغا في غرفة من غرف المدرسة علي كرسي و خلفه رجاله . و في لحظات دخل بعض قيادات المعتصمين و هم يبتسمون و يحيون سليم الاغا و جلسوا علي الكنب في نواحي الغرفة

سليم الأغا : ماذا تريدون أيها الإخوة

قيادات المعتصمين و هم محرجين : الرواتب و الخبز .

سليم الأغا : متي تريدونها ؟

القيادات : أي وقت .

سليم الأغا : حسنا سأراجع مراد بك و ابراهيم بك و بمجرد أن يقرروا اعطائكم رواتبكم و خبزكم سأبلغكم .

فقال القيادات : حسنا يا سيدنا , حسنا حسنا .

و رحلوا .

فدخل القيادات علي المعتصمين في جامع الازهر و وقفوا عند المنبر و صعد أكبرهم علي المنبر

كبير القيادات بصوت عالي و بكل فخر : ايها الناس , لقد طلب سليم الاغا مقابلتنا , و كنا رافضين في البداية إصرارا علي موقفنا و تأكيدا علي مطالبنا . و لكن الحاح رسله علينا جعلنا نفكر في أن نذهب له و نري ما عنده . فعندما قابلناه واجهناه بمطالبنا و عرفناه مدي الاذي الواقع علينا . فإقتنع . و أعطانا وعداً بالاجتماع مع المماليك و مطالبتهم بأعطائنا رواتبنا و خبزنا . فهيا أيها

obeikandl.com

الناس إنفضوا الي بيوتكم و أشغالكم و ننتظر إلي أن ينفذوا وعودهم . فإن لم ينفذوها , إعتصمنا هاهنا مرة أخري . و سنظل هكذا إلي أن يستجيبوا لنا .

فقام الناس و إنفضوا إلي أحوالهم .

في منطقة الشنواني , في احد الاماكن المهجورة الخالية , في بيت خشبي كبير يقف أمامه جماعة المتشردين و بداخله إضاءة القناديل و قيادات المتشردين . يجلس رجل عجوز علي كرسي كبير و أمامه سليمان الجوسقي و خلفه قيادات المتشردين .

العجوز : اهلا بك يا سليمان يا ولدي .

سليمان : اهلا بك يا شيخ الشبراوي .

الشيخ الشبراوي : قال لي أحمد قائد هؤلاء المتشردين العميان أنك ذكي و ستفيدنا في جمع أقواتنا .

سليمان : انا تحت أمرك يا شيخ شبراوي .

الشيخ الشبراوي : اسمع يا سليمان يا ولدي , سأجعلك مساعدي و قائدا علي هؤلاء الحمير . فإن عقولهم معطلة و أغبياء لا يصيبون في اي شئ يفعلونه . و لكنهم طيبون و رجال يساند بعضهم بعضا و يؤثرون علي بعضهم . و لذلك , إن حكمت فيهم بالعدل و بالشهامة و القوة و الاخلاق الكريمة , ستظل مساعدي وستصبح كبيرهم . و إن ظلمت فيهم و كنت نذلا معهم , صدقني سأقطع أعضائك و انت حي و ٍإرميها لهم ليأكلونها , ثم سأحفر حفرة و اشعل فيها النار و أرمي ما تبقي منك فيها .

ففزع سليمان و نظر يمينا و يسارا ثم نظر للشيخ الشبراوي و ضحك مفزوعا و قال : ما هذا الخيال المريض يا حاج ؟

فضحك الشيخ الشبراوي : حسنا يا ولدي . اذهب و احتفل معهم بما جنيتموه اليوم .

obeikandl.com

فخرج سليمان خارج البيت الخشبي و رفع كأسا فيه الشراب و نادي فيهم :
أيها العميان , من الان فصاعدا , مصيرنا مصير واحد , فلنجعله مصير يتمناه كل حي في هذا البلد التعيييييس .

فصاح العميان فرحا و ضحك سليمان و الدموع تذرف من عينيه , ثم فتح فاه و القي بالشراب من الكأس علي فمه فسقط نصفه خارج فمه علي وجهه و كتفيه و النصف الاخر داخل بلعومه .

obeikandl.com

٢٢ديسمبر١٧٨٥

الجماهير أغلقوا أبواب جامع الازهر في وجه المصلين و صعدوا علي المأذن يصرخون : لعن الله المماليك , لعن الله الخنازيير .

و صعد علي المنبر رجل في الخمسينات ذو لحية ضخمة و وجهه عريض و قامة طويلة و جسم عملاق و بشرة خمرية يرتدي عمامة كبيرة و الغالي من الثياب , فبدأ يخطب و يقول : أنا أحمد سالم الجزار شيخ الدراويش البيومية , الموصولين بأولياء الله الصالحين , رجال الله و خاصته من خلقه , أقول لكم نيابة عن أولياء الله , أن خنازير المماليك لم يتجرأوا علي تكرار ما فعلوه السنة الماضية من قطع الرواتب و الخبز عنا إلا لأنهم وجدونا ضعفاء لا قوة و لا نظام لنا . و وجدونا سذج نصدق وعوداً مثل الضباب ينقشع بطلوع الصبح . فنحن معتصمون هنا حتي يعطون حقوقنا .

سليم الأغا يدخل مع بعض رجاله فناء قصر كبير و ينزل من علي فرسه ويقترب من باب القصر فيوقفه الحراس

قائد الحرس : ماذا تريد يا سليم ؟

فلكمه سليم الأغا ففزع الحراس و إبتعدوا عن الباب فإقتحم سليم الباب فوجد مراد بك يشرب الخمر وسط عدة جواري

فقال مراد بك بصوت عالي و الكأس في يده يتساقط الخمر منه : أهلا بسليم الأغا , أهلا بنسيب الشيخ محمد البواب عين أعيان رشيد .

فوقف سليم امام مراد بك , فقال مراد بك لأحد جواريه : تصوري هذا المعتوه متزوج من السيدة زبيدة جميلة جميلات مصر .

فضرب سليم الأغا الصنية التي عليها الفواكه و إبريق و كؤوس الخمر برجله و أمسك بمراد بك و رفعه فنهض مراد بك

سليم و الدم يغلي في عروقه : ايها المخبول , تقطع رواتب الناس و خبزهم مرارا و تكرارا , ثم يثورون وتنزل المصائب علي رأسي أنا , بينما أنت هنا غارق في سكرك و عربدتك ؟

مراد بك مفزوعا و سكرانا : كيف تجرؤ ايها الوقح علي ما تفعله هذا , يبدوا أنك لست في وعيك .

سليم أغا يشير لرجاله فشهروا سيوفهم فقال لمراد بك : يبدو أنك انت الذي لست في وعيك .

فنظر مراد بك للرجال الشاهرين سيوفهم و قال : ماذا تريد مني ؟

سليم : أعطني أموالا أعطيها للناس لأسكتهم .

مراد بك : أمجنون أنت ؟ بالطبع ليس عندي ما يكفي كل هؤلاء الغوغاء .

سليم : و الحل ؟

مراد بك : أنظرني إلي الغد أجمع من المماليك , فلست وحدي الذي يسرق أموال هؤلاء .

سليم يدفع مراد بك للخلف و يهم للذهاب و يقول : إن لم أجد ما يسكت هؤلاء الغوغاء غدا , ستندم .

و ذهب هو و رجاله .

فاستدار مراد بك و نظر لجواريه و ضحك و قال : آآآآآه أيها الساحرات , كيف أفيق من سحركن , هاهاها ..

و قفز بين أحضانهن .

<u>مساعدين سليم الأغا في جامع الأزهر بجانب المنبر و المحراب ,</u> و خلفهم الشيخ أحمد سالم الجزار (مختلف عن أحمد باشا الجزار حاكم غزة) جالس علي كرسي المقرئين بجانب المحراب و أمامهم المعتصمين

obeikandl.com

فقال كبير مساعدين سليم الاغا : والله كنا معه عند مراد بك و أمسكه من ملابسه و عنفه فقال مراد بك كيف أتي برواتب و خبز كل هؤلاء الناس؟ أحتاج وقتا لأجمع أموالهم من المماليك , فرد عليه سليم الاغا قائلا ستندم إن لم أجد غدا ما يرضي هؤلاء المعتصمين . صدقوني يا أهل الله .

فقام الشيخ الجزار و وقف في وجه كبير المساعدين قائلا : إسمع , نحن قوم لا نريد القتال و لا الأذي لأنفسنا و لا لغيرنا . لذا سأفترض أن ما قولته أنت صحيح , و سننتظر إلي الغد . فإن لم تأتونا برواتبنا وخبزنا , لا تلومونا عما سيحدث . إتفقنا ؟

كبير المساعدين : نعم .

فإنفض الناس و فتحوا أبواب الأزهر .

obeikandl.com

بعد إسبوع الخميس ٢٨ ديسمبر

الناس مفزوعة في حي الحسين و يركضون في الشوارع و ورائهم مجموعة من الفرسان بالبنادق يقودهم رجل عملاق أعور و بجانبه سليم الاغا , والناس تصيح : حسين بك , حسين بك .

توقف الفرسان أمام بيت كبير يسكن فيه احمد سالم الجزار. فأشار حسين بك لسليم الأغا فكسر الباب و دخلوا البيت ووقف حسين بك في صالة الاستقبال يصرخ في رجاله : اجمعوا لي كل ما تقع عليه عيونكم , لابد ان نربي هذا الكلب .

فأمسكوا بالشيخ أحمد سالم الجزار و قيدوه و أتوا به عند حسين بك , فأمسك به و أخذه الي خارج باب البيت حيث الجماهير ملتفه حول الباب يراقبون ما يحدث . ثم أمسك البندقية بالمقلوب و نزل بظهرها علي رجل الشيخ و كسر له قصبة رجله , فصرخ الشيخ صراخا مريعا . ثم نظر حسين بك للناس و الشرار يتطاير من عينيه . ثم بعد أن إنخفض صوت صراخ الشيخ , فنظر له حسين بك مره اخري و اطلق عليه بعيار ناري في رجله الاخري , فصرخ الشيخ من قلبه .

ثم خرج مساعدين حسين بك و هم يحملون اكياسا عملاقة بها كل ما في البيت من مال و مصاغ النساء و كل ما له قيمة في البيت فأشار لهم ليركبوا الخيول و ركب هو بعدهم و صرخ في الناس : أيها الناس ,
لا تظنوا أبدا انكم ستكافئونا في القوة , و لا أنكم بتلك اللإعتصامات الفاشلة ستجبروننا علي ما لا نريد فعله . إفهموا أننا أقوي منكم , و لو أجتمعتم كلكم بكل سلاح الدنيا , لن تنتصرون علي فرسان المماليك و لو بعد ١٠ سنوات من القتال . فمن أراد منكم شيئا فليسلك المسالك التي فتحناها نحن لكم . حتي وإن سدت في وجهه , فليحاول مره بعد مره إلي أن يصل إلي ما يريد . لكن من سيتشجع مثل هذا الرجل , فلينتظر مصير هذا الرجل .

ورحلوا .

الجمعة ٢٩ ديسمبر

الجماهير تمشي في شوارع الحسين بأعداد مهولة , و معهم الطبول يدقون عليها إشارة لإعلان الحرب علي المماليك , ويتحركون من شارع إلي شارع في إتجاههم للأزهر . و في كل شارع ينضم بشر كثيرون للتظاهرات . و في إحدي الشوارع الجانبية يراقب سليمان الجوسقي و خلفه العميان حركة المظاهرات إنتظارا أن تمر بجانبه . و بمجرد مرورها بجانبه دخل هو ورجاله واحدا بعد أخر في جملة المتظاهرين . و أثناء سيرهم وسط الجماهير , يسرق كل واحد منهم كل ما تطوله يداه من الحوانيت أو البيوت التي يمرون بجانبها , أو من اكياس الناس المتظاهرين دون أن يشعر أحد .

في خلف المظاهرات يلمح سليمان مجموعة من النساء يشاركن في التظاهر , وعلي رأسهن أمونة ومجموعة من الشابات . فصدم سليمان , ثم غضب وذهب إليها , و أمسك بذراعها و أخذها بعيدا عن الناس في أحد الشوارع الجانبية .

فنظر سليمان لأمونة غاضبا و قال لها بصوت غاضب مكتوم : ماذا تفعلين هنا أيها البلهاء ؟

فنظرت له نظرة سخرية : ها ها ها ... منذ متي يراجع شيخ منصر مثلك بنت كبيرة تجار باب الشعرية مثلي ؟

فأشار بيده و تغيرت معالم وجهه أستهزاءا : يا شيخة أسكتي , قال كبيرة تجار باب الشعرية قال . بائعة بعض لفافات القطن و الكتان أصبحت كبيرة تجار باب الشعرية , أسكتي , بلا كذب .

فضحكت أمونة إستعجابا : أنظر من يتكلم , زعيم عصابة حرامية يستهزأ بمن يأكل لقمة عيشه من عرق جبينه .

فتباهي سليمان : و مال عصابة الحرامية ؟ إنهم رجال يكافحون من أجل جمع اقواتهم .

فإستعجبت أمونة : بالحرام ؟ من بيوت و جيوب الناس ؟

openkanal.com

سليمان : وما الفرق بين هؤلاء الحرامية و بين حرامية المماليك الذين تعيشين أنت و أمك بينهم ؟ ما الفرق بين هؤلاء الحرامية و حرامية التجار مثل أمك التي تتمني أن ينخفض مستوي النيل و تتأخر المراكب لتشح البضائع و ترفع السعر الطاق طاقين ؟

أمونة : صحيح . و كنت قلت لك سابقا , أنا لا يعجبني هذا و لا ذاك . ما المشكلة أن تكون تاجرا نزيها لا تستغل إرتفاع الأسعار و في نفس الوقت تعف نفسك عن هذا القرف الذي تعيش فيه ؟ ما المشكلة ان ترجع للقرآن الذي كنت تطرب أسماع الناس به ...

فقاطعها سليمان : نعم لترفضني أمك مرات بعد مرات .

أمونة : لكن الأن أنا التي سترفضك , و سأرفض حتي ان أراك في شارع أمشي أنا فيه .

سليمان : حسنا أيتها الفيلسوفه , أذهبي إلي بيتك هيا .

و دفعها من ذراعها .

فقالت أمونة بصوت عالي : أبعد يدك عني أيها الحرامي .

فصدم سليمان و همت أمونة بالذهاب , فقال سليمان : و لماذا هذة المظاهرات أصلا ؟ لا يعقل أن يكون كل هذا من أجل ما حدث للشيخ أحمد سالم الجزار أمس. فالمماليك يذبحون الناس و يسرقونهم منذ سنين السنين . فهل تذكر الناس الإعتتراض علي هذا اليوم ؟

أمونة بنظرات أستحقار : علي الأقل قرر هؤلاء الإعتراض , بدلا أن ينضموا لعصابات سرقة .

فضحك سليمان : ها ها ها ... هؤلاء هم من لم يجدوا فرصة للإنضمام لعصابات السرقة , و إلا فلماذا تعج مصر بالعصابات في مكان ؟ ألا تسمعين عن حوادث قوافل الحج سنة بعد سنة ؟ ها , صدقيني لو جمعنا أعداد أفراد هذه العصابات لوجدناهم علي الأقل نصف هذا الشعب .

obeikandl.com

ضحكت أمونة إستهزاءا : و ماذا تنتظر من زعيم عصابة سرقة مثلك أن ينظر لهذا الشعب ؟ بالتأكيد ستنظر لهم كأنهم كلهم حرامية , او نصفهم حرامية والنصف الاخر منتظر في طابور التوظيف في عصابات الحرامية . إذهب يا سليمان بعيدا عني . ولو حاولت الإقتراب مني مرة أخري لا تلومن إلا نفسك.

فتركته و ذهبت . ووقف سليمان مصدوم عدة دقائق ثم ذهب .

ظلت المظاهرات تتحرك من شارع إلي شارع و مروا بجانب الجامع الازهر إلي أن وقفوا بجانب دار كبير بجانبه , فقرعوا الباب . بعد دقائق خرج لهم الشيخ الدرير بجلباب المنزل و قال : ماذا هناك يا قوم ؟

واحد من الجماهير : خرجنا ضد المماليك .

الشيخ الدردير مبتسما و مستعجبا : كل هذا بسبب ما حدث للشيخ الجزار أمس ؟

واحد أخر من الجماهير : نعم , هذا أحد الأسباب . لكن أكبر الأسباب هو هذا الضنك الذي نعيش فيه بسببهم .

فأظهر الشيخ الدردير علامات القوة و الجد علي وجهه و تقدم خطوات خارج باب بيته و قال بصوت عالي : أنا معكم أيها الناس .

فصاح الناس فرحين . و دخل الشيخ يلبس ملابس الازهر و خرج لهم فوقفوا خلفه . فمشي و مشوا خلفه يضربون علي الطبول إلي أن دخلوا الجامع الأزهر و أغلقوا أبوابه و صعد بعضهم علي المأذن يضربون الطبول ويصرخون : لعن الله المماليييييك , لعن الله الخنازيييييير .

فصعد الشيخ الدردير علي المنبر و خطب في الناس :

بسم الله و الصلاة و السلام علي أشرف الخلق و أكرمهم . أيها الناس , ضاق الحال , و جاع الناس , و إنتشر اللصوص و العصابات ..

فنظر سليمان في الارض و هو بين الجماهير .

obeikandl.com

الشيخ : و إنتشرت المقاهي و مجالس الفجر و الفساد و فسدت النساء و تعري بعضهن و أصبحن سلعة يتهافت عليها جموع لا يحصي عددها من كبار القوم و وجهائهم. و اصبح التجار بلا ذمة و لا ضمير و هكذا السقايين و هكذا العطارين و هكذا أفراد الامن و هكذا أصحاب الحرف و هكذا و للأسف ... المشايخ .

تنهد الشيخ : هل نحن بلد صحراء قاحله لا خير في بلادنا لنجوع و نتصارع علي أقواتنا هكذا ؟ لا . هل نحن شعب لا خير فينا مثل قوم عاد و ثمود أو بني إسرائيل ؟ لو كنا هكذا لكان أنزل الله علينا ما أنزله عليهم . هل نحن أناس رمينا القران و سنة رسوله و خرجنا عن دين الإسلام كما حدث في الاندلس ؟ لا , مازال بيننا حفظة كتاب الله و سنة رسوله يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر حتي و إن كان صوتهم غير مسموع .

ثم رفع صوته : فالفساد و الضنك اللذان نحن فيهما سببه الرئيسي ليس نحن ..... نعم نحن مشاركون و لكن ليس نحن أساس هذا . إنهم المماليك و رجالهم المجرمين . لم يتركوا رجلا صالحا الا و نغصوا عليه حياته . لم يتركوا حانوتا الا و سرقوه , لم يتركوا بيتا الا و إنتهكوا حرمته و أفرغوه من أي شئ ذو قيمة فيه , و و الله لو استطاعوا اقتلاع جدران البيوت لفعلوها .

فرفع يده عاليا و قال صارخا : فهبوا لنهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا , و من الغد , إجمعوا كل الناس من أهالي الحسين و الازهر و باب الشعرية وبولاق ومصر القديمة و كل الناس لننتقم من هؤلاء .

فهلل الناس و كبروا : الله اكبر الله اكبر .

<u>بعد صلاة المغرب</u> , نادي أحد المتظاهرين علي الشيخ الدردير و قال : يا شيخ الدردير , يا شيخ الدردير , رجال إبراهيم بك علي الباب يقولون لك إن إبراهيم بك و سليم الأغا ينتظرانك بالغورية .

فرد الشيخ : قل لهم أني لن ..

فقاطعه كبار المتظاهرين : لالا يا شيخ الدردير , إذهب فقط و إسمع منهم .

فنظر لهم بإستعجاب : وماذا سأسمع منهم ؟

فقال أحدهم : لعل الله هداهم و علموا أن الله حق .

فصعق الشيخ و قال : أجننتم ؟ ألم يحدث هذا السنه الماضية و سليم الأغا هذا نفسه قال و عودا و نفذوها شهر أو إثنين و عادوا إلي ما كانوا عليه بعد ذلك . ما الجديد هذة المره ؟

أحدهم : الجديد هذة المره أن إبراهيم بك شخصيا هو المتصدر في الموضوع . و كلنا نعلم أن إبراهيم بك داهية و قابل للتفاوض و نستطيع مع بعض الضغط عليه إجباره علي مطالبنا .

فضرب الشيخ علي رأسه إحباطا , فقال أخر بمسكنه : نرجوك يا شيخ الدردير , نحن لا نريد إراقة دماء أكثر مما حدث , فإذهب لعلنا نستطيع حل الموضوع وديا .

فنظر لهم الشيخ غاضبا و قال : ايها الضعفاء الجبناء . و الله لم يركب عليكم هؤلاء المجرمون إلا بسبب خنوعكم هذا . تبيعون حقوقكم من أجل سلامتكم . و صدقوني لن تنالوا هذا و لا ذاك .

و نادي و قال : قولوا لهم أني قادم معهم .

<u>في الغورية , في احد قصور المماليك , يجلس الشيخ الدردير و أمامه إبراهيم بك و سليم الأغا و بينهم طاوله كبيرة فقدم أحد الجنود ورقة و دواية و ريشه للشيخ</u>

سليم الأغا : أكتب لنا يا شيخ الدردير قائمة بالمنهوبات لكي نستردها لكم .

فكتب الشيخ في الورقة ثم أعطاها لسليم أغا فرفع سليم الورقة و قرأ ما فيها فأغمض عينيه و نظر للأرض فأعطي الورقة لابراهيم بك , فقرأ , فإستشاط غضبا , و قام من علي كرسيه و صرخ : أتهزأ بنا يا هذا ؟ نعطيك ورقة لتكتب بها المنهوبات فتكتب لنا كلمه واحده " كرامتنا " . هل مس كرامتك أحد يا هذا ؟ أنت شيخ المالكية في الأزهر و لا يقترب منك أحد ...

فقاطعه الشيخ الدردير صارخا : لا يقترب مني أحد لأني رجل دين يثور الناس من أجله و يخمد الناس بسببه , فإذا فعلتم بي ما تفعلونه بالناس ثارت الناس , أما إن إبتعدوا عني لن أشعر بالضرر فأظل اسكن الناس و اهدئهم محتسبين ما يصيبهم منكم عند الله . أليس هكذا تفكرون أيها البك ؟

فصدم إبراهيم بك . و دخل من الباب حسين بك و الشرر يقفز من عينيه , فنظر لأبراهيم بك و سليم الأغا و قال : ماذا تريدان ؟

فقال إبراهيم بك : المنهوبات التي سرقتها .

فضحك حسين بك و إقترب من إبراهيم بك و أشار بإصبعه في صدر ابراهيم بك قائلا : أنت تسرق ..

ثم أشار بإصبعه لسليم الأغا : و هذا يسرق ..

وأشار بإصبعه للخارج : ومراد بك يسرق ..

ثم فتح ذراعيه و قال : كلنا نسرق .. فلا تتصنع علي أنا الشرف يا ابراهيم .

و استدار و ذهب .

فدار إبراهيم بك حول الطاولة و وقف امام الشيخ الدردير و صرخ قائلا : كل ما لك عندي أني سأتيك بالمنهوبات بعد يومين أو ثلاثة . إقرأ معنا الفاتحة علي ذلك .

فنظر إبراهيم بك لسليم الأغا و الجنود الواقفين فرفع الجميع أيديهم و رفع إبراهيم بك يده و لم يرفع الشيخ االدرير يده . فقرأوا الفاتحه ماعدا الشيخ وإنصرف إبراهيم بك .

فرجع الشيخ الدردير للجامع الازهر حزينا ينظر في الارض , فإلتف عليه االناس و قالوا متلهفين : ها ماذا حدث ؟

فقال الشيخ : كالعام الماضي , وعد بإرجاع المنهوبات بعد يومين أو ٣ .

obeikandl.com

فسكت الجميع فخرج أحدهم قائلا : حسنا ننتظر يومين او ٣ , لا بل اسبوع , المهم ترجع لنا حاجاتنا .

فنظر الشيخ لهم و إبتسم إبتسامة حزن و هز رأسه و نظر للأرض مرة اخري.

obeikandl.com

عام ١٧٨٦

<u>باب الشعرية أمام أحد الحوانيت الكبار , يجلس الحاج محمد المغربي ينظر و هو مستغرب ووجهه مقفل لجماهير الناس تمر من أمامه و يصيحون :</u> يا حسن باشا القبطان , يا مهدي هذا الزمان , خلصنا من المماليك , و أقم سنة العدنان , سرقوا أموالنا الاوغاد , و صرفوها علي الخمر و النسوان.

فظهر من بين الجماهير سليمان الجوسقي و هو يلبس أحلي الثياب و متعطر و في أجمل صورة و دخل علي الحاج محمد و قال : السلام عليكم يا حاج محمد .

فضحك حاج محمد و نظر إليه و هو يجلس بجانبه : ماشاء الله لا قوة إلا بالله , منذ متي و انت في هذه الصورة كالذاهب إليه عُرس .

فإبتسم سليمان و هندم ملابسه و تباهي بها : ماذا يا حاج محمد , دائما أنا في هذه الصورة

ففاجئه الحاج محمد قائلا : كذبت .

ثم إبتسم الحاج محمد متخابثا : هل تريد أن تقول لي إنك تجلس بهذه الهيئة وسط العميان . بالتأكيد لا . أنت أت إلي هنا بهذه الهيئة لعل حبيبة القلب تمر .

فتخشب وجه سليمان : ماذا تريد يا حاج محمد ؟ هل هذا جزائي لاني أتي لأطمئن عليك ؟

فنظر الحاج محمد أمامه و قال : كذبت في هذه أيضا , لولا أن محل أم الملكة في أخر الشارع , لم أكن لأري وجهك العكر .

فغير سليمان الموضوع و قال : من هؤلاء يا حاج محمد ؟ لماذا يتظاهرون ؟ ومن هو مهدي هذا الزمان و مخلصنا من المماليك ؟

الحاج محمد بعد تنهيده : إنهم الناس فرحون بمجيئ حسن باشا القبطان .

سليمان : و من حسن باشا القبطان ؟

الحاج محمد : هو رسول من الباب العالي في الأستانة من قبل الخليفة العثماني . جاء ليحصل مستحقات الخلافة المنقطعة من القطر المصري .

سليمان : وهل إنقطعت بسبب إستيلاء المماليك عليها ؟

الحاج محمد : المماليك يجمعون كل سنه من كل فرد في هذا الشعب ضريبة للخلافة العثمانية , و من المفترض ان يرسلوها بعد جمعها للخليفة . و لكن ما حدث ان المماليك طمعوا فيها و لم يرسلوا شيئا , فأرسل الخليفة هذا الرجل ليأخذها منهم أو يطردهم من البلد .

سليمان : و هل سيكون هذا جيدا أم سيئا بالنسبة لك ؟ فعلي حسب علمي أنك شاركت عبدالله المغربي مدير أملاك مراد بك .

الحاج محمد : علي حسب ما سيفكر فيه هذا حسن باشا , فإذا إهتم فقط بالمماليك و نهب ما في بيوتهم و إكتفي , لن يطولني شئ . أما إذا تتبع أموالهم وشركائهم وتفرغ لهذا , بالتأكيد سيضيع كل ما أملك .

سليمان : لا بإذن الله , سيحرس الله أموالك ...

فجأة مرت أمونة و خلفها ثلاثة من الفواعلية يرفعون لها أشولة القطن والكتان العملاقة لمحل أمها , فسقط من أحدهم شوالاً علي الارض فوقفت وصرخت فيه .

فقام سليمان فضحك له الحاج محمد و قال : بلي , إني مشتاق وبي لوعة ...

وأشار بإصبعه إلي نفسه و قال : ... ولكن مثلي لا يذاع له سرُ .

فضحك سليمان و ذهب .

وبعد خطوات مشاها سليمان ناداه الحاج محمد و قال : سليمان ..

فإستدار سليمان و نظر للحاج محمد فوجده قام مفزوعا من علي الكرسي و أشار برأسه لبداية الشارع . فنظر سليمان لبداية الشارع فوجد مجموعه من الجنود الأغراب ليسوا من جنود المماليك يلبسون اللباس العثماني و يدخنون

obeikandl.com

اللفائف والبنادق في أيدهم و يمشون في السوق يضايقوا الذاهب و الأت و يترصدون النساء ليتحرشوا بهن

فقال الحاج محمد : إذهب و أتي بالعميان حالا .

فنظر سليمان للجنود و نظر مفزوعا لأمونة التي لمحته و نظرت له بإمعان , ثم نظر للحاج محمد و الفزع في وجهه . فإنطلق بسرعه , و تظاهر بتجاهل الجنود و مر بجانبهم كانهم غير موجودين . و فجأة أمسك بقدمه رجل مختل عقليا عريان بدون ملابس بإستثناء قطعتي قماش يغطيان عورته , منكوش الشعر, شعره مجعد بشده في رأسه و لحيته , طويل الأظافر , احول العينين , شفتاه مشقوقتان , الاوساخ تملئ جسده من شعره إلي أطراف اقدامه .

فصرخ سليمان : ماذا تريد أيها المجنون ؟

فظل الرجل ممسكا بقدم سليمان فنزل و امسك بعصا مرميه علي الارض وضرب الرجل المجنون علي ذارعه ضربة قويه , فصرخ المجنون صراخا مرعبا بصوت مبحوح متقطع , و ترك قدم سليمان , فنظر سليمان له مفزوعا و تركه و هرب .

فلفت هذا المنظر إنتباه كل من في الشارع بما فيهم الجنود الذين ضحكوا وأكملوا طريقهم ينظرون يمينا و يسارا و يأخذون من محل خضار بضع تفاحات دون دفع ثمنا و أكلوها و هم يتبخترون . و ظلوا هكذا يتخطفون الاشياء بدون مانع لهم إلي أن وقفوا أمام أمونة و عمالها و أشولة القطن الساقطة علي الارض . فإقترب كبير الجنود من أمونة و نظر لها بسفالة وقال : يبدو من ملامحك أنكي لست مصرية , ربما تكوني تركية مثلنا , او علي الاقل من شمال الشام القريبة منا .

فنظرت له بمنتهي القوة : انقلع من أمامي و إلا ندمت علي وقوفك أمامي بهذة الوقاحة .

فإستشاط غضبا و هم ليضربها , فرأي من خلفها جمعا غفيرا من الرجال الفواعلية صبيان التجار يتقدمهم بعض النساء تقودهم سيدة طويلة و عريضة

, بيضاء البشرة , غليظة الملامح , ذات شعر طويل أسود مغطي بشال لا يظهر تفاصيل الشعر و لا يخفي اطرافه , تلبس الملابس التركية الفاخرة

تقول السيدة الضخمة بصوت عالي : إبتعد عنها و إلا أعدتك إلي بلادك جثه هامده .

فتحمس التجار في السوق فأمروا صبيانهم أن يتبعونهم ليشاركوا السيدة الضخمة دفاعها عن إبنتها .

فنظر كبير الجنود حوله فوجد الجميع يلتف حوله هاجمين عليه , فنظر لأمونة فوجدها تبتسم , فهدأ فجأة و إبتسم و قال : شاهدي إذاً هذ العرض .

فضربها بكل قوته و أسقطها أرضا و أخرج مسدسه و أطلق عيارا ناريا علي أحد القادمين نحوه فسقط أرضا . فرفع باقي الجنود البنادق و وقفوا في ظهر بعضهم و فتحوا النار علي القادمين نحوهم . فهرب الجميع في كل إتجاه , ماعدا السيدة الضخمة هجمت نحوهم بسرعة أكبر و هي تصرخ :إبنتيييييييي .

فصرخ كبير الجنود و قال : اطلقوا علي هذة المجنونه .

فإلتف الجنود و اطلقوا عليها بعض العيارات النارية فأصابتها و سقطت أرضا. فصرخت أمونة : أمييييييييي .

فنزل كبير الجنود و أمسك أمونة من رأسها و أدخل أصابعه في شعرها ورفعها نحوه و قال : أرأيت أيتها التركية ...

وهز رأسه يمينا و يسارا : لا فائدة في مقاومتي .

فجأة ظهر صوت خيول و فرسان يصرخون بصوت عالي , فنظر الجنود وكبيرهم , فوجدوا فرسانا ملثمون كثيرون ملئوا الشارع في بضع ثوان يهجمون عليهم بيدهم بعض البنادق و سيوف . فأطلق الفرسان بعض العيارات النارية أفزعت الجنود فسقطوا أرضا و أسقطت البنادق من أيديهم ,

obeikandl.com

فنزل الفرسان علي الجنود بالسيوف و الرماح و بعض العيارات النارية فقتلوهم في ثواني .

فقفز قائد الفرسان من علي الفرس يهرع بإتجاه أمونة فنهضت أمونة بفزع وجرت بإتجاه أمها التي تصرخ من الالم و تبعها سليمان و قالت أمونة صارخةً : أمييييييييييي .

فأمسكت بأمها و رفعت رأسها فوجدتها تتألم و تصرخ من عياران ناريان , الاول أصاب رقبتها والاخر أصاب أوتار وعظام ركبتها . فصرخت أمونة : أمييييييي.

<u>بعض كبار مشايخ الازهر</u> يدخلون قصرا من القصور الضخمة التي كانت مملوكه لأحد المماليك يحيطه العساكر العثمانين من كل جهه من الداخل والخارج يحملون صناديق . فيقابلهم كبير الحرس و معه بعض الحرس علي الباب الداخلي و أخذهم و أخذ الحرس الصناديق و مشوا في أروقة القصر إلي أن وصلوا لقاعة كبيرة . فقرع كبير الحرس الباب , فَفُتح الباب و دخلوا فوجدوا كنبة كبيره من الحرير في نهاية القاعة يجلس عليها رجل قصير أبيض و بلحيه و شنب عملاقين و يلبس اللباس العثماني و علي الجانبين كنب مماثل يجلس عليه قيادات الجيش و بنفس هيئة الرجل الجالس في رأس القاعة .

قال كبير الحرس للمشايخ : تفضلوا إجلسوا .

فمشي المشايخ خطوات و خلفهم الحرس و معهم الصناديق يقتربون من رأس القاعة يتقدمهم شيخ قصير خمري اللون خفيف اللحيه ، سمين الجسم قليلا وخلفه باقي المشايخ . فجلسوا بجانب كنبة الرجل علي رأس القاعة وهم يطقطون رؤسهم و يرفعون أيدهم فوق رؤسهم تحيةً و إجلالا للرجل , و انزل الحرس الصناديق بجانب المشايخ.

فقال الشيخ القصير للرجل : السلام عليكم حسن باشا القبطان .

حسن باشا وهو متخشب الوجه : أهلا بك , عرفني عليكم .

الشيخ القصير : أنا الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر ....

فقاطعه حسن باشا : وأين الشيخ الدردير ؟

الشيخ العروسي : توفي إلي رحمة الله .

حسن باشا : حسنا , أكمل .

الشيخ العروسي يشير للجالس بجانبه : و هذا الشيخ محمد الامير , و هذا الشيخ محمد الحريري , و هذا ...

فقاطعه حسن باشا و قال : حسنا حسنا , و ماذا في هذة الصناديق ؟

فإبتسم الشيخ العروسي قائلا : هذا فضلة خيركم سيدي الباشا , فيها ٢٠ كيلو من البن , و مثلها من السكر , و هذا الصندوق فيه ١٠ عباءات هندية لحضرتكم , و هذا الصندوق فيه عود و عنبر .

فنظر حسن باشا للشيخ العروسي و لم تتغير معالم وجهه المتخشبة : حسنا وماذا تريدون ؟

فضحك الشيخ العروسي و نظر للمشايخ فضحكوا و إبتسموا , ثم نظر لحسن باشا : جئنا فقط للترحيب و تقديم الولاء و الطاعة سيدي الباشا .

فتكسرت ألواح الخشب علي وجه حسن باشا بإبتسامه خفيفه و نظر للارض و هز رأسه يمينا و يسارا , ثم نظر للشيخ العروسي و قال : ألم كنت تقدمون الولاء و الطاعة للمماليك قبل عدة أيام قبل أن أصل لهذه البلاد ؟

الشيخ العروسي مبتسما : سيدي الباشا , نحن نطيع أولي الأمر , فأمس كان أولي الأمر المماليك , فكنا نطيعهم و نواليهم , و اليوم أنتم ولاة الامر , فواجب علينا تقديم الولاء و الطاعة

فهز حسن باشا رأسه و قال مبتسما : كم أعشق هذه الطريقة في تفسير الدين .

obeikandl.com

ثم عادت ألواح الخشب تتشكل علي و جهه و قال : حسنا , إذا لم تكونوا تريدون شيئا أخر , قوموا وإرحلوا .

الشيخ العروسي مبتسما : في الحقيقة كنا نرغب في معرفة ما ستقومون به في البلد الأيام القادمه لنساعدكم و ننسق معكم .

حسن باشا بعلامات بداية الغضب علي وجهه : نطهر هذة البلاد من المماليك و نجمع أموال الخلافة التي سرقوها .

الشيخ العرروسي : و لكنكم طردتموهم من بيوتهم في القاهرة و الجيزة وهم الان في أقصي الصعيد , و أخذتم ببيوتهم و زوجاتهم و أولادهم و جواريهم وأموالهم و كل شئ يملكونه , فنحن جئنا نلتمس رحمة حضرتكم لتفرجوا عن زوجاتهم و أولادهم فقط و خذوا ما شاء لكم بعد ذلك

حسن باشا : مثل من ؟

الشيخ العروسي : مثل زوجات إبراهيم بك , و مثل زوجات وأولاد المعلم ابراهيم الجوهري .

حسن باشا : و لماذا ليس زوجات و أولاد مراد بك مثلا ؟

اللشيخ العروسي : و ايضا زوجات و اولاد مراد بك و غيره من المماليك , و لكن في الحقيقة ابراهيم بك و المعلم ابراهيم كلماني شخصيا لأتشفع في زوجاتهم و اولادهم عند حضرتك .

فإنفجر رأس حسن باشا غضبا قائلا : مالي أراك متعاطفا معهم؟ إن كنت غير مرتاحا لنا فقل لي الأن حتي أضعكم في قائمة المماليك الذين سنتتخلص منهم .

ففزع المشايخ و إنتفضوا من علي الكنب مرعوبين و أمسك الشيخ العروسي بذراع الشيخ محمد الامير الذي بجانبه من الفزع , و قال : لا لا لا سيدي الباشا , نحن مسرورين بكم جدا .

فنظر الشيخ العروسي للشيخ محمد الامير بجانبه و همس له في رعب : هيا بنا ننقلع من هنا بسرعه .

فقام المشايخ و طقطوا رؤسهم و رفعوا أيديهم تحية و إجلالا لحسن باشا وهم يتراجعون للخلف , وهم يقولون : حيا الله السلطان حيا الله السلطان .

فإصطدم أحدهم بصندوق من الصناديق ووقع علي الارض , فساعده زميله لينهض بسرعه, فنظر الشيخ العروسي له و قال بصوت منخفض : قم يا مجنون ستقتلنا.

أمونة واقفه في محل أمها , و أمامها زبونة من أصدقاء أمها , ودموعها تنزل من عينيها و هي تستجمع كل قوتها لكي لا تنهار و عينيها تهرب يمينا و يسارا و تمسح أنفها الذي لا يتوقف من السيلان و تقول : لقد شلت يدها اليمني و رجلها اليمني و قطعت اليسري و أصبحت لا تستطيع الكلام إلا القليل جدا .

فصدمت الزبونة و قالت : لا حول و لا قوة إلا بالله . يا حفيظ يا رب يا حفيظ. وهل عالجتموها ؟

أمونة : لم يجد الأطباء لها حلا .

الزبونة : هل جئتم لها بشيخ من المباركين ؟

أمونة : لا

الزبونة : لا , لابد من أن يأتيها شيخ يقرأ عليها و يعمل لها حجاب و اثنين و ثلاثة و يقدم للأسياد ما يرضيهم عنكم و يفك مرض أمك

أمونة : وبمن تنصحيني من الشيوخ ؟

الزبونة : هناك الشيخ صادومة الشهير , و هو رجل مبارك قادر علي كل شئ بعلاقته الرائعه مع أولياء الله الصالحين . و الأن هو لا يتعامل مع كل الناس , فإنه متفرغ فقط لنساء المماليك و الوجهاء و الأعيان . فمن كثرتهن أصبح لا يستقبل غيرهن .

أمونة : و كيف نصل لهذا الرجل ؟

الزبونة : إسمعني , أنا لا أستطيع الوصول إليه . لكن هناك السيدة هوي صديقة والدتك و التي تزوجت أحد مساعدين مراد بك الان تسطيع الوصول إليه , أو علي الأقل تستطيع أن توصلك لأحد يوصلك إليه .

أمونة و علي وجهها علامات الإستياء : كم أكره هذة السيدة .

الزبونة : دعكي من الحب و الكره , إن لأمك عليها فضلا , فأمك التي أحتوتها و انقذتها من حياة الشوارع و رعتها إلي أن أصبحت هي من هي في البلد . و لا أظن أنها ستتأخر عن والدتك .

السيدة هوي و أمونة يدخلان غرفة فيها قنديل واحد و البخور تتصاعد من زوايا الغرفة و من مبخرة كبيرة في منتصف الغرفه بجانبها كنبة عظيمة من الحرير كعروش الملوك و في الجهة المقابلة للكنبة العظيمة كراسي ظهرها للكنبة و وجهها لباب الغرفة .

الشيخ صادومة : اجلسا يا هوي .

فقلبت السيدة هوي الكرسي و جعلت وجهها لشيخ صادومة الجالس علي الكنبة العظيمة و ظهره للباب و جلست عليه , و أمونة واقفه مستعجبه .

فقال الشيخ صادومة : وجهك للباب يا هوي .

فنظرت السيدة هوي نظره في منتهي اللوئم و الخبث و القوة : دعك من هذا يا صادومة و إنتبه لما هو مهم .

الشيخ صادومة : وجهك للباب يا هوي .

السيدة هوي : أم هذة الفتاة هي السيدة صفية تاجرة القطن و الكتان المعروفة . و قد أصابها عيارات نارية شلت نصف جسدها الايمن و أجبرت الاطباء علي قطع الرجل اليسري . لا يهم الرجل اليسري التي راحت . نريد فك نصف الجسد المشلول .

الشيخ صادومة ينظر لأمونة بخبث : تبدو أنها تركية يا هوي .

السيدة هوي بصوت عالي و غضب : صادومة , إحترم نفسك و أجبني علي ما قلته .

الشيخ صادومة ينفعل و ينظر للسيدة هوي و يقول بغضب مكتوم : هوي , أنت تعلمين أني لا أتعامل مع العيارات النارية , و هذا قانوني منذ أن بدأت عملي هذا .

السيدة هوي : حسنا اعمل علي هذة الحاله و سنعطيك أجرك كاملا حتي لو فشلت

فنظر صادومة لأمونة و إبتسم قائلا : حسنا .

obeikandl.com

عام ١٧٨٧

عند بيت كبير بالقرب من منطقة المقابر يدخل حسن باشا و معه مجموعه من كبار العساكر العثمانين , فإستقبلهم الشيخ السادات و معه الشيخ عبدالله الشرقاوي و بعض المشايخ الصغار و قال الشيخ السادات : يا أهلا و سهلا , يا مرحبا يا مرحبا , تفضلوا تفضلوا

فجلس حسن باشا بوجه الخشبي و معه رجاله , فجلس المشايخ في الجهة المقابله فنادي الشيخ السادات لأحد صبيانه : يا ولد , هيا أحضروا الطعام والشراب , لا تتأخروا

حسن باشا للشيخ السادات : لماذا لا اري الشيخ العروسي و الشيخ محمد الامير و اولئك الذين جائوني منذ مده ؟

فنظر الشيخ السادات للمشايخ بجانبه ثم نظر لحسن باشا و قال : لو دعوناهم لن يأتوا .

فغضب حسن باشا و قال : لماذا ؟ سيتكبرون علي أم ماذا ؟

الشيخ السادات مبتسما و ملاطفا : بالتأكيد لا يا سيدي ، و لكن الشيخ العروسي و مجموعته علي خلاف مع مجموعتنا .

حسن باشا : لماذا ؟

الشيخ السادات : هناك خلاف فكري بيننا و بينهم .

حسن باشا غاضبا : ما بك يا رجل ؟ لماذا لا تحكي التفاصيل ؟ هل تحاول اخفاء شئٌ ما عني ؟

الشيخ السادات بتوتر : الشيخ العروسي يري أن الطاعة لشيخ الأزهر و ولاة الامر هي معيار الإرتقاء في مناصب الأزهر ، أما نحن فنري أن التبحر في علوم القرآن و السنة ، و التوزيع القبلي و الجغرافي لمشايخ الأزهر هما معياران التوظيف و الترقية في وظائف الأزهر .

حسن باشا : و ما ضركم في معيار الشيخ العروسي ؟

الشيخ السادات : لان من تطبيقات هذا المعيار هو الاستسلام الكامل لمراد بك وإبراهيم بك و رجالهم تحت إسم ولاة الأمر ، و هذا ما لا نرضاه ابداً .

فهز حسن باشا رأسه ثم سكت قليلا .

فقال حسن باشا للشيخ السادات : سمعت يا شيخ أنك صاحب مراكب تنقل البضائع في النيل .

فقال الشيخ السادات مبتسما : نعم سيدي .

فقال حسن باشا : و كيف لرجل ليس من المماليك أن يملك شيئا في شريان التجارة في القطر المصري , ما أعرفه أنهم مثل العواصف التي لا تبقي ولا تذر من ثروات مصر.

الشيخ السادات : إنه ستر الله سيدي . ثم إني من السادة البكرية أبناء ابو بكر الصديق , و هم لهم صوت في الناس , و لذلك غالبا ما كان يبتعدون عن مراكبي .

حسن باشا للمشايخ بوجه شديد الاستياء : كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران و ترضونهم حكاما عليكم يسومنكم سوء العذاب و الظلم ؟
لماذا لا تجتمعوا عليهم و تخرجوهم من بينكم ؟

فأجابه أحد الوجهاء الحاضرين : يا سيدي , هم عصبة شديدوا البأس و مجتمعين علي يد واحدة .

فقام حسن باشا غاضبا : تخوفني ببأسهم .

فقام المتكلم و طأطأ رأسه و قال : انا أقصد أنفسنا سيدي لأنهم بظلمهم أضعفوا الناس .

فقال الشيخ عبدالله الشرقاوي : سيدي الباشا , دعوناك اليوم لمأدبة الطعام هذة لنشتكي لك ظلم المماليك علي رأسهم هذان المملوكان . لم يمر يوم

إلا وأرسلوا رجالهم يسرقون بيتا او حانوتا . و في المقابل , نسوا تأمين الناس , فالبلد تعج بالعصابات , و لا تكاد قافلة حج أو أي قافلة تخرج من مكان إلي مكان إلا و نهبتها العصابات . و أصبح لا يتكلم معهم أحد من الناس إلا وطلبوا رشوة بأي شكل من الأشكال ...

فقاطعه حسن باشا : كفي كفي , فإن أخبار فساد المماليك عندكم بلغت شرق وغرب العالم .

فقام الشيخ السادات وضحك لتلطيف الموقف وقال : هيا يا جماعة الطعام اصبح جاهزا . هيا هيا تفضلوا .

سليمان الجوسقي و بجانبه الحاج محمد المغربي جالسين في الجامع الازهر وسط جماهير كثيرون بعد صلاة الجمعة مباشرة فقام احد المشايخ و نادي في الناس : ايها الناس لا تغادرو الجامع , فنحن سنتلو فرمان حسن باشا القبطان الخاص بالمماليك .

فإلتفت سليمان للحاج محمد و قال : فرمان ؟

الحاج محمد : نعم , فقد ذهب مشايخ الازهر الصغار مثل الشيخ عبدالله الشرقاوي و الشيخ السادات و خليل البكري و سليمان الفيومي و مصطفي الصاوي ..

فقاطعه سليمان : أليس الشيخ الشرقاوي هذا نسيبك ؟

الحاج محمد : نعم .

سليمان : و الشيخ السادات صاحب المراكب الكثيرة ؟

الحاج محمد : نعم .

سليمان : ولماذا يعمل هذا الرجل في الازهر و هو بهذا الغني ؟

الحاج محمد : هذه المراكب و الاموال التي عنده هي ميراثه من أهله . لكنه أيضا هو عالم في الدين و من السادات البكرية أحفاد أبو بكر الصديق الاشراف.

سليمان : حسنا , و أين ذهب هؤلاء المشايخ ؟

الحاج محمد : ذهبوا إلي حسن باشا القبطان و اشتكوا منه بلاوي المماليك وشنعوا صورتهم أمامه .

سليمان : الله اكبر , فعلا انهم أبطال .

الحاج محمد : و منذ مقابلتهم معه هكذا , أصدر فرمانا بخصوص المماليك وها هم سيذيعونه الان .

فصعد الشيخ عبدالله الشرقاوي و أمسك بورقه و قال بصوت عالي :

فرمان حسن باشا القبطان

صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول و التشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم و الدستور المكرم عالي الهمم و ناصر المظلوم علي من ظلم مولانا العزيز غازي حسن باشا صاري عسكر (القائد العام)

نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان نصره الله ما هو واقع بالقطر المصري من الجور و الظلم للفقراء و كافة الناس . و سبب هذا هم خائنو الدين إبراهيم بك و مراد بك و أتباعهما . فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا الشلطان أيده الله بعساكر منصورة بحرا و برا لدفع الظلم و الانتقام من المذكورين . وقد وصلنا لثغر الاسكندرية ثم إلي ثغر رشيد في السادس عشر من رمضان الماضي . و قد كتبنا هذا الفرمان لتعودوا الي أوطانكم مجبورين و مسرورين إنشاء الله تعالي . فإعملوا بهذا الفرمان حين وصوله إليكم و الحذر ثم الحذر من المخالفة بعد أن عرفناكم .

فقام الناس و إنفضوا . و قام سليمان و الحاج محمد معه و أخذوا نعالهم وإتجهوا إلي باب الجامع ليخرجوا .

الحاج محمد لسليمان : أين ستذهب الأن .

فإبتسم سليمان و قال : سأتي معك حانوتك لأجلس معك قليلا .

فضحك الحاج محمد و قال : ها ها ها ايها الخبيث . لن تراها عندنا في الشارع مرة أخري .

فصدم سليمان و قال : ولماذا ؟

الحاج محمد : حسن باشا القبطان أصدر قرارات كثيرة تنظم حركة النساء في البلد , مثلا , منع النساء من الوقوف او التنزه أو حتي المشي في الاسواق بما فيهم التاجرات , و منع النساء من أرتداء اي ملابس تظهر أجسامهن أو شعورهن , ومنع زفاف طهور الاطفال , ومنع الاحتفال بشم النسيم ..

سليمان : ومن يقف فيي حوانيت التاجرات ؟

الحاج محمد : اقاربهن , ازواجهن , أبنائهن , وإذا لم يوجد أي من هؤلاء يوقفن صبيانهن .

سليمان : ومن في حانوت السيدة صفية ؟

الحاج محمد : أحد صبيانها

سليمان : ولكن أغلب هؤلاء الصبيان لصوص أصلا .

الحاج محمد : صدقت , ولكن ما باليد حيلة .

سليمان يترك الحاج محمد غاضبا ويهم بالذهاب .

الحاج محمد : إلي أين ستذهب أيها المجنون ؟

سليمان : إلي حانوت أمونة .

وبعد دقائق من إبتعاد سليمان عن الحاج محمد , رأوا الناس بدأوا في الإضطراب وسُمع بعض النساء يصرخن , و بدأ سليمان يستعجب مما يحدث

, فنظر للحاج محمد وجده متسمر في مكانه ينظر بذهول إلي السماء , فنظر سليمان أمامه للسماء فوجد سحب كثيفة من الأدخنة السوداء تتصاعد من حي البندقانيين . وفجأة وجد مجموعه من الخيول تمر أمامه و جمع غفير من الناس خلفهم ,

فأمسك سليمان أحدهم وقال له : ماذا يحدث؟

الرجل : حدث إنفجار بارود في مخزن أحمد ميلاد . و الإنفجار إنتقل لحوانيت البارود المحيطة به فإنفجر حي البندقانيين كله . و ليس هذا فقط بل النيران إنتقلت من هذا الحي إلي البيوت و الحوانيت في الأحياء الاخري

و ذهب الرجل . و فجأه مر الحاج محمد من جانب سليمان كالسهم يركض كالشاب الصغير , فركض خلفه سليمان . و ظلا يركضان هكذا إلي أن وصلا إلي سوق باب الشعرية , في الشارع الذي فيه حانوت الحاج محمد و حانوت أمونة .فوصلا و وجدا النيران تأكل حوانيت الشارع . فركض الحاج محمد إلي حانوته لينضم إلي صبيانه الذين يرمون الرمال علي النيران .

أما سليمان فتسمر مكانه و علي وجهه الصاعقة . إذ رأي أمونة تصرخ ولا تتمالك نفسها حتي لا تقدر علي المشي , و الشيخ صادومة يحملها من تحت ذراعيها من ظهرها و يجرها بعيدا عن النار و يحاول الخروج بها من الشارع والسيدة هوي تحاول مساعدته لتهدئة أمونة و إخراجها من المكان . فظلا يسحباها إلي ان مرا بجانب سليمان و الذهول علي وجهه . فجاء نحوهم أحد صبيان السيدة صفية و أمونة .

الصبي : شيخ صادومة إني لم أستطع أن أحضر الأموال من الداخل .

السيدة هوي : حسنا حسنا , ليس مهما , المهم أنه لم يتأذي أحدا .

<u>ليلا ,</u> سليمان في الشواشني وكر العميان يجلس في البيت الخشبي مع الشيخ الشبراوي شيخ العميان العجوز

الشيخ الشبراوي لسليمان : الشيخ صادومة هذا من الصعيد . و سمعت أنه كان ماهرا في أمور الطب والعطارة . و لكن المماليك سرقوا كل ما يملك

ودمروا تجارته تماما . و جاء القاهرة لكي يحاول العمل في العطارة مرة أخري . و في أحد الليالي و هو في أحدي المقاهي تعرف علي السيدة هوي بعد مرض ألم بها و إستطاع أن يعطيها علاجا شفاها . و بعد أن اعجبت بخبرته في العلاج , أعطته مالا كثيرا ليستأجر بيتا ويشتري هذه المواد العلاجيه ويدعي أنه ولي من أولياء الله الصالحين متصل بأرواح الصالحين من الأنس والجن و أنه يعالج المرضي و يفك أعمال السحر و يرجع الزوج لزوجته ويفرق بين المرء و أهله ويهزم الاعداء و كل هذه الأمور.

سليمان مستعجبا : و كيف ذاع صيته بهذا الشكل ؟

الشيخ الشبراوي : مقهي السيدة هوي كان ياتيه كبراء القوم من الرجال والنساء . وهي التي كانت تقوم بالدعايا له .

سليمان : ولماذا قامت بدعمه كل هذا ؟

الشيخ : مقابل جزء من أرباحه .

سليمان : وهل هو صالح فعلا و متصل بالجن و الانس و ولي من اولياء الله..

فقاطعه الشيخ : بالتأكيد لا , فما من أحد لا يعلم أنه يعشق النساء و البعض يقول أنه يعاشر بعضهن .

فإستشاط سليمان غضبا و خرج من البيت و وقف بجانب العميان يستنشق الهواء تهدئةً لنفسه .

فقال أحمد قائد العميان السابق : سليمان , لماذا أنت غاضب ؟

سليمان : ماذا يفعل الشيخ صادومة عند أمونة ؟

احمد : أنت تعلم أن أمها شُلت , ولابد أنه يذهب عندهم ليحاول علاجها .

سليمان : وما الذي جاء به عند الحانوت وهو يحترق ؟

obeikandl.com

احمد : الكل يعلم ان الشيخ صادومة يذهب لبيت السيدة صفية كل يوم بعد الظهر ليحاول علاجها . و من المؤكد أنه كان موجودا عندهم قبل الحريق . وخرج معهم عندما خرجوا للحريق .

فأمسك سليمان بملابس احمد غاضبا : و لماذا لم تخبروني أن الشيخ قاذوره يذهب عندهم يوميا بعد الظهر؟

احمد : سليمان أنت لا تسمح لأحد أن يتكلم معك في هذا الموضوع .

فتركه سليمان و هدأ قليلا و تراجع و جلس علي مصطبه و قال لصاحبه : حسنا يا أحمد , إجمع عندي العميان بسرعة

فصرخ أحمد : أيها العمياااااااااان , إجتمعوا عندي بسرعه

فإجتمعوا عنده بجانب أحمد , و قال سليمان : اسمعوني جيدا , سأقول لكم الأن ما سنفعله حتي نتخلص من الشيخ قاذوره هذا نهائيا .

أحمد متحمسا : قل ايها الداهية .

سليمان : إبحثوا لي عن سيدة من زوجات المماليك أو الوجهاء اصحاب القوة و النفوذ . هناك شرطين أساسين لابد أن يتوافرن فيها , الاول , أن تكون ممن لا يستطيع أي رجل مقاومة إغرائهن , شديدة الجمال و الاغراء . الثاني , أن تكون ساذجة و متمسكة بزوجها إلي درجة كبيرة , و تريد فعل أي شئ ليظل زوجها متمسكا بها . فإذا وجدتموها , إبحثوا لي عن إحدي جواريها , و أتوني بهذة الجارية ...

<u>في نهايات العام ,</u> أحد الجنود العثمانين راكب علي فرس و خلفه ٣ من الفرسان و بيده ورقة يقرأها في الساحة أمام الجامع الحسين بالقرب من جامع الازهر و أمامه جمع كبير من الناس و علي اليمين و اليسار يعالج الناس أثار الحريق و الأخشاب المتفحمة

obeikandl.com

الجندي بصوت عالي :

فرمان من حسن باشا القبطان

صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول و التشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم و الدستور المكرم عالي الهمم و ناصر المظلوم علي من ظلم مولانا العزيز غازي حسن باشا صاري عسكر (القائد العام)

أهالي مصر , ننبأكم بأننا سنغادر القطر المصري , ليس برغبة منا , و إنما للجهاد في سبيل الله لردع كلاب المسقو(الروس) الذين تجرأوا و أغاروا علي بلاد السلطان في القرم . و ننبأكم بأننا قبلنا الأموال التي جمعها لنا إبراهيم بك و مراد بك , و اصدرنا عنهم العفو من القتل بشرط أن لا يدخلوا القاهرة و لكن يظلم إبراهيم بك مقيما في قنا و مراد بك مقيما في إسنا . و سيتولي بعدنا أمور البلاد إسماعيل بك الذي سيكون مسؤولا عن جمع أموال السلطان العثماني في الأستانه .و ستتمثل هذة الأموال في البنود الاتية :

١. مال المظالم
٢. مال التحرير
٣. مال المضاف
٤. البراني
٥. عوايد الكشوفية
٦. الفرد المتعددة
٧. مال الجهات و غيرهم

فضرب بعض الناس علي رؤسهم و نظر البعض الاخر للأرض محبطا والبعض بدأوا الهمهمه و الغضب . ثم أكمل الجندي قائلا : من أراد الإستفسار عن هذه البنود أو طرق دفع هذه الجبايات أو أي شئ من ذلك ينتظر المحصلين الذين سيمرون عليه و يسألهم .

فقال أحد التجار للجندي : ألم يأتي حسن باشا القبطان دفعا للظلم و المماليك الظلمة , ثم يأتي و يفرض جبايات أكثر من المماليك , هذا غير الزكاة والخراج. مال هذه البلاد لا ينتهي منها الظلم أبدا؟ ظالم يسلم ظالم و فسدة يسلمون فسده؟

فلم يرد الجندي علي التاجر و ذهب هو و رجاله .

بعد إسبوعين , حشد كبير من جموع غفيره من التجار متجمهرون في الجامع الأزهر بعد أن اغلقوا حوانيت أغلب الأسواق و أوقفوا البيع و الشراء في أسواق البن و البهار . و صعد كبير تجار البن علي المنبر

كبير التجار : منذ إسبوعين أصدر حسن باشا الخنزير فرمان بأشكال و ألوان الجبايات , هذا غير الزكاة و الخراج , و سكتنا . و لم يكن أمامنا غير أن نرفع الأسعار تعويضا لهذة الجبايات المأخوذه منا . و لكن الجديد , أنه بالأمس وجدنا مندوبين من هذا الخنزير الجديد إسماعيل بك يطلب قروضا منا , و كأننا في بيوتنا جبال الذهب و الفضة حتي يمكننا أن نعطيه قروضا . لعن الله إسماعيل بك و حسن باشا و المماليك و كل من كرس كل تفكيره و طاقته وطاقة كلابه و جنوده لهضم حقوقنا و إغتصاب كرامتنا .

فصرخ التجار : الله اكبر الله اكبر

في هذة الاثناء ظهر من بعيد الشيخ العروسي مقبل علي الجامع , فجري التجار نحو الباب و هموا بغلق الباب في وجه الشيخ

فصاح الشيخ العروسي عليهم و قال : لا تغلقوا الابواب و إلا نزل غضب الله عليكم .

فإستشاط التجار غضبا من كلمته و هجموا عليه و هم يسبونه . فهرب هو والمشايخ للوراء أمام التجار الغاضبين و دخلوا أحد الشوارع الجانبيه , ففتح بعض السكان بيوتهم ليخفوا فيها المشايخ .

بعد ساعة , خرج الشيخ العروسي بكل فخر و تباهي علي فرس مزين بأحلي الزينات و خلفه المشايخ محاطين بجمع غفير من سكان الشوارع الجانبية

يحملون النبابيت و العصي يدفعون كل من يقترب من الشيخ العروسي والمشايخ معه و خرجوا إلي الساحه الكبيرة بين الجامع الازهر والجامع الحسين و مروا أمام التجار فخرج التجار ليهجموا علي الموكب و خرجت أعداد كثيرة من العامة ليهجموا علي الموكب . فبدأ أفراد موكب الشيخ يصدون عنه . فوقف التجار و العامة علي جانبي الموكب يسبون الشيخ العروسي وموكبه إلي أن خرج من هذا المكان .

فتوقف الشيخ العروسي عند جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة بعيدا عن تجمهر التجار و نزل فيه وجلس علي كرسي المقرئ بجانب المحراب ووقف المشايخ أمامه و هو يغلي من الغضب .

فنظر للشيخ محمد الامير و قال : ماذا نفعل يا محمد ؟

الشيخ محمد الامير : بدايةً , لابد أن تأخذ صف التجار , فهم أشد خطرا عليك من خطر إسماعيل بك . حتي و إن كان إسماعيل بك ذو قوة و بطش , و لكن في النهاية هو يحتاج إليك , أما التجار , فهم ينظرون إليك إذا كنت في صفهم أم في صف عدوهم , فإذا شعروا بأنك في صف عدوهم , عصفوا بك لأنهم لا يحتاجون إليك . فإن إسماعيل بك يحتاجك ففي توطيد سلطانه , لكن التجار لا يحتاجونك في زيادة بيعهم .. مثلا .

الشيخ العروسي : والحل ؟

الشيخ محمد : أرسل لإسماعيل بك مطالبهم و أنصحه بتلبيتها .

العروسي : ها ها ها ... حتي أسمع منه ما سمعته من حسن باشا عندما تشفعت في أولاد و زوجات ابراهيم بك و المعلم الجوهري .

الشيخ محمد : إسمع منه كلمتين تتظاهر بها أمام التجار أنك في صفهم , أفضل من أن لا تسمع منه شئ و يتهمك التجار أنك تابع إسماعيل بك .

العروسي و علي وجهه الاستياء : لا . كل ما سأفعله سأرسل له .. السلام عليكم إسماعيل بك , التجار يرفضون إقتراضك منهم و حدث منهم كذا و كذا , والسلام . وإنتهينا .

فسكت الشيخ محمد الامير .

بعد نصف ساعة , سُمع صوت خيول خارج جامع المؤيد ففزع الشيخ العروسي و قال : لماذا هذة الخيول ؟ لقد أرسلت تقريرا بما حدث و لم أظهر ولاء للتجار , فماذا حدث ؟

فدخل الجامع جماعة خليط من جنود عثمانين و جنود مماليك قدامي و يرأسهم رجل عملاق يلبس اللباس المملوكي و بجانبه سليم الأغا فوصلوا إلي مقدمة الجامع فتنحي المشايخ جانبا و الشيخ العروسي واقف أمام كرسي المقرئ بجانب المحراب يرتعد من الخوف و سقط علي الكرسي خلفه و ألصق ظهره علي ظهر الكرسي و يداه ممسكتان بأيدي الكرسي يدفع نفسه للخلف , و قال : إسماعيل بك !!

فإقترب الرجل العملاق إسماعيل بك من الشيخ العروسي و قال : كان الخنزيرين إبراهيم بك و مراد بك وكلابهم يسرقون هؤلاء التجار ليل نهار كل يوم و لم يثوروا هكذا . و جاء حسن باشا و اشبعهم غرامات , و لم يفتحوا أفواهم . و هذا بالطبع ليس من طيبة قلوبهم , إنما لأنهم كانوا يرفعون أسعار السلع أكثر من قيمة الأموال المفروضه عليهم . لو أنا مكانهم سأكون سعيدا بكل جباية تفرض علي لأنها ستكون حجة لي أمام الزبائن لرفع السلعة بما يزيد مكسبي أكثر. أما و ان هذا لم يحدث , و أول مره في هذة البلاد نسمع صوت هؤلاء التجار , فبالتأكيد هناك شخصا أو جهة معينة وراء كل هذا .

الشيخ العروسي : و بالتأكيد أنا لست هذا الشخص أو الجهة التي فعلت هذا .

إسماعيل بك : سأفترض هذا . و لكن حدث هذا بسبب إهمالك و غفلتك عن تلك الجهات التي تثير التجار . هذا بالإضافة إلي ضعف تأثيرك , أنت ورجالك علي الناس . و اليوم يثور التجار , غدا نجد أصحاب الحرف ثائرين , بعد غد نجد الشعب كله ثائر .

فتضرع المشايخ لإسماعيل بك بصوت جماعي : سامحنا سيدنا إسماعيل , نحن لم نقصد إثارتهم , نحن لا نريد إلا خيرا ...

فقاطعهم سليم الأغا : سيدي إسماعيل , من تجاربي السابقة مع هذة المظاهرات , فإن الناس يخرجون هذة المظاهرات خائفين اصلا , و يترصدون أي فرصة لإنهاء هذة المظاهرات و التصالح معنا , حتي لو بمجرد بعض الإصلاحات البسيطة . فأنا أنصح أن تصدر قرارا بإلغاء الإقتراض من هؤلاء التجار لينفضوا الأن . و خلال الأسابيع القادمة , راقب السوق , و أنظر في التجار سريعي البيع مثل الصاغة و البن و البهار , و أرفع من قيمة كل بند من بنود الجبايات المفروض عليهم سابقا , بحيث يكون مجموع قيم الزيادات تعادل قيمة القروض التي كنت تريدها و أكثر , ثم إنتقل إلي التجار متوسطي البيع ثم بطيئي البيع و هكذا .

فإبتسم إسماعيل بك و تهلل وجهه و قال : لهذا أبقي عليك حسن باشا القبطان و لم يغضب عليك من وسط كل المماليك الخنازير الباقين . إنطلق و أفعل كل ما تراه مناسبا.

ثم نظر إسماعيل بك للشيخ العروسي : أنظر و تعلم كيف يكون العامل كفئً , فقط عندما يكون مخلصاً لجهة عمله .

<u>في الجامع الأزهر ,</u> يدخل أحد المتظاهرين بورقه تسلمها من أحد جنود سليم الأغا, و نظر فيها و قرأها سريعا ثم صرخ : لقد ألغيت القرووووووض .

فضج الجامع بالتهليل و التكبير : الله اكبر و لا إله إلا الله .

<u>من أمام بيت شيخ العميان</u> , سليمان يجلس علي المصطبة و تقف أمامه سيدة طويلة و عريضة و شعرها طويل بدون حجاب وجهها عريض مملوء بالزينة , تلبس ثيابا قيمة . و خلفها أحمد وبعض رجال العميان

يقوم سليمان و يخرج من جيبه كيس من المال و يقول : أتعلمين كم في هذا الكيس ؟ .... ألف قطعة ذهبية . ستأخذي هذا الان , و ستأخذي مثله بعد أن تنفذي ما سأطلبه منك .

السيدة بحاجب مرفوع : و ماذا تريد ؟

سليمان يقف أمام السيدة : أعلموني أن زوجة يوسف بك تسمع منك أكثر من أي أحد أخر , و قالوا لي أنها تقريبا خاتما في إصبعك كونك كبيرة خدمها و خدم أمها و انت التي اشرفتي علي تربيتها .

السيدة : حسنا ؟!

سليمان : كل ما أريده منك هو أن تجعليها تشك في حب زوجها لها , وتنصحيها بأن تذهب للشيخ صادومة ليعمل لها عمل مربوط بوشم يرسمه علي فخذها لتحافظ علي زوجها . و فقط .

فأمسكت السيدة ملابس سليمان و شدته منها و قالت : أنت تريد قتلها وقتل صادومة .

سليمان : ليس مشكلة عندي أن تُقتل هي او لا , المهم عندي أن يقتل صادومة.

فدفعته بعيدا عنها و همت بالذهاب و قالت : إذا فإذهب و إقتله أنت .

سليمان : أمامك إختيارين , إما أن تأخذي ما عرضته عليكي , وإما أن تذهبي إلي بيتك و تقرأي الفاتحة علي أولادك .

فنظرت له مفزوعه و قالت : أيها الخسيس .

سليمان : صدقيني لست خسيسا , أنا لا أطلب منك الكثير , كل المطلوب هو بعض ثرثرة النساء ليلا تقنعيها فيها بخطر هروب زوجها منها والحل هو عمل مربوط بوشم معمول بيد صادومة

السيدة : ومن قال لك أنها ستصدقني ؟

سليمان : عندما تتذكرين أولادك , ستقنعيها .

السيدة : لماذا أخترتني أنا ؟ لماذا لم تختر زوجة أخري من زوجات المماليك.

سليمان : لانك غبية , كم عذبوك هؤلاء ؟ يعيشون في نعيم يكفيهم و يكفي الجيل العاشر من احفادهم , وانت و أولادك تعيشون في وسط الطين و المقابر

, و مع ذلك لم تفكري في يوم أن تبتعدي عنهم أو تسرقي شيئا مما يتنعمون فيه من أجلك و أجل اولادك .... غبية .

في بيت الشيخ صادومة , أمونة تجلس أمام مبخرة الشيخ صادومة الكبيرة والشيخ صادومة يتمشي في المكان يرتب بعض أغراضه

الشيخ صادومة : أعلم يا أمونة أنك قررتي العمل معي بعد إحتراق حانوت أمك و ضيق الحال الذي ألم بكم . ولكن لابد أن تعلمي أنك إذا صببتي كل تركيزك في هذا العمل علي جمع المال فقط . ستؤول بك الأمور إلي قص رقبتك و لن تكسبي من المال ما تبغينه . لكن إذا صببتي كل تركيزك علي غسل أدمغة الناس , ستصنعين المجد لنفسك و سيسير الناس خلفك كالمسحورين . و حتي إذا أخطأتي معهم في بعض الأحيان سيتجاهلون خطأك و ستكون عندك فرصة لإصلاح أخطائك دائما .

ثم نظر لها و قال : هيا إسأليني كيف أغسل دماغ الناس ؟

أمونة و هي مرتبكة : كيف يا شيخ ؟

الشيخ صادومة : أصنعي شيئا حقيقيا صغيرا , و إبني فوقه أبراجا من الأوهام. فمثلا , المرضي , كلما جائك مريض , قدمي له الأعشاب و كل ما تعرفينه عن الادوية و العلاجات , فإذا شُفي المريض , أقنيعه بأنك إتصلتي بالجن في الشرق و الغرب و إتصلتي بالأولياء و تضرعتي إليهم و قدمتي لهم القرابين فرضوا عنك و رضوا عن المريض الذي طلب وساطتك بينه و بينهم, و طلبوا من الله شفائه , فشفي الله المريض. مثلا , إذا جائك إمرأة تشتكي لك بعد زوجها عنها , إستأجري بعض النساء و الرجال اصحاب الشخصيات الودوده و عندهم قدرات تواصل مع الناس عالية و أرسليهم للزوج لينشأوا معه صداقات سريعة و تجعلي النساء يظهرن عيوبهن و يبرزن مميزات زوجته و الرجال يشتكون من أزواجهم و يظهرون زوجته أفضل من زوجاتهم. فإذا عاد و صالحها قولي لها أنك سوقتي عليه الأسياد و كذا و كذا إلي أن تتصور المرأة التي اشتكت لكي هجر زوجها أنك المحبوبة الأولي و الأخيرة للأسياد .

أمونة و علامات الصدمة علي وجهها : يا شيخ , إن هذا هو الإحتيال و الكذب بعينه .

فضحك صادومة و قال : كنت أقول مثل قولك هذا و انا عطار في الصعيد . كنت ملتزما بالحلال و الحرام لأن عملي كان رائعا و يدر علي دخلا ممتازا . و فجأة , إغتصب المماليك كل ما أملك و جعت و تشردت في الشوارع . ولا يمكن أعتبار ما حدث لك و لأمك بعيدا عما حدث لي . بعد هذا , نسيت الحلال و الحرام و ما يصح و ما لا يصح , ليس لانني أعشق هذا الوضع الفاسد , و لكن استماتةً مني للبقاء علي قيد الحياة

أمونة : حسنا , و ها أنت أصبحت علي قيد الحياة و جمعت من الثرروات ما لا يعد و لا يحصي . إرجع إذا للحلال و الحرام و ما يصح و ما لا يصح .

فنظر لها صادومة متأملا و ابتسامه خفيفه علي وجهه : صعب . بعد كسر حدود الحلال و الحرام , من الصعب بل من المستحيل العوده للإلتزام بها .

فإبتسمت أمونة : لا , بالمعني الأصح , أنك أحببت الحرام , وجدت طعمه لذيذ.

فهز صادومة رأسه و قال : صحيح , لا يمكن إنكار هذا , ولكن إفعليها أنت إن إستطعتي . ذوقي الحرام , و عودي و قولي إني سأتوقف عنه .

فنظرت أمونة له في تحدي : حسنا , سأريك .

فطُرق الباب , فقال الشيخ صادومة : أدخل .

فدخل أحد مساعدي صادومة و قال : سيدي , زوجة يوسف بك و كبيرة خدمها معها .

فقال له : أدخلهما .

فنظر لأمونة و أشار للباب و قال : أنظري , هذة أول حالة عملية ترينها . راقبي و تعلمي .

فدخلت كبيرة خدم زوجة يوسف بك و الزوجة نفسها سمينة الجسم متوسطة الطول , ذو شعر ناعم أسود طويل و عيون يملأهما الكحل و وجهه مستدير مملوء بالتجميل و فستان مفتوح من الرقبة و شفاف الكتفين و شفاف من تحت الركبة و الإغراء يكاد يثير النساء قبل الرجال . والشيخ صادومة ينظر للأرض مغمض عينيه و يسبح بالمسبحه و أدخنة البخور تتصاعد من المبخرة أمامه .

فقبل أن ينطق أحد قال : اجلسا بارك الله فيكما .

فجلسا بجانب أمونة . و قالت كبيرة الخدم : شيخ صادومة , جئناك نشتكي هجر يوسف بك لبنتنا هذه . وانت و الاسياد أدري بما تحيكه النساء الخبيثات للإيقاع برجل ذو مال و سلطان مثل يوسف بك . فنصحتنا أحدي زوجات المماليك من أصدقاء يوسف بك بأن نأتيك و تعمل لنا عملا مربوط بوشم في فخذ إبنتنا حتي يسقط يوسف بك في حبها و يُربط بها و لا يذهب لغيرها .

فرفع الشيخ صادومة رأسه و قال : يبدو أنك لست كبيرة خدم فقط . يبدو أنك موصولة بالأسياد و تعرفين مرادهم و تعرفين حبهم للأعمال المربوطة بهذه الاوشام .

فإبتسمت زوجة يوسف بك و كبيرة خدمها و ذهلت أمونة

فقال الشيخ صادومة : لو سمحتم دعوا السيدة زوجة يوسف بك وحدها وأخرجا .

فأمسكت زوجة يوسف بك بخادمتها و قالت : لا , لا تتحركي من هنا .

فأصدر الشيخ أصواتا مرعبة يرمز بها للإعتراض . فقامت أمونة و قامت الخادمة و طبطبت علي ظهر زوجة يوسف بك طمأنةً لها و خرجت مع أمونة.

فخرجت الخادمة مع أمونة و جلست كل واحده في جهة من صالة الإستقبال .

كبيرة الخدم : سيدتي , هل فعلا أعمال هذا الشيخ لها أثرها كما يدعي الناس ؟ هل جربتي عملا منن أعماله ؟ أم أن هذه أول مرة تأتيه فيها ؟

أمونة مستغربة : و كيف جئتي إلي هنا و أنت غير واثقة بالنتيجة ؟

كبيرة الخدم بعد تنهيدة : أنه النصيب .

أمونة : أي نصيب ؟

كبيرة الخدم : لا يهم لا يهم .

فسكتا بضع دقائق . ثم إبتسمت كبيرة الخدم و قالت : لم أتعرف علي حضرتك يا سيدتي ؟!

أمونة : أنا أمونة التركية بنت تاجرة القطن و الكتان صفية التركية .

فصعقت كبيرة الخدم : صاحبة سليمان الجوسقي .

فركلت أمونة طاولة صغيرة أمامها بقدمها و هجمت علي كبيرة الخدم و أمسكتها من ملابسها بكل غضب وقالت لها بصوت منخفض : يبدو أنك لا تعرفين ألاعيب شيوخ الدجل مثل صادومة هذا و مع ذلك جئتي بسيدتك وتظاهرتي بأنك خبيرة بهذة الاعمال لتورطيها في هذا العمل و هذا الوشم . و الان عندما سمعتي إسمي فزعتي وذكرتي سليمان الجوسقي , ما قصتك يا إمرأة؟

فنظرت كبيرة الخدم في خبث : تريدين أن أصدق أنك لست هنا لتراقبيني ؟ بالتأكيد لن أصدق أنك لست جاسوسة لسليمان .

أمونة : أقسم بأني سأوصل قصتك هذه ليوسف بك إن لم تنطقي , و أنت أعلم بأن المماليك كلهم كانوا أحباب أمي و لن يكذبوا قولا سأقوله لهم أبدا .

فأمسكت الخادمة يد أمونة و قبلتها و قالت : أرجوك يا سيدتي , لا تفعلي هذا و إلا قتلني و شرد أولادي.

تركت أمونة الخادمة و قالت : حسنا , قولي لي ما حدث تفصيلا .

obeikandl.com

الخادمة : لا شئ سيدتي , كل ما حدث هو أن سليمان طلب مني أن أتي لصادومة بزوجة يوسف بك و أختلق تلك القصه التي سمعتيها مني بالداخل . ولكني رفضت في البداية . و لكنه هددني بقتل أولادي إن لم أفعل .

أمونة مستعجبةً : و ماذا سيستفيد سليمان ما هذا ؟

الخادمة : هو يعلم أن يوسف بك سينفجر غضبا و يقتل الشيخ صادومة .

فهمت أمونة للدخول علي الشيخ صادومة , فقفزت الخادمة علي رجل أمونة تقبلها و هي تبكي : أقسم لك أنه سيقتل أطفالي . أرجوكي يا سيدتي , تصرفي بأي شكل أخر ألا ان توقفي رسم هذا الوشم , و الا سيقتل سليمان أولادي .

فخرجت أمونة من بيت الشيخ صادومة و ركبت فرسها و إنطلقت .

أمام بيت شيخ العميان في الشواشنى , أمونة تدخل بفرسها وسط جمع من العميان و تقف أمام المصطبة التي يستلقي عليها سليمان . فقام العميان و شهروا أسلحتهم فصرخ سليمان : انزلوا أسلحتكم . عندما أمر برفع السلاح فإرفعوه . إجلسوا و إلتفتوا لأشغالكم .

نزلت أمونة من علي الفرس و قالت لسليمان : لم أتصور أن يصل بك الجنون و الغيرة أن تقتل الشيخ صادومة من أجل خرافات في رأسك .

إعتدل سليمان في جلسته و قال في منتهي الهدوء : و من قال لكي أني أريد قتله من أجل الغيرة. بالله عليك , لم أصاب بالغيرة من شباب المماليك الذين كانوا يأتون حانوت أمك , و أصاب بالغيرة من ذلك الأبله ؟

أمونة ترفع يديها إستعجابا : إذا لماذا تريد قتله ؟

سليمان : لأنه سافل , و سيأذيكي كما أذي غيرك .

أمونة : و من أنت لتقرر من يؤذيني و من ينفعني , أنت زعيم عصابة لاعلاقة لك بي .

سليمان : حسنا .

والقي بجسمه مرة أخري علي المصطبة .

فهمت أمونة بالذهاب , فصرخ سليمان و قال : ايها العميان , اقبضوا عليها وألقوها بالداخل .

فهجم العميان عليها و أمسكوا بها و هي تصرخ و أدخلوها في البيت الخشبي بجانب الشيخ الشبراوي و أغلقوا عليها الباب . فظلت تصرخ و تقرع الباب من الداخل , فصرخ فيها الشيخ الشبراوي من علي السرير خلفها و قال : كفى آآآآآآ ... **ففزعت أمونة و نظرت خلفها و قالت :** من أنت لعنكم الله .

بعد أيام أمونة جالسة علي الأرض ظهرها علي الحائط و رافعة ركبتيها و مربعة ذراعيها عليها و ملقية رأسها علي يديها . و فجأة فتح الباب أحد العميان و قال لها : هيا معي .
فنظرت له و عينيها محمرتان و جهها منهك من التعب , ثم قامت و خرجت فضربت أشعة الشمس عينيها , فأغمضتهما و رفعت يدها لتحجب الاشعة عنها , فوقف أمامها سليمان و قال بصوت عالي : أعد ما قولته لي قبل قليل يا أحمد .
فقال أحمد بصوت عالي : لقد قص يوسف بك رقبة الشيخ صادومة و زوجته .

فقال سليمان لأمونة : أعلم أنك الأن تكرهينني أكثر من أي وقت أخر . ولكن ما الفائدة إذا لم تكرهي , لا بل ما الفائدة إذا أحببتيني , لا شئ . أنت في النهاية تحت طوع أمك , و امك ترفضني لأني لست تاجرا أو أبن تاجر . ففي كل الاحوال لا اطمح في الزواج منك لا سابقا و لا لاحقا . و لكن في نفس الوقت , لن أسمح بإقتراب أحدا منك . و لو شعرت بأن كلب من الكلاب يحوم حولك , سيكون مصيره نفس مصير صادومة .

أمونة : إسمع , من الأن فصاعدا سأعتبرك عدوي , ولي ثأرين عندك , الأول أنك وضعت نفسك موضع الواصي علي و تدخلت في حياتي بسفالة و قلة أدب و قبضت علي و أهانتني . و الثاني أنك قطعت مصدر رزق لي و لأمي في العمل مع صادومة كان سينقذنا من الهلاك , و ستكون أنت السبب في كارثة ستستمر علي أنا و أمي بعد أن كانت قد إقتربت من الحل .

و مشت من أمام سليمان و ركبت فرسها و إنطلقت .

عام ١٧٨٨

بدايات العام , في بيت السيدة صفية , أمونة جالسة علي ركبتيها علي الارض و متكأه برأسها و ذراعيها علي سرير أمها تكاد تنفطر من البكاء و أمها تحاول الكلام و لا تسطيع , فجاءت كبيرة الخدم بثينة و طبطبت علي ظهر أمونة و الأم المشلولة تنظر لبثينة تستغيث بها بالنظرات , فقالت بثينة : يا إبنتي هوني علي نفسك , ستموتين من البكاء هداكي الله .

فدخلت الغرفة السيدة هوي و وقفت في منتهي الإستياء و قالت : كفي يا أمونة , البكاء لن يجدي نفعاً , تعالي أريدك بالخارج .

فخرجت السيدة هوي , و نزلت بثينة علي ركبتيها و إحتضنت أمونة و هدأتها و قالت : لا تبكي يا إبنتي , فإن السيدة هوي بالخارج تريدك من أجل أن تعملي معها .

ففزعت أمونة و نظرت لبثينة بإشمئزاز , فقالت بثينة بسرعة : لا يا ابنتي ليس الذي يدور في رأسك , أخرجي لها و إسمعي منها فقط , ربما كان عندها ما يفيدك .

فنظرت أمونة لأمها فوجدتها تهز يدها اليسار الغير مشلولة بصعوبة إشارة بالموافقة . فعادت و نظرت لبثينة , فطبطبت أمونة علي كتفها و ساعدتها في النهوض و قالت : هيا يا ابنتي .

فخرجت أمونة فوجدت السيدة هوي جالسه علي كنبة و كبيرة خدم زوجة يوسف بك واقفه بجانبها , فإندهشت أمونة و ظهر علي وجهها الغضب من رؤية كبيرة الخدم , و أرادت العودة لغرفة امها , فقالت السيدة هوي : لم يكن أمامها إلا إنقاذ أطفالها , و في المقابل كانت زوجة يوسف بك و أمها يسومنها العذاب و لا يحترمونها , فكان ما فعلته تحت ضغط تهديد أولادها و ضغط ظلم سادتها , فلا تظلمها أنت أيضا .

فإلتفتت أمونة للسيدة هوي و قالت : و ماذا بعد ؟

obeikandl.com

السيدة هوي : إن صادومة كان يعمل لحسابي , مولته أنا بالمال و الدعايا في الاسواق و المقاهي و بين نساء الامراء , مقابل نصف كل ما يتحصل عليه من أموال. و قبل ان يقتل كان قد دربك قليلا علي مهنته , فأرجو أن تكملي عمله , بنفس العقد الذي كان بيني و بينه , أعطيكي المال و الدعايا و تعطيني نصف ما تتحصلي عليه .

أمونة : و هل تظنين أن الناس سيقتربون من دار صادومة مرة أخري أو أي أحد من طرفه بعد ما حدث مع زوجة يوسف بك ؟ الناس سيتشائمون و يهربون .

السيدة هوي تشير لكبيرة خدم زوجة يوسف بك و تقول : و هذا هو دور هذه المرأة . سأعطيها كيسا من الذهب لتشيع بين خادمات زوجات المماليك أن الغلطة لم تكن غلطة صادومة . الغلطة كانت من زوجة يوسف بك التي أصرت أن يرسم لها الوشم علي فخذها , بينما صادومة كان يريد رسم الوشم علي كتفها . و هددته بأن تسلط عليه رجال زوجها ليقتلوه إن لم يفعل ما تأمره به .أما أنا سأشيع بين الناس في المقاهي و القصور أنك خليفة هذا الرجل الصالح الذي مات ظلما في سوء تفاهم بينه و بين يوسف بك .

أمونة في قمة الدهشة : أيها الملاعين , من أين جنس أنتم ؟

قامت السيدة هوي و همت بالرحيل : لا تندهشي كثيرا يا حبيبتي , فنحن في غابة يأكل القوي فينا الضعيف . و لكي تظلي علي قيد الحياة لابد أن تصبحي قوية ,و لكي تكوني قوية , لابد ان تعصري عقلك ليل نهار بالتفكير في التخطيط كيف تسطيعين الانتصار , و كيف تسطيعين المحافظه علي إنتصاراتك .

ثم نظرت هوي للخادمة و قالت : هيا .

ورحلتا .

<u>في سوق الخضراوات و اللحوم يقف أحمد قائد العميان السابق</u> , ينظر إلي اللحوم في الحوانيت ، و فجأة تظهر أمونة بجانبه و هي ملثمة

أمونة بصوت منخفض : هل تظن أن سليمان سيتركك تشتري ما تشتهيه من هذا اللحم و الخضار ؟

فتفاجئ أحمد و قال : من أنت ؟

قالت : أمونة .

أحمد : و ماذا تريدي مني ؟

أمونة : أريد أن أخلصك مما أنت فيه .

أحمد : إبتعدي عني الله يرضي عنك .

أمونة : أعلم أنك كنت قائد العميان قبل سليمان و كنت تنفذ أوامر الشيخ الشبراوي بالحرف الواحد , و لكنك بكل غباء جئته بسليمان , فظهر سليمان عليك و اصبحت أنت مجرد تابع له .

أحمد مستهزءاً: و ماذا بعد ؟

أمونة : أنت تعلم علاقة أمي بنساء المماليك , و تعلم أني أستطيع تعينك في رجال أحد المماليك و تصبح سلطان زمانك مثلهم , بدلا من كونك حرامي مع مجموعة من مخابيل العميان , و يقودكم سليمان الذي لا يهمه إلا نفسه ولا يقدر أحدا منكم .

أحمد محتاراً: في مقابل ماذا ؟

أمونة : في مقابل أن تثير مشكلة مع أحد عساكر إسماعيل بك . و فقط .

احمد مذعوراً : أمجنونة أنت ؟ ألا تعلمين ما سيفعله رجال إسماعيل بك بنا لو أثرنا مشكلة معهم

أمونة : أعلم بالتأكيد ما سيحدث ، و لكن أعلم ايضا أنك ذكي بما فيه الكفاية لتهرب و تترك رجال إسماعيل بك لسليمان و باقي العميان .

أحمد : و ما يضمن لي أنك ستفي بوعدك بعد هذا .

obeikandl.com

أمونةو هي تهم بالرحيل : إنتظر رسول سيبلغك بموعد مقابلة مع أحد المماليك. فإن جاءك الرسول , إفعل ما قولته لك , و إن لم يأتيك أي رسول , لا تفعل أي شئ .

و ذهبت أمونة .

فناداها أحمد و قال : و ماذا ستستفيدي من هذا ؟

قالت أمونة و هي تمشي : لا دخل لك .

من أمام بيت العميان في الشنواني , سليمان مستلقي علي المصطبه , واضع جزء من ردائه علي وجهه , و أحمد واقف عند فرسه ينظفه و العميان يتحركون يمينا و يسارا في اشغالهم .

و فجأة دخل احد العميان يركض و يصرخ : سليمان , سليمان , رجال إسماعيل بك ينهبون السوق في بولاق و يؤذون الماره من الرجال و النساء .

فنظر أحمد لسليمان و قال : إنها الفرصه الذهبية , فإن الناس ستحاول دفع هذا الاذي , فندخل و ننتظر التصادم بينهم و بين العسكر , و حينها ننهب ما يقف في طريقنا .

فصرخ سليمان : أيها العمياااااان هيا بناااااا.

فدخل العميان السوق مترجلين و متفرقين , فوجدوا تجار السوق و الاهالي يحتشدون إستعدادا لصد جنود إسماعيل بك الذين يمشون في السوق بعضهم مترجلين و بعضهم علي الخيول . و المترجلين يسرقون الاشياء و يضعونها في الحقائب علي الخيول و يضربون الرجال او النساء المارين في الشارع او الواقفين أمام البيوت و الحوانيت .

فمر أحمد بجانب أحد الجنود و هو يضرب أحد النساء الواقفه بجانب زوجها المضروب و الملقي علي الارض . فأمسك أحمد الجندي و ضربه من رجله فاسقطه أرضاً, فهجم العساكر علي أحمد , فصرخ سليمان و هو ينظر لهذا المنظر : أيها العمياااااان , أنقذوا احمد .

فهجم سليمان و معه العميان علي العساكر , فثار الناس و هجموا مع العميان علي العساكر , فأخرج التجار بنادقهم و أطلقوا النيران علي العساكر و شهر سليمان خنجره و ذبح قدم احد العساكر علي فرسه فصرخ العسكري و سقط من الفرس , فصعد سليمان علي الفرس بعد أن أخذ بندقيته و نادي بكل صوته : الله أكبر الله أكبر.

فتراجع عساكر إسماعيل بك قليلا و أخرجوا بنادقهم و أمطروا المتظاهرين الذين يتقدمهم سليمان بسيل من النيران . فسقط سليمان مجروحا من عيار ناري و سقط كثيرون خلفه , و بدأت الناس بالهروب .و هجم أحمد و بعض العميان ليحاولوا الامساك بسليمان و سحبه .

فصرخ أحمد : سليماااااان.

فإنتبه الجنود إلي العميان الراكضين باتجاه سليمان بينما باقي الناس يهربون , فركز الجنود نيرانهم علي العميان فإلتف العميان وإلتف أحمد و هربوا و تركوا سليمان لمصيره .

فأمسك الجنود بسليمان و ربطوه بالخيول و سحبوه .

<u>في السجن بعد أيام</u> , سليمان مقيد بالسلاسل من يديه و قدميه و جسده ووجه مليئ بالكدمات و الجروح من كثرة الضرب . فدخل عليه إسماعيل بك و سليم الأغا وخلفهم بعض الجنود فجلس إسماعيل بك علي كرسي أحضره أحد الجنود والباقون ظلوا واقفون .

فضحك إسماعيل بك ساخرا : سليماااان الجوسقي زعيم العميان المغفل .

ثم خفض صوته قليلا : كيف يا رجل تقع هذه الوقعه ؟

فقال سليمان بصعوبة شديدة من أثر الكدمات : لا يا إسماعيل بك , لم أقصد أبدا إيذاء رجالك , إنما أوقع أحدهم بي .

obeikandl.com

إسماعيل بك مبتسما : أعرف أعرف , فأنت رجلنا , و نقدر مجهوداتك الإستخبارية أنت و رجالك , فمعلوماتك التي تعطينا إيها عن الشعب مفيدة وأغلبها صحيح .

سليم الأغا مبتسما : بالمناسبة , الذي أوقع بك هكذا مساعدك في العميان , المدعو أحمد .

فصدم سليمان : أحمد ؟ كيف ؟ لقد كاد يضحي بنفسه لينقذني .

فضحك الجميع ساخرين و قال إسماعيل بك : مغفل ...

قال سليم الأغا : أولا , هو الذي أصطنع الشهامة و الغيرة علي السيدة المضروبة كي يشعل الصدام , و الدليل أنه لم تبرز فيه الشهامة في أي موقف قبل ذلك و لم يدافع عن أي أحد في عمره .

سليمان : بالفعل . لقد إندهشت من تصرفه , و ظننت أن الشهامة إستيقظت فيه و بالتالي قلت لنفسي لابد أن استنهض الشهامة بداخلي و أثبت أني أكثر شهامة منه.

سليم الأغا : نعم , كان يعلم مسبقا بإندفاعك , فإصطنع كل هذا حتي تتهور وتفعل ما فعلت . ثانيا : عندما صرخ و هو يركض نحوك , كان متعمد للفت نظر الجنود حتي يطلقوا عليه و تصبح حجة شرعية أمامك للهروب , و لو كان صادقاً لكان إنتظر حتي يذهب الجنود ثم جاء و أنقذك

سليمان : ربما إعتقد أنهم سيسحبوني لو إنتظر .

سليم الأغا : أنت كنت مصاب وسط المصابين , فلولا فعل أحمد , لما إستطاعوا تميزك من بين المصابين .

إسماعيل بك : وبهذا هو ورطك في هذا , و خلق لنفسه صورة بطولية يحمي نفسه بها أمامك في حالة خروجك من هنا .

سليمان : وما الذي سيستفيده بخيانتي ؟

سليم الأغا : إستفاد أنه إنضم لحرس محمد بك صاحب المدرسة المشهور . ولكن ما استغربناه أن محمد بك ليس بينك و بينه عداوه ليغري احمد بتعينه في حرسه مقابل خيانتك . فعندما تحرينا في الأمر وجدنا أن زوجة محمد بك هي التي نصحته بتعين هذا الرجل في حرسه , و عندما سألها لماذا تنصحي بهذا الرجل قالت أن الشيخة أمونة خليفة الشيخ صادومة ترجتها تعين هذا الرجل المسكين في الحرس .

فنزلت هذه الكلمات علي سليمان كالصاعقة ,

فقال إسماعيل بك : نحن نعلم يا سليمان أنك وراء الوقيعة بين الشيخ صادومة و يوسف بك بسبب غيرتك علي أمونة منه . و الأن أمونة ورطتك في صدام معنا إنتقاما منك . و العقل في هذة الحالة يقتضي أن نقتلك لأنك جاسوس بدأت رائحتك تفوح بسبب صراعات الحب و الغرام . و لكننا سنتركك حيا لسبب واحد , هو أنك تحولت بطلا عند الناس بسبب شجاعتك في الوقوف ضد جنودنا , و بالتالي سيحتضنك الناس أكثر و يخرجون لك أسرارهم أكثر , بما فيها أماكن سلاحهم و أموالهم . حينها تأتي لنا و تخبرنا بكل كبيرة وصغيرة تعرفها . و إن لم تفعل ...

ونظر لسليم الأغا و قال : سنقتلك .

ثم نظر لسليمان و طبطب علي خده و هو يبتسم ثم رحل هو و من معه .

<u>المولد النبوي</u> , يمر من أمام بيت الشيخ السادات في حي الحسين المضاء بالقناديل من كل مكان مواكب المحتفلين المستمرة علي مدار ١٥ يوما بعضهم يحمل القناديل , و بعضهم يحمل الطبول يدقون عليها وبعضهم يحمل الزمامير يزمرون بها. و فجأة تتوقف مواكب الأحتفال , و تتجمع الجماهير علي جانبي الطريق لفتح طريق أمام موكب إسماعيل بك و سليم الأغا و كبار مساعدينهم الذين يتقدمون بهدوء إلي أن وصلوا لباب بيت الشيخ السادات الذي خرج علي الباب و معه باقي المشايخ ليستقبلوا المماليك القادمون .

فقال الشيخ السادات : يا مائة أهلا و سهلا يا سادتنا و أمرائنا .

فنزل إسماعيل بك و سليم الأغا و من معهم من علي خيولهم وقال إسماعيل بك : يا أهلا بك يا شيخنا .

فقال الشيخ السادات : تفضلوا تفضلوا .

قال إسماعيل بك : إنتظر يا شيخ , إقرأ هذا علي الناس .

و أعطاه ورقة , فأمسكها الشيخ و قرأ بصوت عالي علي الناس :

فرمان من الباب العالي بالأستانة

من السلطان المعظم المنصور بإذن المولي تعالي عبد المجيد الأول رضي الله عنه و وفقه لما فيه صالح البلاد و العباد إلي جميع المسلمين تحت رعاية جلالته المعظم :

إن الموسقو(الروس) الكفار لعنهم الله غزو أجزاء كبيرة و مدن هامة من بلاد السلطان العثماني . و هؤلاء الكفار لا دين لهم و لا خلق و يرتكبون كل ما هو مشروع و غير مشروع في حرب جيوشنا . و لهذا تراجعت بعض جيوشنا أمامهم لجمع الكلمه و توحيد الصف للعودة لحربهم مرة أخري .

و لذلك نأمر كل المسلمين أن ينكفؤا علي قراءة البخاري لينصر الله جيوش المسلمين المقاتله . و علي والي كل قطر من الأقطار جمع ٣ مشايخ من كل المذاهب ليجتمعوا كل يوم و يقرأون البخاري في مقابل ١٥٠ قطعة فضية. وعلي الوالي أمر كل المشايخ الدعوة للسلطان و جيوش المسلمين علي المنابر بعد كل صلاة جمعة , و علي المآذن بعد كل أذان , في مقابل ١٥٠ قطعة فضية أيضا .

ثم نظر إسماعيل بك للشيخ السادات و قال : هيا تفضل يا شيخنا .

فدخلوا و جلسوا فقال الشيخ عبدالله الشرقاوي لإسماعيل بك : ما مشكلة هؤلاء الموسقو ؟

إسماعيل بك : تولت عليهم إمبراطورة تدعي كاثرين الثانيه ...

obeikandl.com

فذهل المشايخ و نظروا لبعضهم

إسماعيل بك : و هي إمرأة ذات تطلع لتوسيع إمبراطوريتها , فتحالفت مع النمساويين للتوسع في الاراضي العثمانية .

فقال الشيخ السادات : و لماذا لا تنتصر جيوش السلطان عليهم , وهي جيوش جرارة وقوية ؟

فقال أحد الحاضرين : لانه لا إيمان لهم .

فنظر المشايخ مفزوعين للقائل و قام إسماعيل بك و الغضب علي وجهه قائلا : من هذا الوقح ؟

فقال المشايخ للقائل : عمر , إحترم نفسك .

فقام الشيخ عمر مكرم و هم بالرحيل و قال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله

فهجم إسماعيل بك علي الشيخ عمر مكرم و أمسكه من ملابسه و قال : من أنت أيها الأبله ؟

فقام المشايخ يفصلون إسماعيل بك عن الشيخ عمر و قال الشيخ السادات : إعذرنا يا سيدي , فإنه من رجال الازهر المتعصبين قليلا , لكنه طيب القلب ورجل خير .

إسماعيل بك : رجل خير قليل الادب .

الشيخ السادات : إهدء إهدء يا سيدي ..

ثم نظرالشيخ السادات للشيخ عمر مكرم و قال : هيا أغرب وجهك من أمامه الان

فذهب الشيخ عمر مكرم و جلس إسماعيل بك و المشايخ يهدئونه . فتبع سليم الأغا عمر مكرم و أوقفه عند الباب و قال له : يا شيخ عمر .

obeikandl.com

فوقف الشيخ عمر مكرم و نظر لسليم و قال : نعم .

سليم الأغا : هل لي أن أجلس معك في أي وقت يناسبك ؟

الشيخ عمر مكرم : غدا بعد صلاة الفجر .

سليم الأغا : شكرا يا شيخنا .

ثم عاد سليم إلي المجلس فسمع إسماعيل بك يقول : الإنجليز يحاولون التحالف مع الخلافة , لكن الفرنسيون سبقوهم لإقامة العلاقات الوطيدة معنا . لكن سواء الإنجليز أو الفرنسيون لن يفيدونا عسكريا , فكلاهما يتطاحنان , وكل واحد فيهما له منطقة يستولي عليها , الإنجليز يسيطرون تقريبا علي أمريكا القارة البعيدة و الفرنسيون يسيطرون علي جنوب أوربا .

المشايخ مصدومين و فاتحون أفواهم من الذهول , فقال سليم الأغا : أحقا أنتم لا تعرفون شيئا عن هذه الأخبار ؟

فإستفاق المشايخ من الصدمة , فقال سليم الأغا للشيخ السادات : أنت معك مراكب تأتي من الأسكندرية و رشيد , و المفترض أنك متصل بتجار الانجليز و الفرنسيين الذين يأتون بلادنا , فهل من المعقول أن رجالك لا يسألونهم عن أخبار الدنيا , و هل من المعقول أنك لا تسأل رجالك أو علي الأقل تأمر رجالك بجمع الاخبار ؟

فسكت الشيخ السادات و سكت الجميع و نظر المشايخ لبعضهم ثم إبتسموا لإسماعيل بك و سليم الأغا .

<u>بعد صلاة الفجر ,</u> الشيخ عمر مكرم في الجامع يقرأ الأذكار بعد الصلاة فجاء سليم الأغا و جلس بجانبه .

الشيخ عمر مكرم : لم أتوقع أن تأتي .

فقال سليم : بالتأكيد لأني من فسدة القوم .

فسكت الشيخ عمر مكرم .

سليم ينظر للشيخ عمر و علي وجهه علامات الجد : إسمع يا شيخ , أريد أن أتوب .

الشيخ عمر : التوبة بسيطة , فكل المطلوب منك رفع يدك لسماء و تخفض رأسك للأسفل و تغمض عينيك و تقول , اللهم إني عبدك و إبن عبدك و أنا علي عهدك و وعدك ما إستطعت , أبوء لك بشر ما صنعت , و أبوء لك بذنبي , فإغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

فتهلل وجه سليم و قال : هذا فقط .

الشيخ عمر مكرم : نعم .

سليم الأغا : بالتأكيد المسألة ليست بهذة البساطة , و إلا لدخل كل الناس الجنة.

فضحك الشيخ ضحكة بسيطة و قال : صحيح المسألة ليست بهذه البساطة . التوبة نفسها هي البسيطة كما قلت لك , المشكلة فيما بعد التوبة .

سليم الأغا : و ما المشكلة بعد التوبة ؟

الشيخ : بعد أن يتوب العبد , يرسل الله إختبارات للتائب يسأله فيها , هل أنت صادقا يا عبدي ؟ فإذا تصرف العبد بشكل يجعله ينجح في الأختبارات , تاب الله عليه , و إذا لم ينجح , ظل الله غضبا عليه كأنه لم يتب .

سليم : و ما تلك الإختبارات ؟ و كيف أنجح فيها ؟

الشيخ : اول الإختبارات هو : هل ستتوقف عن الأمور الحرام التي تفعلها ؟ فالسارق , هل ستتوقف عن السرقة ؟ الزاني , هل ستتوقف عن الزنا ؟

سليم : ثم ؟

الشيخ : إذا نجح العبد في الأختبار الاول و هو الأختبار الاساسي , في الأغلب يرضي الله عنه , بعد ذلك يرسل الله إختبار علي كل حد من حدوده , فمثلا السارق بعد ان يتوقف عن السرقه و ينجح في الاختبار الاول , سيرسل له إختبار الزنا ثم إختبار صلة الرحم ثم إختبار العدل بين الناس ثم إختبار الغش

obeikandl.com

في الميزان , ثم اختبار كذا و أختبار كذا ... فإذا ظل ينجح في كل الاختبارات التي يمر بها يزيد رضا الله عنه درجة بعد درجه , و إذا إستمر هكذا طول حياته , بعد أن يموت يدخل الجنة.

سليم :حسنا , فماذا إذا كان العبد يرتكب كل المحرمات ؟

وإبتسم سليم بسمه خفيفة و قال : أنا مثلا ...

الشيخ عمر : نفس الشئ , سيختبرك الله في أكبر الذنوب التي ترتكبها , ثم الأقل فالأقل حتي تتخلص من كل الذنوب حينها يتوب الله عليك و يرضي عنك .

سليم : و ما هو أكبر الذنوب يا شيخ ؟

الشيخ : الظلم .

فهم سليم ليقوم , فقال الشيخ عمر : أريد أن أسألك سؤالا .

فقال سليم : تفضل .

الشيخ عمر : لماذا تريد ان تتوب ؟

فنزل السؤال علي سليم كضربة مطرقة و رجع فجلس مره أخري و عينيه تحدق في الأرض : تعبت يا شيخ .

و بدأت الدموع تخرج من عينيه : صدقني يا شيخ أنا لم أستهوي أبدا طقوس الدين , الصلاة و الصيام , و أصعب شئ بالنسبة لي الزكاة . و كنت في شبابي أتصور أن الدين هو العائق الأول لأي شخص يريد الإنتصار في حياته . و بعد أن نجحت في كل شئ في حياتي و أصبحت من أهم الناس علي وجه أرض مصر , نظرت في حياتي و قلت , ماذا بعد يا سليم ؟ منصب و أخذت , قوة و أخذت , مال و أخذت , شهرة و نفوذ .. شبعت , نساء .. لم أترك إنثي يتكالب عليها عظام الرجال إلا و تزوجتها , زبيدة التي حفي خلفها كل المماليك منذ أن كبرت و ظهرت انوثتها إلي يومنا هذا , تزوجتها رغم عنها و عن كل رجال المماليك حتي و أنا أعرف أنها تكرهني .

ورفع رأسه لأعلي ربما يعيد دموعه داخل عينيه و تتوقف ثم نظر للشيخ و عينيه تهرب في كل الاتجاهات : بدأت أراجع نفسي و أعيد حساباتي , و بدأت أبحث عن الحقيقه يمينا و يسارا. فوجدت أشياءا غريبه. بدأت ألاحظ بعض الناس الذين لا يمتلكون ربع ما أمتلكه , مرتاحين جدا من داخلهم . بدأت أشعر و كأنهم يعيشون في جنان خاصه بهم . كل واحد فيهم يعيش في جنه , هذه الجنة ليست في قصر يعيش فيه أو مال و سلاح يملكه أو مجموعه من الرجال تحت أمره , لا , بل هذه الجنة بداخله , في صدره , تصحبه في أي مكان يذهبه. حتي أن بعض المساجين الذين سجنتهم بيدي وجدتهم من هؤلاء السعداء. وكنت أستغرب , كيف لمسجون حياته مدمره و حياة اهله مجهولة و لا يملك أي أمل في الحياه , و مع ذلك إذا جلست معه و تكلمت معه , تجد أنه سعيد يعيش في جنة , و أري هذة الجنة في كلامه و نظراته . وليس هذا وحسب , لا بل يحاول أن يشدني في جنته و يسعدني مثل ما هو سعيد .

فبدأت الدموع تنزل من عيون الشيخ عمر و هو ينظر لسليم و قال : وماذا بعد ؟

سليم و سيل الدموع لا يتوقف : راقبتهم , و حاولت أعرف ماذا يفعلون لكي يصلوا إلي هذة الجنان التي بداخلهم . وجدت أنهم يتسابقون للصلاة عندما يسمعون الأذان . و من كان مسجونا منهم و لا يري الشمس , يراقب الوقت ويخمن مواعيد الصلاة ويقوم و يأذن لنفسه و ينتظر الإقامة مع نفسه و يقيم الصلاة لنفسه و يصلي مع نفسه . تجدهم يصومون كثيرا قبل و بعد رمضان , كأنهم يعتبرون ان الصيام شئ جميل يحبونه وليس مجرد فرضية تقضي في بعض الاوقات و ينتهي بعد ذلك . قيس علي هذا الزكاه و الصدقات و صلة الرحم بينهم و الصدق و الأمانة و الأخلاق الرفيعة . يعيشون طقوس الدين ليست كأنها فرائض , يعشونها كأنها رحلات جميله في جنه واسعة مليئه بالسعادة .

فنظر الشيخ أمامه و وضع يده علي جبينه ليخفي دموعه و أكمل سليم : لقد تأكدت من أن حسباتي كانت خاطئه , و أني ضيعت عمري بعيدا عن السعادة الحقيقية , و ان هؤلاء البسطاء أذكي مني لأنهم عرفوا موضع السعادة منذ زمن طويل و أنا قضيت هذه السنين الطوال و لم أعرف ما عرفوه . لقد رأيتك منهم يا شيخ بمجرد أن تكلمت البارحة مع إسماعيل بك . و كنت قد قررت قبل

أن أراك بأيام أني إذا رأيت واحدا من هؤلاء السعداء , سأذهب له و اقول له , و أطلب منه أن يتصدق علي ببعض ما عرفه الله به , و يدلني علي طريق السعادة .

فقال الشيخ عمر : لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض قاحلة , فانفلتت منه , وعليها طعامه وشرابه فيأس منها فأتى شجرة فجلس في ظلها – قد يأس من راحلته – فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بلجامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وان ربك ..أخطأ من شدة الفرح .

ثم نظر لسليم و قال : إذا كان هذا قدر سعادة الله بتوبة العبد , فكيف تتصور القدر الذي سيسعد الله هذا العبد به .

فألقي سليم نفسه في حضن الشيخ عمر و كلاهما لا يتوقفان من البكاء .

<u>في سوق باب الشعرية</u> , الحاج محمد المغربي جالس أمام حانوته و سليمان الجوسقي داخل عليه .

الحاج محمد : تعالي يا سليمان , إجلس .

فجلس سليمان , فقال الحاج محمد : مالك يا ولدي , ما كل هذة الكأبة علي وجهك ؟

سليمان : لا شئ .

الحاج محمد : حقا ؟

سليمان : ما قصة ذلك الصائغ النصراني الذي ذبحه أحد المماليك ؟ إن قصته علي لسان الناس في كل مكان .

الحاج محمد : هذا المملوك يدعي حمزة . في ذات يوم ذهبت زوجة حمزة لهذا الصائغ النصراني . و أشاع الناس أنه غازلها و هي ضحكت له و لم تصده مما أوحي للناس أنهما علي علاقة . بالطبع طار عقل هذا المملوك عندما سمع بهذا . فقبض علي الصائغ و نهب كل كبيرة و صغيرة من المجوهرات في

حانوته , و سجنه في داره و عذبه أشد ألوان العذاب . قلع عينيه وأسنانه وقطع أصابعه و أنفه و أذنيه و أطرافه إلي أن مات . أما الزوجة فكاد أن يقتلها إلا إنها هربت و سافرت الصعيد عند زوجة مراد بك الست نفيسة لتحميها .

فجأة دخل رجال إسماعيل بك و هجموا بخيولهم علي حانوت صغير , فقام الحاج محمد و هو يصرخ : أبن البسطي ... أتركووه .

فأمسك سليمان بالحاج محمد ليمنعه من الذهاب ناحيتهم . و فجأة سمع الناس عيار ناري , فسقط إبن البسطي قتيلا علي الارض في اللحظات التي دخلت أمه لتحاول حمايته فإلتف الجنود ورحلوا وسط صرخات الأم و الناس علي جوانب الشارع يتفرجون .

فسقط الحاج محمد علي كرسيه مذهول يقول : لا حول و لا قوة إلا بالله , لا حول و لا قوة إلا بالله .

فجلس بجانبه سليمان و قال : من هذا الشاب يا حاج ؟

الحاج محمد : إنه شاب من أجمل ما تراه العين من الشباب , خُلقه لا يوصف .

سليمان : و لماذا قتلوه ؟

الحاج محمد : لا أعلم يا ولدي . إنه لم يمر علي فتح حانوته أكثر من شهرين , و لكنه كان عصبيا و ذو رد فعل متهور , فتشاجر مع أحد المماليك كان يشتري منه لان هذا الخنزير كان لا يريد دفع ثمن ما أخذ . فمن المؤكد أن هؤلاء الكلاب أتباع هذا الخنزير .

سليمان : ما هذا , كل يوم في السوق تاجر يقتل , ما هذا الاجرام ؟

فإستلقي الحاج محمد علي كرسيه يائسا : حسبنا الله و نعم الوكيل , أين أيامك يا مراد بك ؟ مهما فعلوا من السرقات لم يقتلوا بهذه الوحشية .

فإبتسم سليمان : بالإضافة إلي ذلك أنك كنت شريك مساعده عبدالله المغربي .

فنظر الحاج محمد لسليمان ثم نظر للسماء : حسبنا الله و نعم الوكيل .

فظهر أمامهما الرجل المختل عقليا ذو الشعر و اللحية المجعدين و هو يصدر أصواتا مرعبة , فصرخ فيه الحاج محمد : هيا يا علي إرحل من هنا .

فصرخ الحاج محمد للأحد صبيانه و قال : يا ولد , يا ولد .

فجاء الصبي سريعا , فقال : نعم سيدي .

الحاج محمد : أبعد هذا الرجل عنا هيا .

فأمسك الصبي بعصا فضرب المجنون فاصدر صوتا مرعبا من ألامه و إبتعد عنهم .

فقال سليمان : من هذا المختل يا حاج ؟ لقد أمسك في قدمي يوما ولم يتركني إلا عندما ضربته هكذا , وأصدر نفس هذا الصوت المخيف .

الحاج محمد : إنه علي البكري , و هو مصاب بمرض في عقله يجعله مختلا كما تري . و كان يمشي عرينا بلا هاتان القماشتان اللتان تغطيان عورتيه , وبدأت الناس تخاف منه و تبتعد عن الشارع و إنخفض البيع بسببه . فإجتمعنا ذات يوم وإستدعينا أخوه يدعي سعيد البكري , و قد ألزمناه بأن يسيطر علي أخيه وأن يكسيه , ولكن اخيه فقير لا يملك مالا , فكل الذي فعله هو أن إشتري قماشتين و ألقاهم علي عورة علي البكري هذا .

سليمان : و ما عمل سعيد هذا ؟

الحاج محمد : حرفي في أحد الورش .

سليمان : لا اله إلا الله محمد رسول الله .

في إحدي ورش الأخشاب , يدخل أحد الصبيان الحرفين من الخارج و ينادي : سعيد , هناك ما يطلبك بالخارج .

فترك سعيد ذو الجسم الطويل و العريض منشاره و خرج و مر بجانب زميله الذي يناديه و قال له : من الذي يطلبني ؟

فقال زميله و هو يضحك بخبث : إنها تلك التركية الجميلة , أيها المحظوظ .

فخرج سعيد فوجد أمونة فوق فرسها , فقالت : أنت سعيد البكري ؟

قال سعيد : نعم ؟ من أنتي ؟

قالت : إسمي أمونة . كنت أريدك بعيدا عن هنا .

سعيد : ماذا تريدين ؟

أمونة : تعالي و ستعرف .

فمشي بعض الخطوات و إبتعد قليلا عن الورشه و أمونة تتبعه بالفرس .

أمونة : أخوك علي البكري ؟

فظهرت علامات الإستياء علي وجه سعيد : نعم , ماذا ؟ هل وقع في مصيبة مرة أخري ؟

أمونة : ما قصته ؟

سعيد : لا أعلم , كبرنا فوجدته هكذا , و قد ذهبت به أمي لمشايخ و اطباء الشرق و الغرب و لم يعرفوا له حلا .

أمونة : و هل يسكن معك ؟

سعيد : هو لا يسكن في مكان , هو يهيم علي وجهه في الشوارع و حسب .

أمونة : و أنت أين تسكن ؟

سعيد : في الغورية .

أمونة : هل بيتك كبير ؟

سعيد : إنه بيت أمي . كان يضمني أنا و علي و ٣ أخوتي البنات , ولكنهن تزوجن وذهبن لبيوتهن . وعلي كما ترين . وأمي ماتت .

obeikandl.com

أمونة : و هل لأخوتك نصيب في هذا البيت ؟

سعيد : تسطيعين القول أني دفعت لهن أغلب نصيبهن . الباقي هو علي .

أمونة : و هل ..

فقاطعها سعيد و توقف عن المشي و نظر لأمونة : لماذا تسألين يا إمرأة ؟

فتوقفت أمونة و نزلت من علي الفرس و وقفت أمام سعيد و قالت : إسمع , سأعقد معك إتفاقا .

فإستغرب سعيد و قال : إتفاق ؟

أمونة : ستترك عملك في هذه الورشة , و سأعطيك راتبك كالذي كنت تأخذه فيها . و سأعطيك مالا إضافيا تصرفه علي أخيك من مأكل و مشرب و ملبس وكل شئ , في مقابل أن تحبسه في غرفة في بيتك . وسأعطيك مالا تجدد به بيتك لنحوله مزاراً لولي الله الصالح علي البكري الموصول بالأسياد والأرواح. وإترك الباقي علي أنا .

سعيد مذهول : أخي مجنون , كيف سيكون موصولا بالله والأرواح والأسياد؟

أمونة : سندعي ذلك يا سعيد .

سعيد : و ماذا سنستفيد من إدعاء ذلك ؟

أمونة : ستأتينا الناس من كل حدب و صوب يرجون رضا علي البكري الموصول بالأسياد و الأرواح , و في مقابل ذلك , سنطلب كل ما يملكون من مال و ذهب و فضة ليرضي عنهم و يدعي لهم و يطلب من الأسياد المدد .

يبتسم سعيد بخبث : و ماذا ستفعلين أنت ؟

أمونة : سأتزوجك .

سعيد و هو متفاجئ : موافق .

obeikandl.com

أمونة : إسمع , بعد أن تنتهي من تجديد البيت , خذ اخيك ليلا من سوق باب الشعرية إلي سوق مصر القديمة حيث وجوهنا لا يعرفها الكثيرون هناك. مفهوم؟

سعيد : مفهوم .

فسلم سعيد علي أمونة و عاد لورشته , و ركبت أمونة فرسها و إنطلقت .

<u>في سوق بمصر القديمة, في إحدى الزوايا المختفية , في ليله مقمرة بعد صلاة العشاء بقليل,</u> تقف أمونة تلبس عباءة واسعة وحجاب علي شعرها ولثام لا يظهر منها إلا عينيها , و أمامها سعيد البكري ملثم أيضا و بعض الرجال والنساء الذين إستأجرتهم أمونة, ومعهما صبي من صبيان أمها

فقالت للصبي : إسمع , هذا الكيس فيه مسحوق ملح و فلفل حار مطحون , إذهب ورشه علي علي البكري المجنون . فهمت ؟

فقال لها : حاضر سيدتي .

فأعطته بعض النقود و إنطلق . فذهب ووقف خلف علي البكري وتظاهر بالهدوء , فألقي عليه مسحوق الملح والفلفل الحار , ثم ذهب في هدوء .

بعد دقائق، بدأ علي البكري بإطلاق أصوات الصراخ المرعبه بصوته المبحوح . فأشارت أمونة لسعيد أن ينطلق نحو أخيه , ففك لثامه وإنطلق نحو أخيه وهو يقول : علي , ماذا بك ؟

فنظرت أمونة للرجال والنساء الذين معها وقالت لهم : كما إتفقنا ... ها ؟؟

ففكت أمونة لثامها وضبطت حجابها وتحركت نحوهما ورفعت يدها ورفعت وجهها للسماء وهي تهز رأسها يمينا ويسارا وتقول بصوت عالي :
ماااااااااد يا سيدي علي البكري ماااااادااااد , السمااااح يا سيدي الحسين , السمااااح يا سيدي البدوي , ماااااادااااد يا سيدي علي البكري ماااادااااد .

فدخل عليهم الرجال والنساء المأجورين , وعلي يصرخ و سعيد يقف بجانبه يحاول تهدئته وأمونة تقول ما تقوله و تهز رأسها يمينا و يسارا , فقالت

إحدهن لسعيد : ماذا فعلت يا رجل ؟ ألم تكن تعلم أن أخوك موصول بالأسياد وأرواح أولياء الله الصالحين .

فصرخت أمونة وهي تهز رأسها : مااااااااد يا سيدي علي البكري مااااااااد

فقال أحد الرجال المأجورين لسعيد : ألا تعلم أن أصوات هذه الصرخات بهذا الصوت المبحوح من رجل لا يعيش معنا و لا يشعر بنا إنما هو في ملكوت أخر , ألا تعلم أن هذا معناه أنه واصل ؟

فإجتمعت الجماهير في الشارع و تهافت الناس ليعرفوا ما يحدث . فقال أحد الناس : ماذا يحدث ؟

فقالت احد المأجورات و هي تشير لسعيد : هذا الرجل لم يكن يعرف أن أخوه واصل بالأسياد .

فقالت أمونة بصوت عالي وهي تهز رأسها : مااااادااااد يا أولياء الله الصالحين مااااادااااد

فقال أحد السكان : من هذا الرجل المخيف ومن هذه التي تطلب المدد؟

فقال أحد المأجورين : هذه الشيخة أمونة تلميذة االشيخ صادومة , و قد جائها في المنام و امرها بالبحث عن رجل بموصفات هذا الرجل الذي تقولون عنه مخيف يدعي علي البكري , و قد طلبت مساعدتنا فعثرنا عليه ووجدنا أخوه بجانبه .

فقالت إحدي المأجورات : يعني هذا ذو الشعر المنكوش واصل بالاسياد والصالحين ؟؟

فقالت أمونة بصوت عالي و هي رافعة يديها و تنظر للناس بقوة لترعبهم : كنت مع صادومة ليله بليله إلي أن قتل ظلما . كان ورعا و موصولا , و كان يهمهم دائما بكلام لا أفهم منه إلا إسم علي البكري , و لم أجرؤ علي سؤاله عن

هذا الرجل . لكن بعد موته جائني و حكي لي الحكاية و أمرني بالبحث عنه . وسألت الأسياد يوصلوني , فأجابوني , مااااادااااد يا أسيادنا مااااادااااد .

فوغز سعيد البكري أخوه بإبرة فور إنتهاء كلام أمونة فصرخ علي صرخة مرعبه , فصرخت أمونة : السمااااااح يا سيدي علي السمااااااح , السمااااح يا أسيدنا السمااااح .

فخاف الناس وتظاهر المأجورين بالرعب وطأطأوا رؤوسهم ورفعوا أيدهم للأعلي وهم يتراجعون للخلف وهم يهمهمون ويقولون بصوت مسموع : السمااااح يا سيدي علي البكري مااااادااااد

فبدأ الناس يفعلون مثل ما يفعل المأجورين ويتراجعوا للخلف خوفا من غضب ولي الله الصالح علي البكري . فجري سعيد و أحضر فرسين و ركب هو وأخوه علي فرس و ركبت أمونه علي فرس و إنطلقا و الناس من حولهم تطأطأ امام مهابة الولي الصالح.

<u>بعد شهور</u> , الشيخ السادات جالس مع الشيخ عبدالله الشرقاوي وسليمان المنوفي و مصطفي الصاوي في الجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة , والشيخ عبدالله الشرقاوي يلقي درسا في جمهور من الناس يجلسون خلف هؤلاء المشايخ . فدخل عليهم الشيخ العروسي بعض المشايخ و معهم الشيخ خليل البكري

الشيخ العروسي مقاطعا للشيخ عبدالله : يا شيخ السادات , نريدك في كلمة .

فقام الشيخ السادات لهم و ابتعدوا قليلا عن الجمهور الجالسين , فقال الشيخ العروسي للشيخ السادات : ما مشكلتكم مع شيخ خليل ؟

الشيخ السادات : ليس معانا مشكلة معه .

الشيخ العروسي : إذا لماذا تقاطعونه ؟

الشيخ السادات : هو يعلم لماذا .

فغضب الشيخ خليل البكري و هم ليتكلم , فأمسكه الشيخ العروسي وقال للشيخ السادات : منذ متي و نحن نأخذ بالشائعات ؟

فإستاء الشيخ السادات و قال : إسمع يا شيخ , إذا كنا سنقضي باقي النهار في تصديق و تكذيب الأخبار , فدع كل حي يذهب في حاله .

فهم الشيخ السادات بالرجوع لمكانه فقال الشيخ العروسي بصوت عالي مهددا : لا تنسي أني شيخ الأزهر و أستطيع فعل الكثير.

فقال الشيخ السادات بصوت أعلي : و نحن مشايخ الأزهر و نستطيع فعل أكثر مما تسطيع فعله .

فقام الجماهير الجالسون أمام الشيخ عبدالله الشرقاوي و هجمو علي الشيخ العروسي و من معه , فأشار لهم الشيخ السادات ليهدأوا فقال للشيخ العروسي : أنت تعلم أن الشيخ خليل البكري يقيم السهرات في بيته مع الحشاشين و الطبالين و المغنين . و هذا لا يتفق لا مع مبادئنا ولا قيم ديننا .

فقال الشيخ خليل : ومالك أنت و ما أفعل في بيتي ؟

فقال الشيخ السادات : وهل منعناك من فعل ما تريد , كل ما فعلناه هو أننا تجنبناك .

فقال أحد الجماهير : و نحن الشوام و المغاربة سنتجنبك ولن نسمع لك مرة أخري , ولا نريد رؤية وجهك أنت وشيخ الأزهر الفاسد هذا .

فجأة دخل أحد رجال الشيخ السادات يصرخ : يا شيخ , يا شيخ .

فنظر الجميع لصاحب الصوت الذي يركض نحوهم فقال الشيخ السادات : ماذا يا ولدي , ماذا حدث ؟

وقف الرجل أمام الشيخ السادات ينهج و قال : إن الروس هجموا علي ثغر دمياط و دمروا و خربوا كل شئ . و قد أخذوا ١٢ مركبا , نصفهم من مراكبك, و قد كانوا سيأخذون كل المراكب و يدمرون دمياط عن بكرة أبيها ,

obeikandl.com

لولا وقفة رئيس الجمارك الشيخ محمد كريم الذي حاربهم و جعلهم يفرون بما إستطاعوا يغنموه .

فصدم الشيخ السادات و ضرب علي رأسه و وتراجع للخلف و وسقط مغشيا عليه فإلتقطه الناس لكيلا يسقط علي الارض . فضحك الشيخ العروسي والشيخ خليل البكري بخبث , فهجم الشوام و المغاربة و من معهم علي الشيخ العروسي و من معه من المشايخ , فهربوا لخارج الجامع . فأغلق الجماهير أبواب الجامع وظل الشيخ العروسي و من معه يهربون إلي أن دخلوا أحد الشوارع الجانبية , فتحت بعض البيوت أبوابها و أختبئوا فيها . و ظلوا علي هذا الوضع إلي المغرب .

<u>بعد المغرب</u> ذهب الشيخ العروسي و من معه إلي إسماعيل بك و دخلوا عليه

الشيخ العروسي وهو يتظاهر بالقهر و ظلم الناس له : سيدي إسماعيل , إلحقنا , إن الغوغاء دخلوا جامع الأزهر و تظاهروا فيه ضدك و ضد رجالك , و قد دخلت و المشايخ معي لنهدأهم فطردونا , و كادوا يضربونا , لولا حماية بعض الطيبين لنا .

إسماعيل بك بكل هدوء : حقا ؟

الشيخ العروسي و هو مصدوم : نعم .

إسماعيل بك : يعني الناس طردوك غضبا مني ؟

الشيخ العروسي : نعم .

إسماعيل بك : يعني لو أرسلت لهم الشيخ السادات الأن سيطردونه أيضا ؟

الشيخ العروسي مستغربا : لا أعرف .

إسماعيل بك : لا بل تعرف , سيرحبون به و بالشيخ الشرقاوي و الفيومي والصاوي , و سيطيعون أي كلمة يقولها هؤلاء المشايخ , حتي لو أمروهم بالرضا عني .

ثم قام إسماعيل بك و مشي خطوات تجاه الشيخ العروسي : و ذلك لسبب بسيط جدا , أن الناس تنظر لهم بإجلال و إحترام , أما أنت , فدائما تصاحب أشخاصا لا تحترمها الناس مثل هذا الذي بجنبك ..

وأشار للشيخ خليل البكري , ثم أكمل : هذا فضلا عن مواقفك و تصرفاتك التي تحط من قدرك أمام الناس , و بالتالي مجرد رؤيتهم لك و لمن معك يثيرهم . و بالتأكيد الناس في كل الأحوال غير راضية عني , فثورتهم عليك دائما ما تتطور إلي الثورة علي . و بالتالي بكل بساطة أستطيع القول أنك السبب في إثارة الناس .

فدب الرعب في قلب الشيخ العروسي و من معه من المشايخ . ثم تظاهر بالإستياء و قال : حسنا , شكرا سيدي إسماعيل بك , شكرا شكرا .

وإنسحب الشيخ العروسي و من معه و خرجوا من قصر إسماعيل بك والغضب يكاد يفجر وجوهم .

في بيت الشيخ السادات , الشيخ السادات مستلقي علي السرير مريض , و أهله يدخلون الغرفه و يقول أحدهم : تفضلي يا شيخة أمونة , تفضلي .

فدخلت الشيخة أمونة و معها كبيرة خداماتها بثينة و فتاة من المساعدات , فقال أحد الاهل للشيخ السادات : لقد جئناك بأفضل طبيبة و شيخة مباركة في القطر المصري كله , فلا يوجد أحد في القطر كله يسطيع العلاج مثلها و في نفس الوقت تخدم سيدي علي البكري الرجل المبارك , ولذلك كل الأمراء والمماليك و وجهاء القطر لابد أن يزروها و يتوددوا إليها سواء أصابهم مكروه أو لم يصبهم .

فقالت اللشيخة أمونة : سلمك الله يا شيخنا .

الشيخ السادات : سلمك الله يا ابنتي .

الشيخة أمونة : بماذا تشعر يا شيخ ؟

الشيخ السادات : منذ أن جائني خبر مراكبي التي سرقها الروس و انا اشعر بألم في رأسي يتكرر علي و غالبا ما اشعر برأسي يدور و الدنيا تدور من حولي .

الشيخة أمونة : هل من شئ أخر ؟

الشيخ السادات : لا .

الشيخه أمونة و هي تشير لبثينه و الفتاه المساعدة لتجهز الأدوات : وما الذي جاء بالروس من أخر الدنيا حتي يأتوا و يسرقوا مراكبك ؟

الشيخ السادات : لا أعلم . كل ما قاله لي رجالي أنهم كانوا يغيرون علي القطر المصري نكايةً في الخلافة العثمانية .

جهزت بثينه و مساعدتها الأدوات و أشعلوا البخور و فتحوا المصاحف ووزعوها في زوايا الغرفة , قالت أمونة لواحد من أهل البيت : أحضر لي ماء ساخن و ماء بارد.

ثم إلتفت للشيخ السادات و قالت : شيخنا , بإذن الله سنتضرع و نبتهل ونسأل الأسياد و سندعو و سنحضر لك الدواء و نقرأ عليه , و بإذن الله من إسبوعين إلي شهر سيفرج الله كربك و سيشفي الله مرضك . و لكن بشرط , لابد من أعمال صالحة كثيرة من صلاة لصدقه لصيام و دعاء , بالإضافة إلي تصفية النية , فلو شاب النية شائبة , يمكن أن يضيع كل مجهودنا.

وأمسكت بمصحف و جلست أمام المبخرة بجانب السرير , و أشارت لبثينة ومساعدتها بالإمساك بالمصاحف والجلوس في زوايا الغرفة وقالت لهن : رددوا ورائي و إفعلوا ما أفعل بالضبط .

فبدأت أمونة بهز جسدها يمينا و يسارا و قالت بصوت عالي : ماااااادااااا يا سيدي الحسيبين , ماااااادااااا يا سيدي البدوييييي , ماااااادااااا يا سيدي علي البكري ماااااادااااا .

obeikandi.com

<u>بعد إسبوعين .</u> الشيخ السادات خارج من الجامع بعد صلاة الفجر , فإستوقفه الحاج محمد المغربي .

الرجل : السلام عليكم شيخنا السادات .

الشيخ : عليكم السلام .

الحاج محمد مبتسما : يبدو أن صحتك تحسنت يا شيخنا .

الشيخ : الحمد الله

الحاج محمد : شيخنا , كنت قد سمعت أن الروس سرقوا ٦ مراكب من مراكبك, وكانت هذه خسارة كبري وكان تعبك الفترة الماضية بسببها ..

الشيخ : نعم صحيح , خسرت المراكب , و خسرت بضائعي التي تكدست ولم أجد من يحملها لي للقاهرة و بعتها بالخسارة.

الحاج محمد : الشيخة أمونة بنت تاجرة القطن و الكتان كانت قد قالت لي أنها إشترت ٥ مراكب , و تريد تشغيلها في نقل البضائع , فما رأيك في أن تأخذها و تستخدمها في نقل بضائعك في مقابل جزء من ثمن البضائع .

الشيخ السادات : لا , قل لها أني سأستاجر منها ال٥ مراكب بمقابل مبلغ شهري معين نتفق عليه وفقا لأسعار إيجارات المراكب .

الحاج محمد : حسنا, إعتبرها موافقة و أنا سأقنعهم بهذا .

الشيخ السادات : بارك الله فيك .

الحاج محمد : السلام عليكم .

الشيخ السادات : و عليكم السلام .

و ذهب كل واحد في إتجاه . و بعد عدة أمتار بعيدا عن الجامع وقف الحاج محمد بجانب فرس عليه إمرأة

obeikandl.com

فنظر للمرأة و قال : لقد إتفقت معه علي ما طلبتي يا أمونة . عرضت عليه بدايةً التقاسم في ثمن البضائع فرفض , فعرض علي إستئجار المراكب في مقابل مبلغ ثابت كل شهر .فوافقت

أمونة : وعلي أي أساس سيحدد المبلغ .

الحاج محمد : علي أساس قيم ايجارات المراكب المتعارف عليها هذة الفترة .

أمونة : حسنا . شكرا جزيلا يا حاج محمد . بارك الله لك . السلام .

الحاج محمد : السلام .

<u>في الجهة الأخرى</u> , ذهب الشيخ السادات جهة الجامع الحسين و كان قد إقترب شروق الشمس فوجد ركب من الناس قادمون من سفر بعيد واقفون منتظرون أمام الجامع الحسين

فقال الشيخ بصوت عالي : يا أهلا و مرحبا بالشيخ محمد كريم الرجل المقاوم البطل .

فتنحي الناس و خرج من بينهم الشيخ محمد كريم و سلم علي الشيخ السادات وقال : أهلا بحفيد أبو بكر الصديق , الشيع العلامة الكبير .

فقال الشيخ السادات : تفضل يا شيخ محمد تفضل , بيتي من هنا , تفضل .

فمشي الشيخ السادات بجانب الشيخ محمد كريم و قال : ماذا حدث يا شيخ كريم؟ ما الذي جاء بهؤلاءالروس إلي بلادنا .

الشيخ محمد : و الله يا شيخنا الفاضل لا أعرف كل التفاصيل , لكن كل ما جمعته من معلومات , جمعته من أحد كبار التجار الفرنسيين القدامي في الاسكندرية يدعي "ماجلون " قال لي أن الروس و النمساويين أعلنوا الحرب علي الخلافة العثمانية لعدة أسباب , الأسباب النظرية منها هي دعوة البابا لقتال المسلمين , ومساعدة الخلافة العثمانية للفرنسيين في غزو إيطاليا . و الأسباب العملية هي أن الروس و النمساويون يريدون التوسع علي حساب الخلافة العثمانية .

obeikandl.com

الشيخ السادات : وما علاقة مصر بكل هذا ؟

الشيخ محمد كريم : مصر جزء من الخلافة العثمانية يا شيخ السادات .

الشيخ السادات : آه صحيح .

الشيخ محمد كريم : صحيح يا شيخنا , هل عين الأشراف عمر مكرم نقيبا لهم ؟

الشيخ السادات : نعم

الشيخ محمد كريم : ألم يكن من المفترض أن يعينوا خليل البكري ؟ ألم يكن دوره في المنصب ؟

الشيخ السادات : الأشراف رأوه سئ الخلق و لا يلتزم بحدود الله .

الشيخ محمد كريم : علي كل الأحوال الشيخ عمر مكرم ذو سمعة مثل الذهب و رجل يحمل القران و العلم الصحيح في قلبه .

الشيخ السادات متجهما : نعم صحيح .

فإستغرب الشيخ محمد كريم من تعبيرات وجه الشيخ السادات : ماذا يا شيخنا , أهناك مشكلة بينكما ؟

فإبتسم الشيخ السادات و قال : لا أبدا . إنه رجل ذو خلق و علم و كلنا نحبه .

فوصلا إلي باب البيت و قال الشيخ السادات : تفضل يا شيخ محمد , تفضلوا يا سادتنا الأفاضل .

obeikandl.com

سبتمبر عام ١٧٩٠

في بيت كبير ذو فناء كبير بالموسكي , يدخل الشيخ العروسي و معه الشيخ خليل البكري و بعض المشايخ في فناء الدار , و يستقبلهم العميان ليساعدوهم في النزول من علي خيولهم . و يخرج سليمان الجوسقي من باب الدار الكبير رافعا يداه مقبلا عليهم ترحيبا بالمشايخ

سليمان : أهلا أهلا يا مشايخنا

فأقبل علي يد الشيخ العروسي و سلم عليه واضعا يد الشيخ بين يديه و قال : أهلا يا شيخ الازهر , نورتنا

فنظر الشيخ العروسي للدار من أمامه و من حوله ثم نظر لسليمان و اقترب منه و همس في أذنه : ماشاء الله , يبدو أن موت الشيخ الشبراوي كان فتحة خير عليك يا سليمان

فإبتسم سليمان و رد عليه هامسا : ماذا تقصد يا شيخ ؟

الشيخ العروسي : أقصد أن أموال العميان بدأت تصب في جيبك , بالإضافة لبعض الأموال من إسماعيل بك

سليمان : أفضل يا شيخنا أن لا نتكلم عن أموال إسماعيل بك التي تصب في جيبك كما تصب في جيبي .

فضحك الشيخ العروسي بصوت عالي و قال : مبارك عليك دارك الجديد يا شيخ سليمان , وسع الله عليك و علي كل العميان .

فقال سليمان : تفضل يا شيخنا تفضل , تفضلوا يا مشايخ تفضلوا .

فمشي الشيخ العروسي بجانب سليمان وهما متقدمان المشايخ , فقال سليمان مستغربا : ما الذي حدث معكم منذ أيام يا شيخ ؟ سمعت أن الناس في منطقة جامع الحسين ثارو , و دخلوا الجامع الأزهر و أعتصموا فيه , ما الذي حدث ؟

openkandil.com

الشيخ العروسي و هو يصعد السلالم التي تسبق باب الدار الرئيسي بجانب سليمان : إنه أحمد سالم الجزار شيخ الدراويش البيومية المخبول .

سليمان عند الباب يقول للشيخ العروسي : تفضل يا شيخ تفضل , تفضلوا يا مشايخ .

فدخل الشيخ العروسي و المشايخ صالة الاستقبال الكبيرة فقال سليمان : من هنا يا أهل الخير , تفضلوا تفضلوا

فسبقهم سليمان لغرفة في يمين الصالة مجهزه لإستقبال الضيوف و فتح الباب وقال : تفضلوا يا أهل يا الخير .

فدخل المشايخ غرفة الضيوف و جلسوا علي كنب فخم مجهز للضيوف المهمين . فجلس الشيخ العروسي و جلس بجانبه المشايخ و أشار سليمان لأحد رجاله وقال له : إذهب و جهزوا المائدة .

فجلس سليمان علي كرسي مقابل المشايخ وقال للشيخ العروسي : ها يا شيخ العروسي أكمل .

الشيخ العروسي : أحمد سالم الجزار لا يهدأ أبدا عن إثارة الناس ضد المماليك. عجيب أمره هذا الرجل .

سليمان : و ماذا حدث بعد ذلك ؟

الشيخ العروسي : ذهب إليه أحد مساعدي حسن بك يدعي أحمد الأغا و كسر عظامه .

سليمان : يا الله , مره ثانية ؟؟ ألم يكسر حسن بك عظام هذا الرجل منذ ٥ سنوات , و ثار الناس حينها و إعتصموا في الجامع الازهر أيضا ؟ ألم يعتبر حسن بك و رجاله من ثورة أهل الحسين دفاعا عن أحمد سالم الجزار هذا ؟

الشيخ العروسي : يا سليمان حسن بك و كل المماليك لن يتغيروا أبدا . المفترض أن يعتبر أحمد سالم الجزار مما حدث له منذ ٥ سنوات .

obeikandl.com

سليمان : وعلي ماذا إنتهت هذه الأحداث ؟

الشيخ العروسي : ذهبت لإسماعيل بك لأشتكي تجمهر الناس من أفعال أحمد الاغا مع أحمد سالم الجزار , قال لي بعدم إهتمام : لا علاقة لي بهذا , إنه مساعد حسن بك , فإذهب لحسن بك و تفاهم معه .

سليمان : وهل ذهبت لحسن بك ؟

الشيخ العروسي : طبعا , فماذا أفعل ؟ الناس متجمهرون في الأزهر وأنا مسؤول عن الأزهر , و لو حاولت الإقتراب منهم بدون تحرك مني تجاه المماليك سيذبحونني .

سليمان : وماذا قال لك حسن بك ؟

الشيخ العروسي : إشتكيت له من أفعال مساعده أحمد الأغا و قلت له أن الناس تريد إقالة هذا الرجل . فقال لي أن هذا كله ألاعيب من إسماعيل بك ليطيح برجاله , وإذا أراد إسماعيل بك أن أقيل أحمد الأغا , فليقيل هو رضوان الأغا مساعده .

سليمان : الله , بالتأكيد لم يقيل إسماعيل بك رضوان الأغا , فبعد أن ذبح إسماعيل بك سليم الأغا بعد أن طلب الإستقالة و قال أنه تاب عن عمله مع المماليك , استعاض عنه برضوان الأغا و اصبح لا يستطيع الإستغناء عنه

الشيخ العروسي : بالضبط , و لكن مع ضغوط الجماهير إتفق إسماعيل بك مع حسن بك بإقالة أحمد الأغا و رضوان الأغا , و تعينهما في مناصب أقل في البلد .

سليمان : و هل هدأ الناس ؟

الشيخ العروسي : نعم , خرجوا من الجامع مسرورين بهذه الإقالات , وشعروا بقدر المجهود الذي قمت به أنا و المشايخ في سبيل تحقيق هذا .

سليمان : الحمد الله . فأنا أسمع في كل مكان عن بطولة المشايخ في إقالة أحمد الأغا و رضوان الأغا .وأصبحت الناس أكثر ثقة في الشيخ العروسي .

obeikandl.com

الشيخ العروسي : صحيح .

سليمان : و هل صحيح أن الأشراف عينوا الشيخ عمر مكرم نقيبا لهم ؟

فأنفجر الشيخ خليل البكري : أرأيت الفضيحة ؟ رجل كهذا لا مال له ولا وجاهه بين الناس وعلاقته بالمماليك و التجار و الوجهاء سيئة , يعينه الأشراف نقيبا عليهم . بينما أنا الذي أملك كل هذا لا يعنوني

سليمان : أسمع أنه صاحب علم و دين و رجل جهاد وإقبال .

الشيخ العروسي : أوقفوا الكلام في هذا الموضوع من فضلكم , فهذه مشكلة لا حل لها , عينوه الأشراف نقيبا و إنتهينا , ولا فائدة من الكلام الأن

فإعتدل سليمان في كرسيه و تنهد و قال : أريد أن أعرف رأيك يا شيخ في هؤلاء الرجال و النساء الذين يتمسحون بالأولياء و قبور الصالحين و يدعون صلتهم بالأولياء و الأسياد و أنهم يستطيعون طلب شفاعتهم في شفاء الناس وزيادة أرزاقهم و الإصلاح بين الرجل و زوجته و هكذا .

الشيخ العروسي : بالطبع التواصل مع الأولياء و زيارة قبورهم و طلب المدد من الصالحين , خير و بركة , و إقامة الموالد لهم و تقديم الصدقات في موالدهم أشياء تطرح البركة و تقرب الناس من رضا الله . لكن بعض الدجالين يغالون في هذه المسألة و يدعون أنهم يستطيعون التحكم في القدر و معرفة الغيب و أمور إختصها الله لنفسه , و بالتالي يدخلون في الشرك بالله عز و جل. ويقومون هؤلاء الدجالين بإستغلال جهل الناس و أخذ أموالهم مقابل هذا الدجل.

سليمان : أتسمع عن الشيخة أمونة ؟

الشيخ العروسي : بالتأكيد . هي دجالة من الدجالين .

سليمان : حسنا لماذا لا تخطب في الجمعة القادمة في الأزهر و في باقي الجوامع عن هذا الموضوع . فإني قد رأيت الناس موهومين بهؤلاء الدجالين لدرجة أني سمعت أن الشيخ السادات عندما مرض بسبب خسارته المراكب التي سرقها الروس منه , جائوا له بالشيخة أمونة لعلاجه .

obeikandl.com

فإنتبه الشيخ العروسي بشده و إبتسم و نظر للشيخ خليل البكري الذي نظر له مبتسما . ثم نظر الشيخ العروسي لسليمان و قال : هل فعلا جاء الشيخ السادات بأمونة لعلاجه ؟

فإسترخي سليمان علي الكرسي مبتسما و قال : نعم . و بالطبع بعد ان إستعاد صحته و إستعاد خسارته إدعي أنه ببركته و بركة الشيخة أمونة المبروكه ببركة مقام الشيخ علي البكري .

الشيخ العروسي ضاحكا : ذاك المختل الذي قلبوه ولي من أولياء الله الصالحين و عملو له مقام بعد موته في بيت أخيه سعيد زوج أمونة ؟

سليمان : نعم .

فإستلقي الشيخ العروسي علي الكنبه وسط المشايخ و نظر لهم و ضحك وقال : لا تقلق يا شيخ سليمان , الجمعه القادمة عن أمونة و السادات

فأشار سليمان لرجاله فأحضروا أكياس من الأموال و وضعوها أمام المشايخ فقال سليمان : لا أريدها الجمعة القادمة فقط , بل أريدها الأربع جمع القادمه كلها , الشهر بأكمله لا أريد حديثا دينيا في مسجد من المساجد أو جامع من الجوامع إلا و يتكلم عن بدع الدجل و الشيخة أمونة و شعوذتها

في بيت أم أمونة , الشيخة أمونة تنزل من الطابق العلوي علي السلالم و السيدة هوي و سعيد البكري و هم يرتدون أفخم الثياب منتظرين في صالة الاستقبال الكبيرة التي تتوسطها المبخرة الكبيرة و السيدة بثينة كبيرة الخدم واقفه في طرف الصالة .

أمونة : أهلا و سهلا , أهلا و سهلا .

السيدة هوي و هي تبتسم : تحية كتحية الأغراب بالضبط

و نظرت لسعيد البكري : كأنها تريد أن تقول لنا قد إنتهت شراكتنا .

سعيد البكري يتجه غاضبا لأمونة التي نزلت من السلم ووقفت بجانب المبخرة : أصحيح ما تقوله السيدة هوي .

أمونة بكل قوة : نعم .

سعيد بكل غضب مكتوم : لماذا ؟

أمونة : ليس الذنب ذنبي , الناس لم تعد تأتينا بسبب المشايخ الذين لا سيرة لهم إلا الشيخة أمونة و دجلها و شعوذتها .

السيدة هوي : لا , بل قولي لان إيجارات المراكب و مشاركتكي للشيخ السادات والحاج محمد في تجارتهم أغنتكي و جعلتكي لا تحتاجين لأموال مقام البكري .

سعيد يلتفت لأمونة و يقول : مع أن مقام أخي وبيتي الذي حولته مزارا هو الذي جلب لكي كل هذا المال الذي حولتيه للتجارة و المراكب .

السيدة هوي : و أنا الذي توسطت لها لتعمل عند الشيخ صادومة الذي علمها كل هذة الأساليب التي جمعت منها كل هذة الاموال .

أمونة : صحيح , كل كلامكم صحيح .

وإستدارت و إتجهت لكنبه بجانب السيدة بثينه و جلست و قالت : وأنت إغتنيت و هي إغتنت , وأصبحتم من أغني الناس في البلاد . والأن أريد الأعتزال , ما المشكله ؟ وأضيفوا فوق هذا أني لم أتخذ هذا القرار فجأة , إنما هو بسبب هذه الهجمة الشرسه علي من كبار مشايخ الازهر .

السيدة هوي : أتعلمين من دفع الاموال لتحريك هذه الهجمة ؟

أمونة : أعرف .

سعيد البكري : سليمان الجوسقي , حبيبك القديم .

أمونة بكل هدوء : أولا سليمان لم يكن يوما حبيبي . ثانيا , أنت ليس لك الحق في محاسبتي فيمن أحب و من لا أحب , فأنت عمليا لست زوجي . زواجي بك لم يكن أكثر من صورة أمام الناس لتيسير مصالحنا . و ها قد إنتهي دورك . فلا أسمع صوتك بعد الأن . فضلا أنك لابد أن تطلقني الأن .

obeikandl.com

سعيد البكري : وهل تظنيني مغفلا حتي أطلقك لتهنأي بتجارتك وأموالك ونحن نبكي علي ضياعنا

أمونة : صدقني الذنب ليس ذنبي . ليس ذنبي أن سليمان حرك المشايخ ضدي, وليس ذنبي أنك غبي أضعت كل أموالك في السكر والموجون ولم تحافظ علي أي منها بالإضافة أنك لم تهتم يوما في تعلم أي شئ مني لتحمي نفسك من يوم مثل هذا .

فقامت السيدة هوي وقالت : لا فائدة يا سعيد .

ثم نظرت لأمونة وقالت : لكن ضعي في إعتبارك أن غدرك بنا هذا لن يكون سهلا , فأنا سأبذل قصاري جهدي لأن أجعل سعيد يتوسل المشايخ بان يفتوا له بعودتك لبيت الطاعه , وسأبذل قصاري جهدي لأجعل المماليك يسلبونك مراكبك و تجارتك

أمونة بإبتسامة : إفعلي ما شئتي , فأولا أنا اخترت الشيخ السادات لأنه كبير البكرية أكبرفروع في الأشراف , وأنت تعلمين أن هذا الرجل لا يقترب منه أحد , لأنه كبير بين مشايخ الأزهر , ولأنه كبير عند إسماعيل بك وأي أحد يتولي حكم مصر . لذلك , لا المشايخ سيصدرون فتوي بيت الطاعة ضد شريكة الشيخ السادات ولا المماليك سيستطيعون الإقتراب من تجارتي الممزوجه بتجارة رجل كهذا , ناهيكي عن تجارتي مع الحاج المغربي نسيب الشيخ عبدالله الشرقاوي من كبار المشايخ مثل الشيخ السادات و في نفس الوقت شريك عبدالله المغربي ذراع مراد بك اليمين و هو الأن كبير الصعيد

فنظرت السيدة هوي و سعيد البكري لأمونة بغضب و هما بالرحيل , فصرخت إحدي الخادمات من الطابق العلوي و قالت : سيدتي سيدتي , السيدة صفية لا تتنفس .

ففزعت أمونة و قامت و إنطلقت للطابق الأعلي و خلفها السيدة هوي وخلفهما سعيد البكري , فنظرت السيدة بثينة لأحد الخادمات بجانبها وهي تهم باللحاق بهما و قالت لها : إذهبي بسرعة و نادي سليمان .

<u>بعد نصف ساعة ,</u> دخل سليمان الجوسقي مفزوعا بيت أمونة فوجد السيدة هوي وسعيد البكري واقفين بجانب السلالم وأمونة علي السلالم تصرخ والسيدة بثينة تحاول إحتوائها , فبمجرد أن رأت سليمان جرت عليه وهي تصرخ و تبكي و دخلت في حضنه بقوه و أغرقت ملابس سليمان بالدموع التي تغطي وجهها و ضربت بكفها علي صدره وفي لحظه توقف الصراخ فجأه وسقطت أمونة من بين يده علي الأرض مغشيا عليها فنزل بسرعه للأمساك بها وحملها و صعد بها لغرفتها بالأعلي وهمت بثينة للحاق به

سعيد ينادي علي السيدة بثينة : بثينة , بلغيها عندما تفيق أني طلقتها .

ورحل سعيد و السيدة هوي و صعدت السيدة بثينة خلف سليمان و أمونة .

obeikandl.com

عام ١٧٩١

<u>في بيت الشيخة أمونة , في غرفتها أمام المرآه ,</u> تقف أمونة تتزين و تضع الكحل و تدخل عليها السيدة بثينة

أمونة : لماذا يا بثينة لم تخبريني بأن سليمان الجوسقي تزوج ؟ ألا تعلمين أنه أصبح من وجهاء البلد ؟ ألا تعلمين أني أهتم جدا بمباركة مناسبات الوجهاء ؟

السيدة بثينة : ظننت أن الأمر ربما يكون محرجا لكي يا سيدتي .

تنظر أمونة لبثينة بغضب مكتوم : إنسي يا بثينة الماضي , إنسيه . وإعتبري سليمان مثله مثل باقي هؤلاء الخنازير وجهاء البلد .

تهز السيدة بثينة رأسها : حسنا يا سيدتي .

أمونة : حسنا , خذي هذه الهدايا ..

وأشارت بعينها لصناديق بأحد زوايا الغرفة ثم أكلمت : و إبعثي بها لسليمان . و اريدكي أن تتزيني أنت و الفتيات الذاهبات معكي و تلبسن أفخر الثياب , أريده موكبا نسائيا لهدايا الشيخة أمونة , أريدك أنت و الفتيات ترفعن رؤسكن فخرا أمامه وأمام رجاله , مفهوم ؟

السيدة بثينه : مفهوم سيدتي

ثم نظرت السيدة بثينه لأمونة و هي تضع القرط في أذنها اليمين : ولكن إلي أين ستذهبين ؟

أمونة : إلي الشيخ السادات .

السيدة بثينة : و فيما يريدك الشيخ ؟

أمونة : لا أعرف , ولكنه يبدو أمرا هاما .

السيدة بثينة : هل أتي معك ؟

oudelkanan.com

أمونة : لا , إذهبي فقط فيما وكلتك به .

السيدة بثينة : حسنا .

و خرجت من الغرفة , ولبست أمونة قرطها اليسار و قلاده علي رقبتها و كامل زينتها و وضعت شال علي رأسها و خرجت من الغرفة .

<u>في أرض خلاء صحراء بجانب القلعة بعد صلاة العشاء</u> , الشيخ السادات يقابل الشيخة أمونة يحيط بهما بعض رجاله و بعض رجال السيدة صفية أم أمونة

أمونة : خيراً يا شيخ ؟

الشيخ السادات : أريد إرسالك لأحد التجار الفرنسيس في الأسكندرية يدعي ماجلون .

أمونة : و هل يستحق هذا الأمر أن نتقابل في هذا المكان كاللصوص ؟

الشيخ السادات : لابد أن لا نتقابل أمام الناس بعد الأن .

أمونة : و لما ؟

الشيخ السادات : ماجلون هذا أهم تاجر عند الفرنسيس و عنده من البضائع ما يمكن أن يدر علينا ربحا أكثر مما جمعناه ٥ سنوات فائتة و لهذا تقتضي المصلحة أن نشتري منه بضائعه , و لكن المشكلة أن تعامل رجل أزهري مثلي مع رجل كبير في الفرنسيس مثل ماجلون , سيسقط مقامي عند الناس . ولهذا كان لابد أن أختار مندوبا عني دون علم الناس . و قد إخترتك أنت لأنك لن تضرري كثيرا بمعرفة الناس بتعاملك معه , أما أنا فسأتضرر كثيرا ، وفي نفس الوقت لا يمكن أن أقابلكي أمام الناس بعد ان يشاع عنكي تعاملكي مع ماجلون .

تبتسم أمونة و تقول : لنكن أكثر صراحة يا شيخ . أنت عندك عدة أسباب لتتهرب من مقابلتي أمام الناس , أول الأسباب هو ما قولته , والثاني وهو الأهم, أنك تضررت كثيرا من خطب مشايخ الأزهر عن قصة حضوري لبيتك

وأنت مريض لعلاجك , و بالتالي لا تريد مقابلتي أمام الناس لتحاول التقليل من حدة إنتقادات الناس لك .

الشيخ السادات : صحيح . فأنا في مأزق كبير منذ أن بدأت هجمة المشايخ علي من المنابر , فقد وصل الأمر إلي أن التجار بدأوا يتهربوا مني و بعضهم توقف عن بيع بضاعته له , مما أدي إلي خسائر كبيرة . و بضاعة ماجلون هذا هي التي ستعوضني .

أمونة : حسنا , كم نسبتي في هذة العملية ؟

فنظر الشيخ متعجبا و قال : ألا يكفيك إيجارات المراكب التي أدفعها لكي ونسبتك في التجارة التي شاركتي فيها ؟

أمونة : بالتأكيد لا يكفيني . إذا كنت تخاف علي سمعتك التي تضررت و تريد إنقاذها , فأنا أيضا سمعتي تضررت . و لكن أنا عندي ميزة , هو أنني لا أهتم بإنقاذها . و لا يعقل أن أترك هذة الميزة دون الإستفادة منها .

الشيخ السادات : منذ متي يا بنت صفية و انت بهذا الجشع ؟

فغضبت أمونة و قالت : منذ أن ضرب جنود حسن باشا أمي و تسببوا في شلها وانت و المشايخ كنتم تتوددون له و تدعونه للولائم . منذ أن منع النساء من الوقوف في حوانيتهن و لم يفكر أحدكم بالوقوف ضد هذا القرار ...

ثم هدأت نفسها : لا داعي في تقليب صفحات الماضي يا شيخنا . ها , قل لي ما نسبتي في هذه التجارة مع ماجلون ؟

الشيخ السادات : العشر .

أمونة : لا , الربع .

الشيخ السادات مفزوعا : ماذا ... الربع ؟

أمونة بكل هدوء : إن لم يعجبك هذا إبحث عن غيري .

obeikandl.com

الشيخ السادات يتنهد و يقول : حسنا موافق .

<u>في دار الشيخ سليمان الجوسقي ,</u> يقف سليمان في فناء البيت و خلفه بعض رجال العميان و السيدة بثينة و فتياتها داخلين الفناء راكبين علي الخيول المحمله بصناديق الهدايا و رؤوسهن مرفوعه في موكب يملئه التباهي , فتوقف الموكب أمام سليمان و نزلت السيدة بثينة من علي الفرس و نزلت بعدها الفتيات

السيدة بثينة لسليمان : ألن تأمر رجالك بحمل صناديق الهدايا , أم ستنتظر إلي أن تحملها الفتيات و رجالك واقفين ينظرون ؟

يبستم سليمان و يتقدم خطوات بإتجاهها و يشير لرجاله بحمل الصناديق ويقف أمام السيدة بثينة و يقول لها بصوت منخفض : عندي فضول لأعرف ما مغزي إرسال هذة الهدايا ؟

السيدة بثينة بصوت منخفض و غضب مكتوب و نظرات عدائية : كانت أمامك فرصة ذهبية بعد أن طلقها سعيد بأن تطلبها للزواج , و لكنك بكل سذاجه وغباء ذهبت و تزوجت كأنك تقول لها لقد مات حبك و إنتهي .

سليمان بإبتسامة : هل تتصورين أنها كانت ستوافق علي طلبي بالزواج منها بعد أن أثرت عليها البلد كلها و أضعت إسطورة الشيخة أمونة ؟

السيدة بثينة : كلامك صحيح قبل أن تموت أمها . لكنك رأيت بأم عينيك كيف قفزت في حضنك عندما ماتت السيدة صفية .

فطارت الإبتسامة من وجه سليمان , ثم أكملت و قالت : بعد أن تزوجت أمونة سعيد أصبحت لا تثق في حبها لك ولا حبك لها , ولهذا فضلت الهروب علي أن تجرب طلب الزواج بها .

فتوتر سليمان و نظر للسيدة بثينه كالطفل : نعم , كل تجارب الماضي معها لا تثبت أبدا أنها تحبني , و كذلك أنا , أنا لا أعلم فعلا أنا أحبها أو لا ؟ صحيح أني أنهار أمامها , و إنهرت إنهياراً عظيماً عند علمي بزواجها من سعيد . ولكن كلما أُتيحت لي الفرصة للإقتراب منها , يسيطر علي أي نوع من أنواع

المشاعر بإستثناء الحب , فتجدني أتصرف مرة بالغيرة , ومره بالإنتقام , وبالتالي يزيد الشرخ بيني و بينها ...

ثم نظر يمنيا و يسارا و قال : صدقيني الهروب أفضل من دخول تجربة غير مؤكدٍ مشاعر أطرافها .

السيدة بثينة بإستياء تهمهم : مغفل .

فنظر لها سليمان بحدة , فتوترت السيدة بثينة و صرخت : هيا يا فتيات , إركبوا لنرحل .

فبعد أن ركبت بثينة قال سليمان ضاحكا لها بعد ان رجعت علامات القسوة علي وجهه : إشكري سيدتك علي الهدايا , وبلغيها بأنها أول المدعوين في عقيقة المولود القادم بعد أشهر , فقد بلغوني أن حرمنا في شهورها الأولي في الحمل .

فإبتسمت السيدة بثينة بكل قوة و قالت : لا تقلق سأبلغها , وسأكون أنا وهي أول الحاضرين.

بعد أيام في الأسكندرية , في أحد البيوت الكبيرة الفخمة , تجلس الشيخة أمونة علي احد الكراسي في قاعة إجتماعات ذات طاولة طويلة و الكراسي حولها وبجانبها أحد رجالها و أمامها رجل عربي و بجانبه رجل من تجار الفرنسيس يتكلم معه . في هذة الأثناء يدخل رجل يلبس لباس النبلاء الفرنسيين و يجلس بجانب الرجل العربي الذي توقف عن الكلام مع التاجر الفرنسي و إنتبه ونظر لأمونة .

قال النبيل الفرنسي و الرجل العربي يترجم : اهلا يا شيخة أمونة .

أمونة بإبتسامة و رهبه : اهلا بكم .

النبيل الفرنسي : أنا ماجلون كبير التجار الفرنسيين في مصر .

أمونة : أهلا بك .

ماجلون : أعلم أن الشيخ السادات أرسلك بخصوص البضائع التي طلب شرائها منا . و نحن لا نمانع في بيعها له .

أمونة : حسنا , هذا خير .

ماجلون : ولكن في الحقيقة هناك شئ حدث مع الشيخ السادات لابد أن تعرفيه.

أمونة : وما هو ؟

ماجلون : لمدة بضعة أسابيع ماضية كانت هناك مراسلات بيننا و بين الشيخ السادات , و كان أغلبها عن البضائع و التجارة بيننا و بينه . و قد طلبنا منه أن تكوني أنت الوسيط التجاري بيننا و بينه . فإستغرب في البداية و أراد الإستفهام عن سبب إختيارنا لكي للقيام بهذا الدور , فأبلغناه عن أننا رأينا أن أغلب التجار الرجال سيطمعون و ربما سيسرقون أجزاءاً من البضائع , أما أنت فلكي تجارتك و إيجاراتك و لستي بحاجة إلي السرقة و الدخول في مشاكل .

أمونة : و هل إقتنع ؟

ماجلون : لا أعرف , المهم أنه وافق .

أمونة : و لكني لست مقتنعه بهذا السبب لإختياري .

ماجلون : في الحقيقة نحن إخترناكي لسببين .

أمونة : الأول ؟

ماجلون : أنك أخذتي قرار بالإعتزال عن عملك مع السيدة هوي وسعيد البكري . و الثاني , هو معرفتك القوية بسليمان الجوسقي .

فغضبت أمونة و قامت و دفعت الكرسي للخلف و همت للخروج و تبعها مرافقها . فأغلق أتباع ماجلون باب القاعة و قام ماجلون و المترجم والتاجر الفرنسي ليهدئوها.

ماجلون : سيدة أمونة إهدأي من فضلك .

أمونة غاضبة : ما الذي تريدونه مني بالضبط ؟

ماجلون : حسنا سنقول لكي كل شئ , و لكن إجلسي و إهدأي .

فجلست أمونة في أقرب كرسي بجانب الباب و بجانبها مرافقها , وجلس ماجلون بجانبها و خلفه المترجم و التاجر الفرنسي .

ماجلون : سليمان الجوسقي هو شيخ العميان , و هم مجموعه من الحرامية و الشحاذين و الفواعليه و الخدم و قله من المغنين و المقرئين . و بالتالي هم متصلون بالطبقات العليا في شعبكم من خلال هؤلاء المغنين و المقرئين , ومتصلين بالطبقات المتوسطة من خلال الفواعلية و الخدم , و متصلين بالطبقات الفقيرة من خلال الشحاذين و الحرامية , و بالتالي سليمان هذا متصل تقريبا بالمراكز المهمه في مختلف طبقات الشعب و عنده أغلب اخبارهم .

أمونة في دهشة كبيرة : كيف علمتم كل هذة المعلومات عني و عن سليمان وعن الشيخ السادات . من أين تأتيكم هذة الأخبار ؟

ماجلون : لا نستطيع إخبارك بأسماء من يساعدونا في هذا , و لكن كل ما نستطيع قوله لكي أن أغلبهم هم من نتعرف عليهم من خلال تجارتنا مثلك تماما

أمونة : وما المطلوب مني ؟

ماجلون : أن تأتينا بالأخبار التي عند سليمان فقط . و إن إستطعتي أن تجمعي أخبار إضافية من غيره يكون خيرا أكبر .

فسكتت أمونة في دهشة , فأشار ماجلون لرجاله علي الباب بفتح الباب
وقال لأمونة : مقابل كل زيارة مثل هذة تأتينا فيها بكل الأخبار سنعطيكي ألف قطعة من الذهب .

فنظرت أمونة لماجلون بإندهاش أكبر ثم نظرت لمرافقها الذي كان ينظر لها بإبتسامة فرحا بالعرض الذي سمعه . ثم قامت أمونة و رحلت .

بعد أيام في القاهرة في بيت الشيخة أمونة , بعد عودة الشيخة أمونة من الأسكندرية , و هي تتناول الطعام و بجانبها السيدة بثينة

أمونة و هي تأكل : هل ذهبتي بالهدايا لسليمان ؟

السيدة بثينة في توتر : نعم .

أمونة : و لماذا أنت متوترة هكذا ؟

السيدة بثينة : لا شئ .

أمونة : و ماذا كان رده علي الهدايا ؟

السيدة بثينة : فرح كثيرا بها .

أمونة : ها , و بعد ؟

السيدة بثينة : لا شئ .

فتوقفت أمونة عن الطعام و غضبت : ما هذا ؟ هل ستذليني من أجل أن تحكي ما حصل ؟ تكلمي بالتفاصيل و كفي عن هذا .

السيدة بثينة : دعاني أنا و أنت لعقيقة مولوده القادم بعد عدة أشهر .

فضحكت أمونة ضحكة تخلطها نغصات البكاء : وما المشكلة في أن تقولي هذا؟ شخص تزوج , من المؤكد أنه سينجب , ما المشكلة في هذا ؟

بعد دقيقة من الصمت ، رمت أمونة الطعام من يدها و صرخت في مرافقها الذي كان معها في الأسكندرية : أنت ... تعالي معي .

و أخذت مرافقها و ذهبت لطاولة و كرسي في غرفة منفصلة للضيوف وقالت له : اجلس .

فصرخت أمونة : ياااا بثينة ... أنت أيتها العجوووووز

فجاءت بثينة مهرولة و دخلت : نعم سيدتي .

أمونة : إئتني بالريشة و دواة الحبر بسرعة .

obeikandl.com

فجرت السيدة بثينة و جاءت بالريشة و الحبر و وضعتهما علي الطاولة أمام مرافقها و قالت أمونة : اكتب ما سأمليه عليك .

فنظرت أمونة للسيدة بثينة و قالت لها : هيا إذهبي لغرفتك .

فخرجت السيدة بثينة و أغلقت الباب , و بدأت أمونة تتمشي خطوات في الغرفة و هي تملي كلامها علي المرافق ليكتبه

أمونة : السيد ماجلون كبير تجار الفرنسيس , سمعنا منكم عرضكم بنقل أخبار الجماهير لكم أول بأول في مقابل ١٠٠٠ قطعة ذهبية في كل مجموعة أخبار هامة ننقلها لكم . و قد فزعنا من طلبكم في البداية . و لكن بعد أيام من التفكير , قررنا قبول عرضكم . و نريد تنبيهكم بأن سليمان الجوسقي لن يكون المصدر الوحيد للأخبار , فنحن لنا علاقات مميزة بعديد من وجهاء البلد و كبار تجارها و بعض المشايخ الكبار , و سنبذل مجهودا لا بأس به في جمع تلك الأخبار . وشكرا .

أمونة تنظر للمرافق : غدا صباحا تأخذ هذا الكتاب و تذهب به لماجلون , وإذا لم يصله في غضون يومين , سأصليك عذابا لم تري مثله منذ أن ولدتك أمك .

<u>بعد شهور ,</u> في أحد البيوت الكبيرة البعيدة عن القاهرة في منطقة حلوان , تدخل أمونة مع مرافقيها البيت فتجد ماجلون جالس بجوار رجل فرنسي يلبس لباس النبلاء الفرنسين و المترجم العربي معهما .

فنظرت أمونة للرجل الفرنسي : ما هذا يا أيها الطبيب فيليب ؟ كل مرة كنت أبلغك أنت الأخبار و كنت تنقلها للسيد ماجلون , ما الجديد ؟

ماجلون و المترجم يترجم : سمعت أن إسماعيل بك و عدد من رجالة ماتوا والشيخ العروسي و عدد من المشايخ ماتوا , فكانت هذة الأخبار كفيلة بمجيئي بنفسي .

أمونة : نعم كل هؤلاء ماتوا في زمن متقارب جدا

ماجلون : ومن إستلم السلطة مكان إسماعيل بك ؟ ومن إستلم مشيخة الأزهر بعد العروسي ؟

أمونة : بالنسبة لمشيخة الأزهر فإستلمها الشيخ عبد الله الشرقاوي , وبالنسبة للسلطة , فأتباع مراد بك وإبراهيم بك يجهزون لعودتهم .

ماجلون : هل هذا فعلا بسبب الطاعون فقط ؟ ألم تقم أي إشتباكات بالسلاح أدت لهذا ؟

أمونة : نعم بسبب الطاعون فقط .

ماجلون : حسنا , إذا كان السبب الطاعون , فلماذا مراد بك وإبراهيم بك عائدون إلي القاهرة ؟

أمونة : في الحقيقة لا أعرف تحديدا , ولكن كل ما سمعته عن عودتهم , هو أنهم يريدون إعادة إمبراطوريتهم التي كانت موجودة قبل أن يأتيهم حسن باشا .

ماجلون : ألا يخافون الطاعون ؟

أمونة : هؤلاء عقولهم ضعيفة , لا تستوعب حجم كارثة الطاعون , ربما يتصورون أنهم بإغلاق أبواب قصورهم عليهم لن يصلهم الطاعون .

ماجلون : وهل سيسكت الشعب علي عودتهم ؟ فأنا أظن أنه بعد موت إسماعيل بك ومازال ابراهيم بك ومراد بك لم يصلوا من الصعيد وحالة فراغ السلطة القائمة سيستغل المصريون هذه الحالة و يمنعون المماليك من الوصل للحكم مجددا ويوصلون أحداً منهم للحكم ليستنهض همم الناس ويطهر بلادهم من المماليك

فضحكت أمونة و الطبيب فيليب و قالت أمونة : عن أي أناس تتحدث أيها السيد ؟ هل تظن أن المصريون يفكرون في أن يتخلصوا من حكم هذا و يمنعوا هذا من الوصول للحكم و يصارعوا لوصول هذا للحكم , و كل هذا الهراء ؟ سأقول لك فيما يفكر المصريون . ٣ أشياء يقومون نهارهم و يبيتون ليلهم عليها, الاولي : الامان علي ارواحهم , الثانية : الامان علي احتياجاتهم

obeikandl.com

الاساسية مثل مأكلهم و مشربهم و مساكنهم و تجارتهم , و ثالثا : استمالة عواطفهم , واكثر ما يستميل عواطفهم هو " المظاهر الدينية " المتمثله في مشايخهم ومساجدهم و مقامات اوليائهم و طقوسهم الدينية مثل الموالد و الاعياد وشهر رمضان و الحج و هكذا .

فإبتسم ماجلون و ألقي ظهره للوراء و رفع يديه مستعجبا : إذا ما هذه الثورات التي نسمع عنها ؟ فقد جائتني معلومات بأن الفقراء في منطقة الأزهر ثاروا في عام ١٧٨٤ ثم ثاروا مرة أخري بعدها بعام في ١٧٨٥ , وكذلك أهل منطقة الجامع الحسين , ثاروا في ١٧٨٥ ثم بعدها ب ٥ أعوام في ١٧٩٠ . ما هذا كله إذا ؟

أمونة : حسنا , قل لي إذا علي ماذا إنتهت هذة الثورات ؟ هل سمعت عن قتل أو هروب مراد بك أو إبراهيم بك خارج القطر المصري هربا من الثوار ؟ هل سمعت عن محاكمة إسماعيل بك مثلا ؟ يا سيدي هذا الشعب مستكين و ضعيف إلي درجة أن الظلمة من كل الأجناس و الملل يتعاقبون عليه كما يتعاقب عليه فصول السنة .

ثم قامت أمونة و همت بالرحيل و قالت : والأن هل تريدون مني شئ أخر .

فأخرج الطبيب فليب كيسا من النقود و قدمه لأمونة و قال لها : شكرا علي تعاونك .

فأخذت أمونة كيس النقود و ذهبت .

<u>بعد أسابيع في بيت الشيخة أمونة , منتصف الليل</u> , الباب يطرق بقوة والخادامات قمن مفزوعات من طرق الباب علي رأسهم السيدة بثينة .
والشيخة أمونة تخرج من باب غرفتها و تنادي من الطابق العلوي : ما الذي يحدث ؟

السيدة بثينة تقترب من الباب و تقول : من الطارق ؟

الطارق بصوت ينتفض من الرعب : أنا سليمان يا بثينة , أفتحي الباب أرجوكي .

فنظرت بثينة لأمونة فهزت أمونة رأسها بالموافقه علي فتح الباب , ففتحت بثينة الباب , فدخل سليمان يحمل طفلا علي يديه و وجهه يملأه العرق والأحمرار من الركض , أما أنفاسه فلا يكاد يلطقتها , وينظر للطابق العلوي لأمونة ويقول : أمونة أرجوكي أنقذي إبني .

فصعقت أمونة من الموقف و إرتبكت أشد إرتباك و دخلت غرفتها و أخذت شال و ضعته علي رأسها و نزلت علي السلالم مسرعه و البكاء و الفزع يتصارعان علي ملامح وجهها و إنطلقت نحو الباب و تبعها سليمان وعلي يده إبنه و قالت : تعالي يا سليمان معي .

فصرخت بثينه : سأتي معكم .

فقالت أمونة : هيا .

<u>في بيت الطبيب فليب في حلوان</u> , سليمان منهار من الرعب علي ولده جالس بجانب أمونة التي تصارع دموعها لتتوقف و بجانبها السيدة بثينه التي تبكي علي الطفل و أمامهم الطبيب فليب يمسح بالماء البارد علي جسم الطفل ليخفض من درجة حرارته ثم يصب له الدواء في فمه

سليمان : لا تقل لي أيها الطبيب أنه الطاعون ؟

أمونة : لا قدر الله يا رجل

فإلتفت لهم الطبيب فليب و قال و المترجم يترجم لهم : سنفعل ما بإستطاعتنا والباقي للقدر , كل ما أريده منكم أن تذهبوا لبيوتكم لأنه ربما يحتاج إلي عدة أيام ليتعافي .

أمونة : لا أيها الطبيب سنظل بجانب الطفل إلي أن يتعافي .

فإبتسم الطبيب إبتسامة المواساه : أقدر مشاعر الأم في مرض كهذا , ولكن لا فائدة فعلا من الإنتظار .

فنظر سليمان و بثينة لأمونة , ثم نظر سليمان للطبيب : لن نبرح مكاننا إلا أن نأخذه متعافي أو جثه , لكن لن نخرج من هنا بدونه .

obeikandl.com

الطبيب : حسنا , سيأخذكم مساعدي لغرفة الضيوف لتقضوا فيها الوقت إلي أن يحدث جديد .

بعد يومين , سليمان يضحك مع أمونة و بثينه تقوم من جانبهما و تقول : حسنا , بما أن الولد تعافي و إنتهت فترة النقاهة أيضا سأذهب الأن وأحضره لنذهب لبيوتنا .

أمونة و سليمان : حسنا يا بثينه .

سليمان ينظر لأمونة : كم أنا ممتن لكي يا أمونة , لولاك بعد فضل الله لكان مات هذا الولد .

أمونة تبتسم له و عينيها تهرب في كل الإتجاهات : الحمد الله علي نجاته .

سليمان : و لكن لماذا لم تعالجيه أنت ؟ أنا أعرف عنك أنك علي دراية كبيرة بهذه الأمور **!!**

أمونة : لم أستطع أن أفعل ذلك .

سليمان مستعجبا : لماذا ؟

أمونة في حزن : شعرته إبني .

فطارت علامات الضحك و السرور من علي وجهه سليمان وقال : ماذا تقولين؟

أمونة : كما قلت لك , شعرته إبني .

سليمان : و هل تشعرين بكل الأطفال أنهم أولادك ؟

أمونة : بالتأكيد لا .

سليمان : هل تريدين أن تلمحي أنك تشعرين أن أمه وأنكي ...

obeikandl.com

أمونة تستعيد قوتها و تقول : نعم , كنت أتمني ذلك , كنت أتمني أن أكون أمه وأن أكون ..

سليمان و مشاعر الغضب و الفرحة و الحزن يعتصرون وجهه : هل تقولين هذا الأن ؟

تشير أمونة بإصبعها لسليمان و تحدق به بقوه و تقول : لا تحاول إتهامي بأني أنا فقط الذي ضيعت الفرص .

سليمان : من الذي أضاع أول فرصة ؟

أمونة : أمي

سليمان : اااه قولي لي أنه لم يكن بإستطاعتك إقناعها ؟

أمونة : و من الذي أضاع أهم فرصة ؟

سليمان : و متي كانت تلك الفرصة ؟

أمونة : عندما أصيبت أمي بالشلل , و بدأت عملي مع صادومة , فبدلا من أن تستغل هذا الوضع و تطلبني للزواج و كانت كل الظروف مواتيه أمامك , لا , ذهبت و قتلته . قتلت مصدر رزقي الوحيد حينها .

سليمان فاتحا فاه : حقا ؟

أمونة تهز رأسها مبتسماً : دائما غبي .

سليمان : ماذا تقصدين ؟

أمونة : اقصد أن ها نحن ذا في ثاني فرصة ذهبية لأن تعوض ما فاتك .

تدخل بثينة و علي كتفها إبن سليمان و تقول : يعني تطلبها للزواج أيها الرجل .

obeikandl.com

فإحمر وجه أمونة و إتجهت نحو الباب و أمسكت ببثينه و قالت : هيا هيا . سيظل سنة حتي يفهم .

فخرجتا و ظل سليمان متسمرا مكانه فاتحا فاه .

obeikandl.com

عام ١٧٩٨ بعد إخماد ثورة القاهرة الأولي ضد الفرنسيين

في السجن , شولكوسكي جالس علي كرسيه و كله أذان صاغيه و بيده أوراق وريشه و بجانبه دواة حبر علي الطاولة الصغيرة يكتب كل كلمة قالها سليمان والرجل المغربي المترجم أمام سليمان علي الأرض

شولكوسكي لسليمان : و ما قصة المجاعة التي حصلت في ١٧٩٢ ؟

سليمان ضاحكا : لا , هذه ليست المجاعه الأولي , فقد حصلت مجاعة قبلها بعشر سنوات , و في كلا المجاعتين كان السبب واحدا و هو هبوط مستوي النيل للحد الأدني لدرجة لم يجد المزارعين ماءً يزرعون به و كان ماء الشرب شحيحا جدا . و أيضا في كلا المجاعتين كان سلوك الناس واحدا . فقد هجر الفلاحون قراهم , و إستيقظ الناس ليجدوا التجار رفعوا كل أسعار الغلال , ولم يصبح للناس شغل و لا حكاية بالليل و لا بالنهار في مجالس الاعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح و الفول و الاكل . و شحت النفوس و كثر العويل ليلا و نهارا واصبحوا يتزاحمون علي اكل الدواب الميته و الاطفال الميته ايضا . وبعد ٣ شهور وصلت الغلال الرومية و اطمأن الناس و لكن كان يسرقها الجنود في الطريق .

فتوقف شولكوسكي و إبتسم و هز رأسه و قال : أتذكر أني قرأت عن حاكم في الإسلام يدعي عمر بن الخطاب , حصلت في بلاده مجاعة , فأخذ من كل الأرياف و القري التي فيها غذاء ليعطيها لأهل المجاعة , لدرجة أنه حرم علي نفسه الطعام و شارك الناس أسواء أشكال المجاعة و قال بعد أن نزل المطر وإنفرجت الأزمة : والله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم من الفقراء ما يماثل عدد أهل البيت .

سليمان مستاءً: لا تقارن بيننا و بين هذا الرجل الصالح , فنحن لن نستطيع أن نكون في ربع تقواه .

شولكوسكي : وماذا عن ثورة القاهرة ١٧٩٥ ؟

سليمان : ياالللللللللله , إنها كانت ثورة بالفعل ..

عام ١٧٩٥ قبل الإحتلال الفرنسي ب ٣ سنوات

بعد صلاة الظهر , و الناس خارجون من أبواب الجامع الأزهر ,
إستوقف الحاج محمد المغربي الشيخ عبد الله الشرقاوي و هو خارج من أبواب الجامع ومعه الشيخ السادات و سليمان المنوفي و مصطفي الصاوي

الحاج محمد : إنتظر يا شيخ عبدالله , فهناك أمر جلل .

فإستغرب الشيخ الشرقاوي : ماذا هناك يا بني ؟

الحاج محمد : إنتظر فهؤلاء سيشرحون لك .

وأشار الحاج محمد لوفد من بلبيس من الشرقية بلد الشيخ الشرقاوي

فوصل الوفد أمام الشيخ الشرقاوي فقال كبيرهم : سلام عليك يا شيخ عبدالله .

الشيخ الشرقاوي : سلام الله عليكم يا أهل بلدي , يبدو أن هناك أمر فيه شر , ما الأمر ؟

كبير الوفد : إن محمد بك الألفي وزير مراد بك و إبراهيم بك جاء عندنا في بلبيس وعاث في الأرض فسادا , كأنه ينتقم من الناس , و بعد أن سرق و نهب كل ما لدي الناس , فرض عليهم فرده لا يطيقها الميسور منا قبل المعسور , فجئناك لتجد لنا حلا , فأنت إبن بلبيس و الأن أنت شيخ الأزهر , وتستطيع إسترجاع حقنا .

فإستشاط الشيخ الشرقاوي غضبا علي غير عادته و هدوئه وقال : هذا الخنزير لعنة الله عليه و علي أمثاله .

فهم الشيخ الشرقاوي لينادي في الناس ليحشدهم , فأمسك الشيخ السادات والشيخ الفيومي بالشيخ الشرقاوي و قال الشيخ الفيومي : الصبر يا شيخ عبدالله , فلنذهب لمراد بك و إبراهيم بك قبل أن نحشد الناس , حتي لا يتهمونا بأننا نثير الناس قبل رفع شكوانا لهم .

فقال الشيخ السادات : صدقت يا شيخ الفيومي .

obeikandl.com

فقال الحاج محمد مستغربا : و هل تنتظران من هذان الظالمين أن ينصفوكم علي وزيرهما الظالم ؟ ما بكم يا سادة ؟ إن مراد بك و إبراهيم بك يعيثون في الأرض الفساد أكثر من محمد بك الألفي , فكيف سينصرونكم عليه ؟

الشيخ الفيومي : حسنا , إذا لم يستيجبان سنأتي هنا و نحشد الناس وسندعوهم للأعتصام و هكذا . لكن لابد من أن نعمل الذي علينا أولا .

الشيخ الشرقاوي : حسنا يا سادة , لن يضيرنا أن نحاول معهما أولا . هيا بنا .

بعد ساعات , عاد الشيخ الشرقاوي و خلفه المشايخ في منتهي الغضب للجامع الازهر , فدخل الشيخ الشرقاوي الجامع متوجها للمنبر و خلفه جمهور من الناس علي رأسهم الحاج محمد و وفد بلبيس و إثنين من المشايخ واقفين عند أبواب الجامع يكبران لحشد الناس , و ظلوا هكذا نصف ساعة حتي إكتظ الجامع الأزهر عن بكرة أبيه

الشيخ الشرقاوي من علي المنبر : يا أيها الناس , بعد بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين , إن وفداً من بلبيس أتانا مستنجدنا بشيوخ الأزهر علي ظلم محمد بك الألفي . ذلك الرجل الذي عاث في الأرض خرابا وسرق و نهب الناس وفرض عليهم فرده لا يطيقها الغني من الناس ولا الفقير . و قد ذهبنا قبل أن نحشدكم لمراد بك و إبراهيم بك نشتكي لهم ظلم وزيرهم لم يعطونا وجهاً و أهملوا شكوانا . فالأن يا أهل الأسلام و الشهامة والمروءة , دعونا نوصل صوتنا بكل قوة لهؤلاء , دعونا نقول لهم بأصوات تصرعهم بأننا لن نسكت علي الظلم و الفساد في الأرض . فكبروا معي , اللللللللللللللله أكبر ...

فردد الحشود : اللللللللللللله أكبر .

فرددها مره أخري الشيخ : اللللللللللللله أكبر .

فصرخ الناس وراءه : اللللللللللله أكبر .

فأغلقت الحشود أبواب الجامع و صعدوا علي أسواره و مأذنه , و هللوا وكبروا و شتموا المماليك و إنطلقت الهتافات من قلب الإعتصامات داخل الجامع .

<u>في اليوم التالي</u> , إستقظ الناس علي الأسواق كلها مغلقة وأصوات التهليل والتكبير تكاد تخلع أسوار المدينة بعدما خرجت الحشود في مظاهرات في الشوارع المحيطة بالجامع الأزهر و جامع الحسين . وبينهم الشيخ الشرقاوي والسادات و باقي المشايخ و الوجهاء و التجار و مختلف طوائف الشعب.

فدخل بين الحشود مجموعه من مساعدين إبراهيم بك وتوغلوا إلي أن وصلوا أمام الشيخ الشرقاوي والسادات

قال الشيخ الشرقاوي لقائد مساعدين إبراهيم بك : من أنت ؟

القائد بكل غرور : أنا أيوب بك .

الشيخ السادات : ماذا تريد ؟

أيوب بك : أنا الذي أسألكم هذا السؤال , ماذا تريدون ؟

الشيخ الشرقاوي بغضب : نريد العدل و رفع الظلم و إقامة الشرع و إبطال البدع التي إخترعتموها لنا .

أيوب بك بكل إستياء و إستعلاء : لا يمكن إجابة كل هذة الطلبات , فإننا لو ألغينا هذة البدع و أقمنا الشرع كما تريدونه ستضيق علينا المعايش و النفقات .

الشيخ السادات بصوت عالي : هذا ليس بعذر عند الله و لا عند الناس , وما الباعث علي الإكثار من نفقات المماليك . فإن الأمير يكون أميرا بإعطاء الناس و ليس الأخذ منهم

أيوب بك : حسنا حسنا , سأبلغ إبراهيم بك .

وذهب عائدا . ورجع المتظاهرون مع المشايخ لجامع الأزهر و إعتصموا فيه وقضوا يومهم و باتوا فيه.

<u>في اليوم التالى ,</u> عاد أيوب بك ووجهه متغير يستعطف المشايخ ويسترضيهم

أيوب بك : يا مشايخنا الكرام , إن إبراهيم بك يبلغكم أنه معكم , وأن كل ما حصل لم يكن بموافقة منه , و كان دائما ما كان يحذرهم بعدم الإفراط حتي لا تغضبوا . و قد أرسلني إبراهيم بك لمراد بك أحذره من العواقب الوخيمة لما يحصل , فأمرني أن أبلغكم أنه سيجيب كل مطالبكم و يطلب منكم أن يأتي معي أربع مشايخ حددهم بالأسم ليفاوضهم .

الشيخ الفيومي : قل من هم .

أيوب بك : الشيخ الشرقاوي , الشيخ السادات , الشيخ البكري , الشيخ عمر مكرم .

فتجهم وجوه المشايخ و قال الشيخ الشرقاوي : و لماذا يريد عمر مكرم ؟

أيوب بك : لا أعرف .

الشيخ السادات : ولماذا يريد هذا الفاسد البكري ؟

أيوب بك : صدقوني أن ما قلته هو ما حدث و لا أعرف أي شئ أكثر من هذا .

الشيخ الفيومي للشيخ الشرقاوي : يا شيخنا , إذا كان الأمر سيحل بمجرد أن تذهبوا أنتم الأربعة عندهم , فإفعلوا , فليس المهم إذا كان عمر مكرم سيذهب أو الشيخ البكري , المهم أن تنتهي هذة الأرمة .

فتحرك أيوب بك و تحرك خلفه الشيخ الشرقاوي و الشيخ السادات

فقال الحاج محمد : نذهب معكم يا شيخ الشرقاوي لنكون في ظهوركم

فقال الشيخ الشرقاوي : لا يا ولدي , لا نحتاج لهذا . فقط أرسل للشيخ البكري وعمر مكرم .

obeikandl.com

في قصر مراد بك , مراد بك و إبراهيم بك جالسان علي رأس قاعة الضيوف وبجانبهم قاضي البلد و علي الجانب الأيمن المماليك و أيوب بك علي رأسهم , وعلي الجانب الأيسر الأربعة مشايخ جالسين .

فقام مراد بك و إبراهيم بك و قالا بصوت واحد بعد أن رفعا أيدهما اليمني للحلف بالله : نقسم بالله العظيم أن نرفع المظالم عن الناس و نتعهد بكبح أتباعنا عن الوقوع في أي ظلم لأي أحد في أي مكان .

فإبتسم الشيخ البكري و نظر للشيخين الشرقاوي و السادات الغير مبتسمان , فقال الشيخ الشرقاوي : وما يضمن لنا ذلك ؟

الشيخ عمر مكرم : وهل أرضاك هذا القسم حتي تبحث عن الضمان ؟

مراد بك غاضبا للشيخ عمر : وماذا تريد فوق هذا ؟

فقام الشيخ عمرمكرم والشرار يتطاير من عينه , ففزع مراد بك وإبراهيم بك والمشايخ وكل الجالسين , وتراجع مراد بك إلي أن سقط من علي كرسيه

الشيخ عمر مكرم صارخا : أتظننا أطفالا تضحك عليهم بتمره يا هذا ؟ إعرف مقامك يا هذا وإعرف مقام المشايخ .

إبراهيم بك يهدأ الشيخ عمر مكرم و هو يبتسم : إهدأ يا شيخنا وشيخ السادة الأشراف الكرام , إهدأ إهدأ .

وحاول وضع يده علي ذراعي الشيخ عمر ليهدأه فصرخ فيه الشيخ وقال : أبعد يديك النجستين عني .

فطأطأ إبراهيم بك رأسه و تراجع للوراء إلي أن جلس علي الكرسي

فنظر الشيخ عمر للقاضي وقال : أكتب يا هذا ..

فقال عمر مكرم بصوته كالجبال : المطلب الأول : تدفعون ٧٥٠ كيسا من الأموال تعوضوا بهم من سرقتموهم في بلبيس ..

فمشي الشيخ عمر خطوات بإتجاه القاضي وقال : المطلب الثاني : ترسلوا الغلال لبلاد الحرمين التي كنتم قد قطعتموها بظلمكم ..

ثم إستدار تجاه المشايخ وقال وهو يمشي خطوات : المطلب الثالث : صرف الغلال و الرواتب التي كنتم قد قطعتموها عن الناس ..

ثم عاد و نظر لمراد بك وإبراهيم بك اللذان يرتجفان رعبا : المطلب الرابع : إغلاق ديوان بولاق الذي أشبع الناس ظلما .. **والمطلب الخامس :** لا تظلمون الناس أنتم ولا أتباعكم ولا نسمع يوما من الأيام أن أحدا من جهتكم ظلم أحدا من العامة لأي سبب .

فقال إبراهيم بك مرعوبا : كل هذا سنوافق عليه , لكن إغلاق ديوان بولاق صعب جدا , فهو الذي نجمع من خلاله رواتب موظفينا وموظفين السلطان .

فقام الشيخ الشرقاوي و الشيخ السادات يبتسمون و يسترضون الشيخ عمر مكرم , فقال الشيخ الشرقاوي : حسنا يا عمر , هذا عدل والرجل وافق علي مطالبنا كلها كما تري .

وقال الشيخ السادات : لا تزيد النار إشتعالا يا عمر وإهدأ وهدأ الوضع بين الناس .

فنظر لهم الشيخ عمر بإستياء ثم نظر للقاضي وقال : هل سجلت هذا ؟

فقال القاضي : نعم .

فهجم عليه الشيخ عمر مكرم وأخذ الورقة التي كتبها وأعطاها للشيخ الشرقاوي وقال له : إذهب الأن و أخطب في الناس وأتلوا عليهم هذا الأتفاق .

<u>بعد ساعة ,</u> عاد المشايخ للجامع الأزهر وصعد الشيخ الشرقاوي المنبر وخطب في الناس و قال : بسم الله صاحب المن والفضل علينا و علي بلادنا , والصلاة و السلام علي سيد الرسل و الخلق أجمعين محمد صلي الله عليه و سلم , أما بعد , فقد أجبر مشايخ الأزهر الكرماء المماليك علي كتابة ميثاق ينظم العلاقة بين الحاكم و المحكوم , يرفع الظلم عن العباد و يعيد للمظلومين حقهم .

obeikandi.com

فقد إتفقنا علي أن يلتزم المماليك بدفع ٧٥٠ كيسا للمتضررين من أهل بلبيس أصحاب المظلمة الأخيرة , وأن يلتزموا بإرسال غلال بلاد الحرمين التي كانوا قد قطعوها , وأن يعيدوا صرف الغلال و رواتب العامه التي كانوا قد قطعوها منذ زمن , وان يمتنعوا هم و أتباعهم عن ظلم أي أحد من العباد تحت أي ظرف من الظروف . وقد صدق علي هذا القاضي و أخذنا نسخة هذا الميثاق لنقرأه عليكم . والحمد الله رب العالمين.

فصرخ الناس : اللللللللله أكبر , اللللللللله أكبر .
فخرج من بين الجماهير الشيخ عمر مكرم حزينا , فرأه الحاج محمد المغربي وخرج وراءه , فإستوقفه خارج أبواب الجامع بعيدا عن الجماهير ,فقال له الحاج محمد وعلي وجهه علامات السعادة : أفي هذا الموقف أنت حزين يا شيخ , الناس كلها فرحين بما حدث و أنت من المشاركين في هذا الإنجاز حزين ؟

فنظر الشيخ عمر للحاج محمد بإستغراب : أي إنجاز , مجرد ورقة عليها بعض الوعود من بعض الصعاليك الحرامية الذين لم يلتزموا بكلمة في حياتهم ، هذا تسميه إنجاز؟ والمصيبة أن الناس فرحون يكبرون ويهللون . الإنجاز بالنسبة لي أن أري هؤلاء المماليك يهربون أمام سيوف هذه الجماهير بعد أن يهبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله و سبيل كرامتهم و حقوقهم .

الحاج محمد بعد صدمته من كلام الشيخ عمر : ولكن كيف سيكون هذا ؟ الناس ضعاف والمماليك أقوياء وموحدين .

الشيخ عمر مكرم : ومن يتق الله يجعل له مخرجا . لو أتقي كل واحد في هذه الجماهير ربه , وعزم النيه و الجهد عن الدفاع عن أرضه وعرضه ضد المماليك , لن ينتصر هؤلاء الصعاليك أبدا . أنظر , لمجرد بعض المظاهرات و الإعتصامات تحول هؤلاء المماليك إلي فئران من خوفهم من الناس , فما بالك لو حمل كل واحد سلاحه و خرجوا علي قلب رجل واحد إلي قصور هؤلاء المماليك ؟ صدقني لن ينتظر هؤلاء الصعاليك في بيوتهم ساعه واحدة .

فتسمر الحاج محمد مكانه و توقف عن الكلام فإشتد حزن الشيخ عمر و ذهب . فخرج الناس من الجامع الأزهر فرحين يهتفون بأسماء المشايخ و فضوا إعتصامهم و فتحوا حوانيتهم و أسواقهم و عادت الحياة الطبيعة .

في السجن بعد ثورة القاهرة الأولي ١٧٩٨

يدخل الجنود الفرنسيون و ينظر قائدهم لشولكوسكي , فينظر له شولكوسكي ويهز رأسه إشارة بإتمام مهمته , فأشار قائد الجنود لشولكوسكي و للرجل المغربي المترجم بالخروج من السجن فجمعوا أغراضهم و خرجوا فأشار قائدهم للجنود بالإمساك بسليمان و تقيده و جره , فهجم الجنود علي سليمان وهو مستسلم تماما بدون أي مقاومة. فسحبوه إلي الخارج و أخرجوه في ساحة خلاء خلف سجن القلعة و أركعوه علي ركبتيه بجانب الشيخ عبد الوهاب الشافعي و أمامهم الجنود بالبنادق إستعدادا لرميهم بالرصاص

فقال الشيخ عبد الوهاب لسليمان : قل يا ولدي .. لا إله إلا الله , محمد رسول الله

فهز سليمان رأسه و كاد يقولها فصرخ قائد الجنود للجنود بتعمير البنادق فعمروها بأصوات مرعبة فإرتعد سليمان و لم يقلها و بجانبه أولاد الشافعي يرددونها .... و فجأة ظهر فرس عليه فارس ملثم يحمل مسدس يحمله بصعوبه و يده تهتز به فأطلق النار علي العسكري الواقف أمام سليمان مستعدا لإعدامه فجرح العسكري و سقط علي الأرض و هاجت الدنيا و أمر قائد الجنود بإطلاق النار علي المحكوم عليهم و إتجه هو تجاه الفارس المقبل عليهم بمنتهي السرعه وأطلق عليه النار فإختل توازن الفارس و تمسك قليلا بالفرس إلي أن مر بجانب القائد ثم سقط بجانب سليمان و هو متمسك بالمسدس في يده و أنفكت عنه اللثام و إذا بها أمونه و قد أصابها العيار الناري فأصاب سليمان الصاعقه و لم يتكلم كلمة و هو ينظر لها بصدمة. فنظر سريعا للقائد فوجده يصوب تجاه أمونه , فسبقته أمونة و أطلقت علي قدمه فأصيب القائد و سقط علي الأرض . وسليمان من هول ما يراه.

فجأة ظهر العميان من خلف القائد المصاب و هم يهربون من العيارات الناريه الخارجه من بنادق قوات حراسة السجن الذين يركضون خلفهم بإتجاه سليمان وأمونة . فإلتف العميان حول سليمان و أمونة محاولين إنقاذهم و تهريبهم وسط تبادل إطلاق نار و إشتباكات مع القوات الفرنسية .